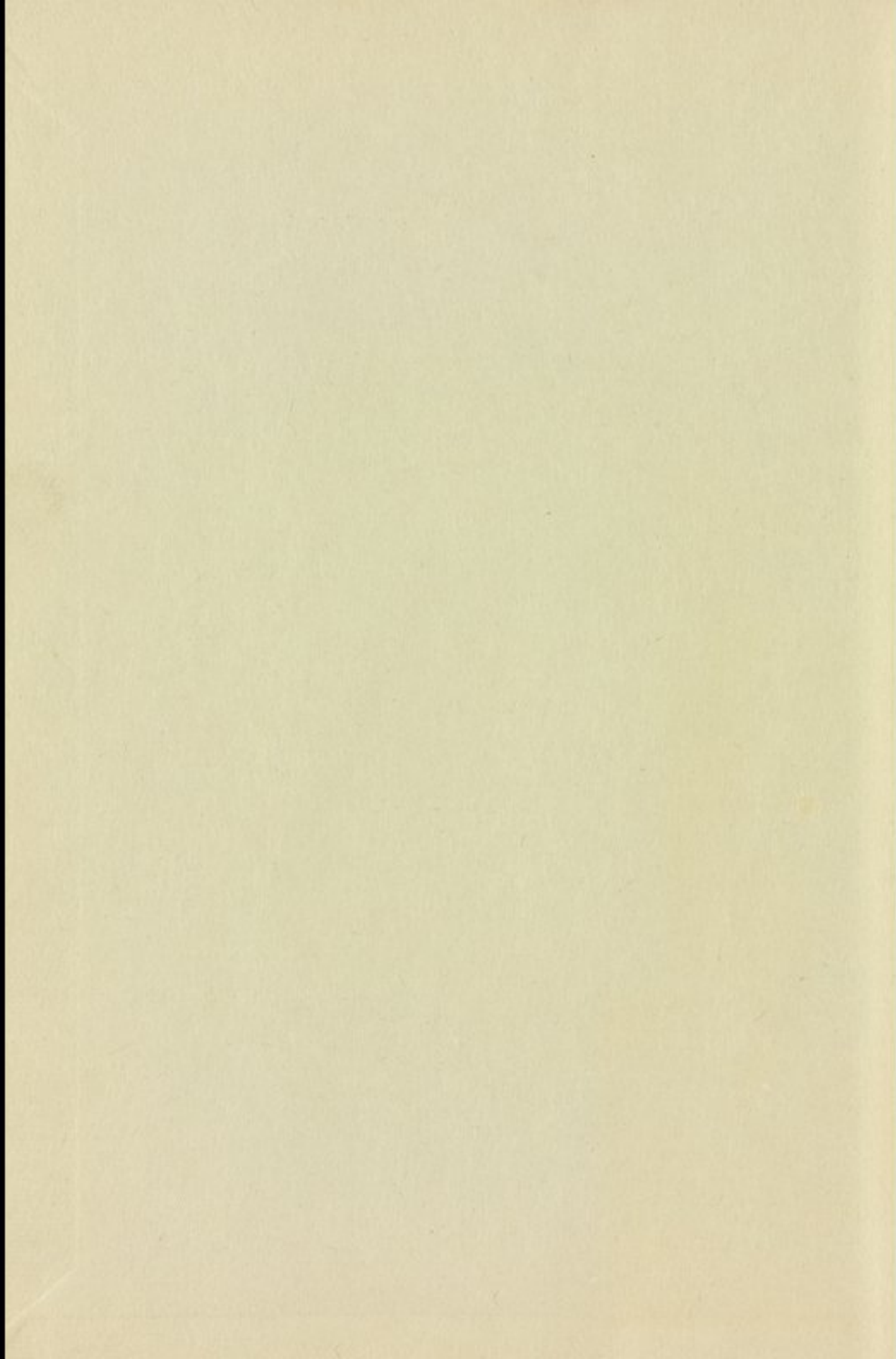
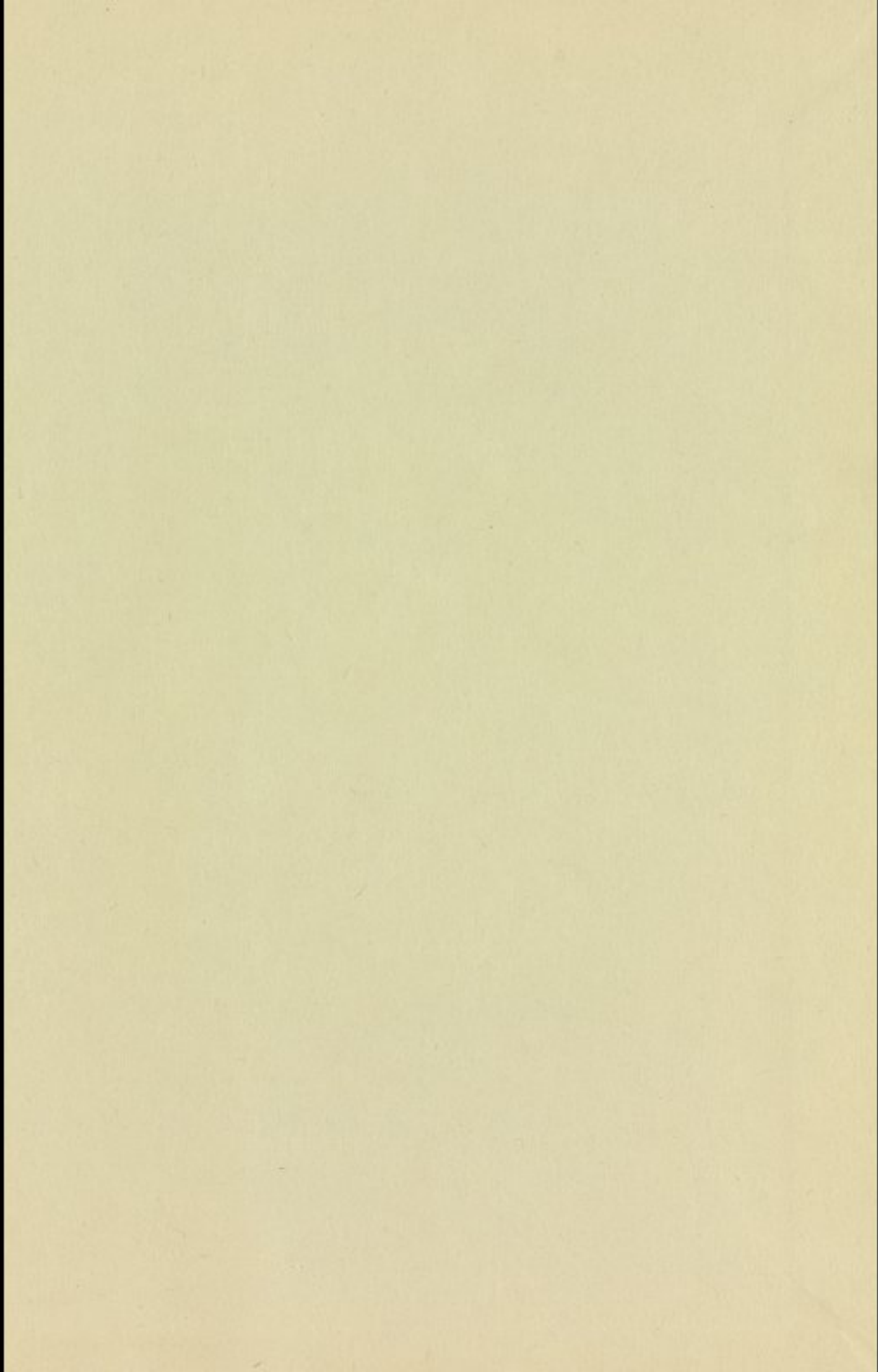


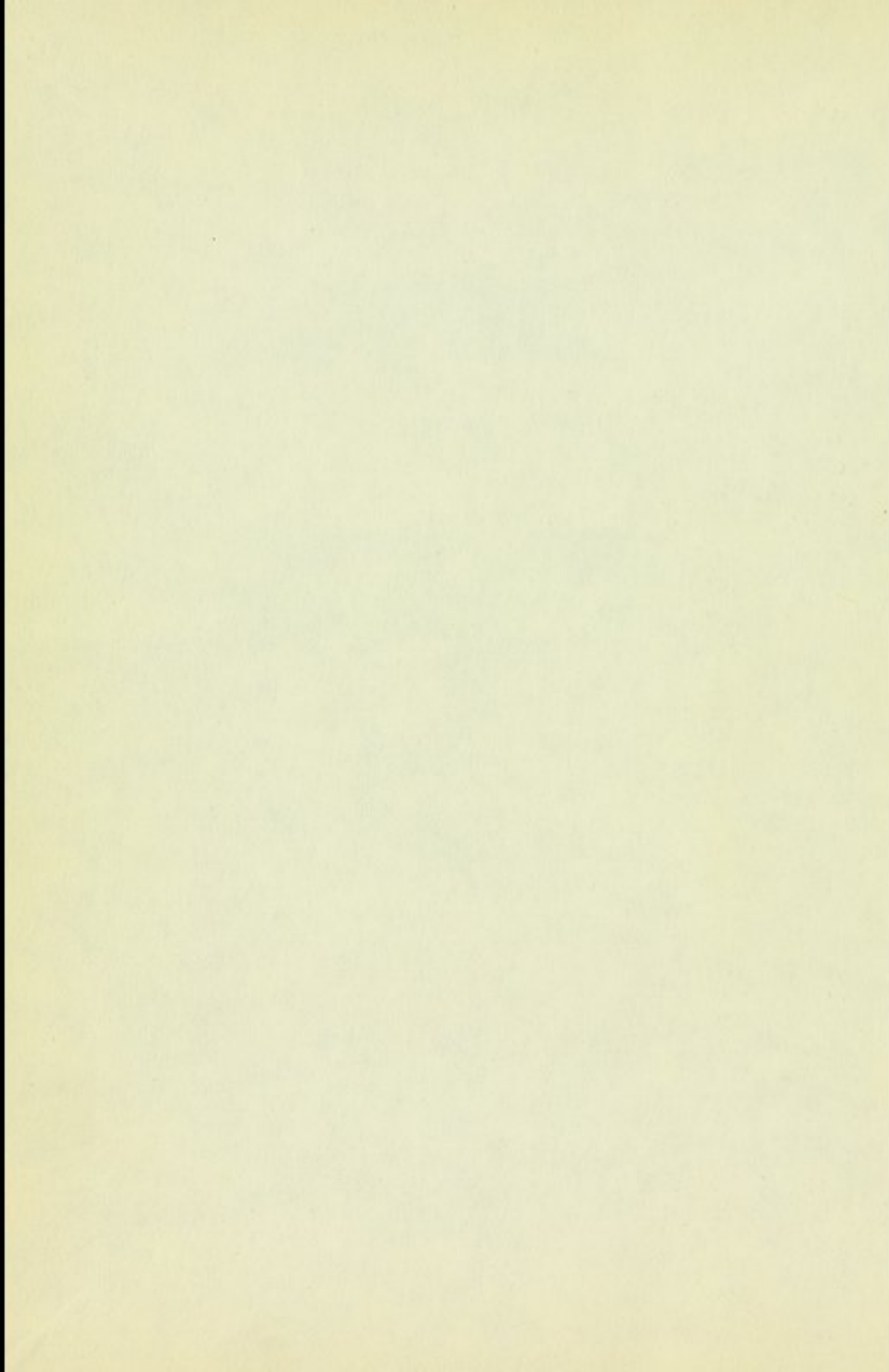
THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

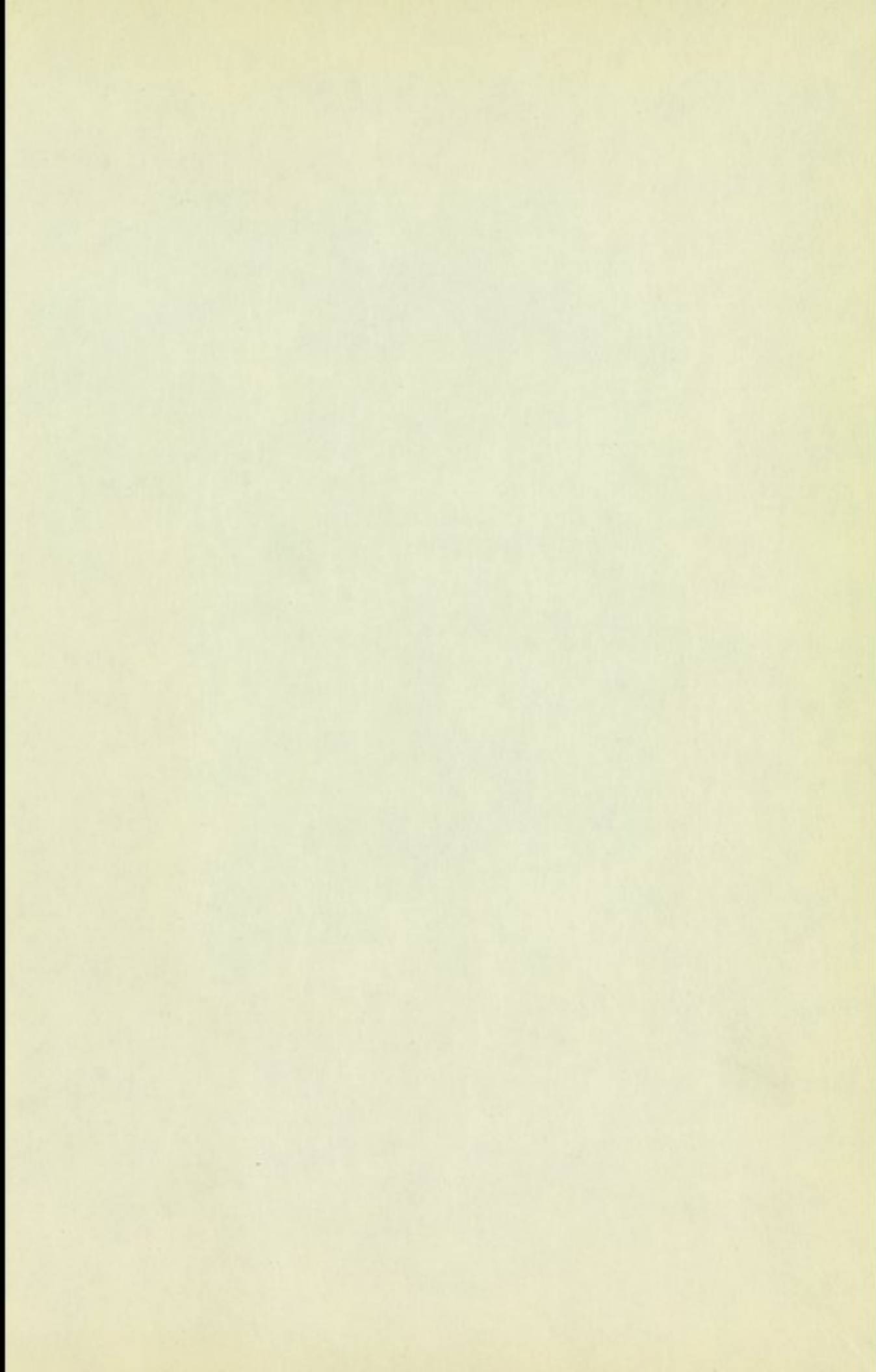


GENERAL LIBRARY









مكتبة
المكتبة المركزية
بجامعة بغداد

شيد العبيدي
الأستاذ بجامعة بغداد

دراسات في النفط الأدبي

الجزء الأول

ساعات جامعة بغداد على نشره

الطبعة الأولى

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مطبعة المعارف - بغداد

١٩٦٩/١٠٠٠/٧٨

PJ
7507
.U2
Vcl

v. 1

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الانسان علمه البيان والهمه العلم والعرفان
وجعله يميز بين الخير والشر والجمال والقبح ، وصلى الله على النبي العربي
القائل ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة وعلى آله الطاهرين
واصحابه الغر الميامين وسلم تسليما .

اما بعد فهذه دراسة في موضوعات النقد الادبي . توخيت فيها
الايجاز والوضوح مع استيفاء موضوعات هامة جديدة بالدراسة
والاعتبار .

واني لا انكر ان من ابرز الدراسات الجامعية هي حرية الفكر
وحرية التعبير . غير ان هذه الحرية اذا لم تكن ضمن اطار علمي يعين
ابعادها ويجمع شتاتها فانها تكون أشبه ما تكون بالفوضى المناقضة
لمتطلبات العلوم .

قد يقول قائل أين تكون حرية البحث اذا لزم الاساتذة بتدريس
موضوعات معينة محدودة ؟

الجواب : ان المراد بتعيين الموضوعات هو اتباع منهاج يكفل
بلوغ الغاية المتوخاة من دراسة النقد . وللاساتذة بعد ذلك
بحث الفكرة المراد ابرازها بالاسلوب الذي يفضلونه والهدف الذي
يريدون الوصول اليه .

من هنا وجدت الحاجة ماسة الى اتباع منهاج معين ، و الى تأليف كتاب يجمع تلك الموضوعات و يفي بحاجتها دون ان ادعي بانى في هذه الدراسة قد أشرفت على الغاية و بلغت النهاية . بل أوكد بان هناك مجالات واسعة ما زالت بحاجة الى كثير من الدراسات النقدية المتطورة و الى اشباع تلك الدراسات نقدا و تمحيصا و استقصاء .

و مما أود بيانه بادي . ذى بدء . أن نعلم أن بعض موضوعات هذا الكتاب و لا سيما الموضوعات الخاصة بتراجم النقاد و المعنية بدراسة الكتب النقدية القديمة جاءت موجزة بعض الايجاز قصدا . حتى لا اشق على القاري الكريم . اما الاقدام على طبع هذا المؤلف مع علمي بالجهد المضني الذي يتطلبه طبعه فهو صادر عن عهد قطمته على نفسي لابناني الطلبة و استجابة لرغبتهم في جمع هذه المحاضرات التي القيتها عليهم في كتاب .

والله اسأل أن يسدد خطانا و يلهمنا الصواب في القول و العمل ،
انه ولي التوفيق .

رشيد العيسى

استاذ النقد الادبي في كلية التربية
(قسم الاداب)

الفصل الأول النقد وتاريخه

النقد بوجه عام يطلق على تبيان العيوب يقال نقد فلان فلانا اذا اظهر ما به من عيب ، ويستدل على ذلك بحديث ابي الدرداء ان نقدت الناس نقدوك وان تركتهم تركوك .

وقد جعله البعض اعم من ذلك ، فاطلقه على تبيان المحاسن والمساوى ، ثم بيان درجتهما في الحسن والقبح .

اما تاريخ النقد العام فهو قديم قدم الانسان المميز بين الخير والشر بين الجميل والقبيح بين ما يليق وما لا يليق .

ومما هو جدير بالذكر ان ممارسة الانسان للنقد قد امتدت ملكة النقد بنصيب كبير من النمو والتطور وما زال هذا الفن يتدرج في سلم الرقي حتى يبلغ ما قدر له من مراتب الكمال .

النقد الادبي

اما النقد الادبي الذي نحن بصدده فانه مقصور على محاولة تمييز الكلام الجيد من الكلام الردي ، فنيا واجتماعيا وخلقيا ونفسيا وغير ذلك مما يتصل بالثمرة العليا لتجارب الحياة الانسانية .

لذلك قالوا عنه انه ثمرة التفكير في الآثار الادبية لتقويمها وبيان زيفها من صحيحها وتفسير نواحيها الفنية ثم الحكم عليها . او انه جهد موضوعي لمعرفة حقائق الاعمال الادبية كما هي ، عن طريق دراسة النصوص والتمييز بين الاساليب المختلفة .

ثم ان جودة الكلام تظهر في كونه قد استوفى كل ما تفرضه قواعد اللغة وكان مشتملا على قيم شعورية وتعبيرية وجمالية . واما رداة الكلام فانها تظهر حين يكون الكلام غير مستوف لتلك القواعد ولا مشتمل على شي . من تلكم القيم .

علماً بان مهمة النقد هي معرفة افضل المعارف في العالم واشاعتها في تيار من الافكار الجديدة الصادقة . هذا وان معرفة الافكار والمعارف لا يمكن ان تتم في ظل التحيز لاراء معينة شخصية او حزبية ، وانا يجب على النقد ان يحافظ على استقلاله وحياده .

تاريخ النقد الادبي عند العرب

ان ما قيل في تاريخ النقد العام عبر الازمان والاجيال يقال في تاريخ النقد الادبي عند العرب ، غير ان هذا يختص بنشأة الاديب العربي حين استطاع أن يعي تجاربه الشعورية ويعبر عن انفعالاته الوجدانية ويميز بين الكلام القيم وغير القيم .

ولقد كان النقد الادبي في بداية نشأته في العصر الجاهلي مقصوراً على الاحكام الذاتية التي اساسها الذوق الخاص دون تحليل أو تحليل للنصوص التي ينقدونها . اللهم الا ما صدر عن بعضهم مما يفهم منه بانه ضرب من ضروب النقد الفني . ولقد يرى بعضهم ان هذا النقد الاجمالي الذوقي أمر طبيعي في حالة البداوة التي كانت تسيطر على العرب ، والرجل الفطري يستطيع باحساسه ان يخلق اجمل الشعر يصوغه في مشاعره ومعطيات حواسه وهو لذلك ليس في حاجة الى عقل ناضج يرى جوانب الاشياء كلها ولا يعكم الا عن

استقصاء . . ومن ثم جاء نقدهم جزئيا مسرفا في التعميم ، يحس احدهم
بجمال بيت من الشعر وتنفعل به نفسه فلا يرى غيره ولا يذكر سواه
كدأبه في كل امور حياته^(١) .

النقد الزائى والنقد الموضوعى

النقد الزائى :

هو ان يكون حكم الفرد في النص الادبي هو المرجع . غير
اننا لو اخذنا بهذه القاعدة فسوف يكون لكل قارى . أو سامع
ذوق خاص في النص . ويلزمنا حينئذ ان نقول بعدم وجود شؤون
فنية مشتركة بين اصحاب هذا الفن . وفي ذلك ما فيه من الفوضى
الفكرية المؤدية الى تعدد الاذواق وضياع الاحكام الصائبة بين
العلماء . والادعياء . ثم افساح المجال لهدم كل عمل فني يمكن ان يضع
لبنة في هيكل الحضارة وينتج فكرة ادبية يرتفع بها شأن الادب .

اما النقد الموضوعى :

فهو النقد الذي يسعى الى معرفة الاشياء . كما هي في ذاتها وحققتها
بصرف النظر عن الالهواء . الذاتية والرغبات الشخصية ، وهو في
الوقت نفسه يضع لكل شي . قواعده الفنية التي اتفق على صحتها اولو
العلم وأقرها ذوو الاختصاص .

ولا يخفى ان في النقد الادبي عنصرا فنيا لا يمكن تجاهله . ذلك
العنصر هو تلكم القواعد النحوية والصرفية والبلاغية والعروضية

(١) كتاب النقد المنهجي للدكتور محمد مندور .

والمنطقية وما اليها من ضوابط الكلم . وهي ضوابط اساسية في
تبيان حسن الكلام وجماله . من هنا كان من الزم الموازم الأخذ
بالمقاييس النقدية الثابتة التي وضعها الاكفاء . من النقاد .

هل العمل الادبي يحتاج الى نافر ؟

الحقيقة ان المعنيين بالشؤون الادبية مختلفون في ذلك . فمنهم
من يرى أن الحياة العامة بجميع مجالاتها لا حاجة لها بالنقاد ، وانما
هي بأمر الحاجة الى المبدعين الخلاقين للفنون الادبية . أي ان الحياة
ترقى وتزدهر بالادباء انفسهم لا بالنقاد الذين ينقدون ولا ينتجون .
ذلك ان الاديب اذا ظل ممارسا لعمله الادبي يمكن على توالي
السنين أن يكون كاتباً بليغاً أو شاعراً فذاً . واذا قدر للناشي . في
دولة الادب أن يخفق في مداه القريب فانه يمكن أن يفوز في مداه
البعيد . هذا عمر بن ابي ربيعة القرشي كان يقول الشعر في صغره فما
أبه له أحد من فحول الشعراء . ولما استمر في معالجة الشعر ارتاض
وأسلس له قياده مما دعا جريرا أن يقول فيه حين سمع رائيته التي
مطلعها :

أمن آل نعم أنت غاد فبكر غداة غد أم رائح فهجر

ما زال هذا القرشي يهذي حتى قال الشعر .

ومما لا ريب فيه ان الادباء الناشئين كثيرا ما يتولاهم الخجل من
النقاد فيتركون ممارسة الادب ويركنون الى اليأس والقنوط وتخسر
الحياة الادبية بتركهم اناسا يمكن ان يكونوا شيئا عظيما في المجالات
الادبية . لذلك كان ضرر النقد عند اصحاب هذا الرأي أكبر من نفعه

على اعتبار انه يعرقل مسيرة الرقي الادبي ويحدث قلقا وارتبا كما في نفوس المبدعين من الكتّاب والشعراء ، ولا سيما اذا ادعى النقد غير اهله ودس انفه فيه غير المختص .

واما اصحاب النقد الموضوعى فيرون ان العكس اصح ، أي ان النقد اساس لتقويم كل معوج واصلاح كل فاسد ولأن الانسان في كثير من الاحيان لا يرى عيب نفسه ، ولذلك اقتضى ان يكون للادباء رقبا. يعبدون طرائقهم ويعدلون اودهم ويحجبونهم الاخطاء. قبل وقوعهم فيها (والوقاية كما يقولون خير من العلاج) .

وعلى هذا الاعتبار يرون ان النقد عامل مهم في دفع عجلة التقدم بما يضع للناشئين من معالم التوجيه والهداية نحو الافضل . وبذلك يحصل الناس على الافكار الممتازة بطريق اقصر وباسلوب ارقى فتجود القرائح والملكات وتفتتح القلوب والعقول لما هو خير .

ثم ان اصحاب هذا الرأي يرون ان النقد هداية للذي هو افضل. والهداية لا تكون الا بالتي هي احسن ولا يسمون النقد نقدا ادبيا الا على هذه الصورة المهذبة . والناقد البارع التزيه يعلم حق العلم ان الادباء ليسوا معصومين من الخطأ ، لذلك يوجب على نفسه مبدئيا تناول انتاجهم باسلوب هين لين جميل ويوصل الى مبتغاه بدون جرح لشعور الاديب المنتج وبدون تشنيع بما يمس شخصيته . ذلك لأن مهمة النقد فوق مستوى المهارات وأسمى من أن تتعرض للشخصيات .

فن مهام النقد معرفة افضل المعارف والافكار في العالم ثم اشاعتها في تيار من الافكار الجديدة الصادقة . ومعرفة افضل الافكار

والمعارف لا يمكن ان تتم فى ظل التحيز لآراء معينة شخصية أو
حزبية أو غير ذلك من الامور الجائئة فى الصدور الضيقة المتحكمة
فى النفوس المتعصبة التى لم يتح لها ان تبلغ المنزلة الرحبة من الكمال
الانسانى كما ذكرنا آنفاً .

عناصر العمل الادبى

شعور عميق وانفعال شديد وتعبير رائع وتصوير جميل . ان كل
عنصر من هذه العناصر يؤلف جانباً من جوانب التجربة الشعورية
التى يريد الاديب تبليغها واذاعتها بين الناس . وكلما كانت التجربة
بعيدة الآفاق تتخطى حدود الزمان والمكان ، وكلما كانت مشتملة
على الحقائق المعبرة عن اماني الانسانى كانت تلك التجربة أشد تأثيراً
وأوسع انتشاراً وأدوم بقاءً فى الحياة ، ثم ان العمل الادبى بناءً
متكامل يشترك فى اقامته المضمون والشكل معاً فلا استقلال
لمضمون عن الشكل كما لا استقلال لشكل عن المضمون ، فهنا روح
وجسد فلا حياة لجسد بلا روح ولا وجود لروح بلا جسد .

النص

النص لغة هو الكلام الذي لا يحمل الا على معنى واحد ، أو هو الكلام الذي لا يحتمل التأويل .

وقد اطلقه علماء البيان على الكلام المأثور من المنظوم والمنثور مما صدعت به الانبياء ، وديجته اقلام البلغاء ، من الكتاب والشعراء ، عبر الازمان والاجيال .

فالكتب السماوية والاحاديث النبوية نصوص لا ريب فيها ، وكذلك القصيدة والخطبة والرسالة والقصة والمقالة والمسرحية والامثال والحكمة والوصية كلها نصوص ادبية نتدارسها ونتفهمها ونطلق الحكم عليها بما تستحقه من التقدير والتشمين سلبا او ايجابا .

ولا يخفى ان النصوص مؤلفة من كلمات مفردة ومركبة وان جمال تأليفها هو الذي يحدث الصلة بين مبدع النص وبين قراءه وسامعيه وهو الذي جعل طلاب الادب وعشاقه يعومون في غمرة من الاحلام الجميلة والبديعة . ذلك لأن النفوس البشرية يطربها النغم الجميل والمعنى الاصيل . اجل يسعدنا الكلم الطيب ذو المعنى القيم الذي ترقى به الحياة وتحسن به احوال الناس كما يشقيها الكلام الخبيث ذو المعنى التافه الرخيص مما تفسد به الحياة وتنحط به الاذواق .

ذكر ابواسحاق الحصري في كتابه زهر الآداب^(١) ان ابا حازم وهو من اعيان الحجاز واقفياتها خرج حاجا لرمي الجمار فاذا هو

(١) الجزء الأول ص ٢١٠ .

بأمرأة حاسر قد فتنت الناس بحسن وجهها والهتمم بجمالها قال لها :
يا هذه انك بمشعر حرام وقد فتنت الناس وشغلتهم عن مناسكهم
فاتقي الله واستتري فان الله عز وجل يقول في كتابه العزيز « وليضربن
بجمرهن على جيوبهن » فقالت له يا عم اني من اللاتي قيل فيهن :

اماطت كساء الخزعن حر وجهها

وأرخت على المتئين بردا مهلهلا

من اللاتي لم يحججن يبغيين حسبة

ولكن ليقتلن البرىء المغفلا^(١)

فقال ابو حازم لاصحابه : تعالوا ندع الله لهذه الصورة الحسنة
أن لا يعذبها الله تعالى بالنار . فجعل ابو حازم يدعو واصحابه يؤمنون
فبلغ ذلك الشعبي فقال : ما أرقكم يا اهل الحجاز واظرفكم . اما
والله لو كان من قرى العراق لقال : اعزني عليك لعنة الله .

فخرج من هذه القصة ان جمال تلك الحسناء لم يشفع لها عند ابي
حازم بدليل انه زجرها حين رآها ونهاها عن سفورها وتلا عليها
الآية الكريمة ، ولكنه حين سمع منها الشعر رق لها ودعا الله بأن
يفغر لها ويرحمها .

وهكذا يصنع الشعر في النفوس حين يكون شعرا موحيا
يسحر القلوب والاسماع (وان من الشعر لسحرا) .

(١) المغفل الطيب القلب .

ملكة النقد

يقولون ان دولة الادب تحتل ثلاث ملكات :-

الاولى ملكة التذوق ، والثانية ملكة الانتاج ، والثالثة ملكة النقد .

اما ملكة التذوق فانها تحتاج الى طبيعة فنية والى حس شاعري ،
واما ملكة الانتاج فانها تحتاج الى مران ودربة وصبر على التمهيع
والتنقيب والمثابرة وتحتاج الى فكر حر واطلاع واسع ونظر بصير
بمراد النفوس واصول الاجتماع وفلسفة الحياة .

من هنا نعلم ان ملكة النقد لا تحصل مطلقا الا بعد توفر
الملكتين ، الانتاج والتذوق ، وبالصالة الانتاج وسلامة الذوق تظهر
مهارة النقد وقوته وفائدته .

سئل أحد النقاد عن سر نجاحه في النقد الادبي فأجاب بانه يعزو
نجاحه اولا وقبل كل شي . الى تركيز تفكيره فيما يريد نقده وتوجيه
جميع جهوده نحو عمل واحد الى ان ينتهي منه والى ان يحل جميع
مشكلاته .

هل يستطيع النقاد ان يصنع ادبيا

الحقيقة ان النقد عاجز عن صنع الاديب ، لان الاديب يحتاج
الى موهبة طبيعية اولا اذ هي العامل الاكبر في جعله ادبيا وهذه
الموهبة لا يخلقها التعليم اذا كانت غير مخلقة في جيلة الانسان . ثم ان
هذه الموهبة لا تبرز فيه الا اذا حاول محاولة قوية ومارس مختلف
الدراسات الادبية وحفظ الشيء الكثير من اشعار العرب القدماء .

ومن القرآن الكريم والحديث الشريف ورسائل البلغاء ، الى ان
تنجلي لديه تلك الموهبة فيقوى بها عقله ويستقيم لسانه ويتمذهب طبعه
ويحكم ذوقه وحينئذ يكون فهمه للنصوص الادبية فهما صحيحا
واحكامه في النقد صائبة وكل ما يستطع ان يصنعه النقد في الناقد
هو كما قال صاحب المثل السائر ان النقد يضع في يد الناقد سيفاً ليقاتل
به . وليس عليه ان يخلق له قلباً فان حمل النصال غير مباشرة القتال .
ولقد اجمل ابو الفتح الات علم البيان وأدواته والعلوم والاحوال
التي يحتاجها المتأدب فقال :-

« اذا ركب الله تعالى في الانسان طبعاً قابلاً لفن البيان فيفتقر
حينئذ الى ثمانية انواع من الالات » .

النوع الاول :

علم العربية من النحو والتصريف .

النوع الثاني :

معرفة ما يحتاج اليه من اللغة وهو المتداول المؤلف استعماله
في فصيح الكلام غير الوحشي الغريب ولا المستكره المعيب .

النوع الثالث :

معرفة امثال العرب واياهم ومعرفة الوقائع التي جاءت في
حوادث خاصة باقوام فان ذلك جرى مجرى الامثال ايضاً .

(١) كتاب المثل السائر ج ١ - ص ٩ .

النوع الرابع :

الإطلاع على تأليفات من تقدمه من أرباب هذه الصناعة المنظومة والمنشورة والتحفظ للكثير منه .

النوع الخامس :

معرفة الأحكام السلطانية ، الإمامة^(١) والإمارة^(٢) والقضاء^(٣) والحسبة^(٤) وغير ذلك .

النوع السادس :

حفظ القرآن الكريم والتدرب باستعماله وإدراجه في مطاوي كلامه .

النوع السابع :

حفظ ما يحتاج إليه من الأخبار الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم والسلوك بها مسلك القرآن الكريم في الاستعمال .

النوع الثامن :

وهو يختص بالناظم دون الناثر وذلك علم العروض والقوافي الذي يقام به ميزان الشعر .

-
- (١) الإمامة : رئاسة دينية ودينية يأتى بها الناس في أمور دينهم ودينام .
 - (٢) الإمارة : منصب يخول صاحبه أن يحكم في الناس بقوة نفوذه وسعة سلطانه .
 - (٣) القضاء : الحكم ، والقاض هو الذي يوكل إليه ببحث الخصومات للفصل فيها طبقاً للشرع والقانون .
 - (٤) الحسبة : منصب كان يتولاه في الدولة الإسلامية رئيس يشرف على الشؤون العامة من مراقبة الأسعار ورعاية الآداب .

دواعي دروس النقد الادبي

لقد قضى سبحانه وتعالى ان يكون لكل شي . مادي أو معنوي يظهر على مسرح الوجود سبب يوجب وجوده ويقوي عناصره ويهذب طبيعته ويسعى لا يصاله الى الغاية المرسومة ، و كذلك قضت قدرته ان يخلق الانسان على صورة خاضعة لناموس التطور وان يجعله في غده أكثر تفكيراً من امسه يفلسف الامور ويضع لها الحدود والسدود و كلما عمل شيئاً نزع الى اشياء يراها مفيدة له وحسنة في نظره ، ثم ان الناس ليسوا على درجة سواء من الفهم . وانما هم يتفاوتون فيما آتاهم الله من فضيلة العقل ونبل العاطفة وقوة الاملية . فمنهم من يدرك الجمال بالنظرة العجلى ، ومنهم من لا يدركه الا بجهد ومعاناة . ومنهم من يحتاج الى دليل يدل عليه ويحجبه له .

وبهذه الرغبة نشأت فكرة لدى المعنيين بالشؤون الادبية تحتم عليهم العمل على وضع موازين نقدية توجه اضواء على هذا التراث الضخم الذي انتجته قرائح الكتاب والشعراء وهفت اليه افئدة الاجيال البشرية منذ الخليقة حتى زماننا هذا وستظل تهفوا اليه الى ما شاء الله .

نعم ان هذه الفكرة دعت رجال الادب الى ايجاد فن يحدد معنى الادب ويشير الى او ابده ويؤلف بين اجزائه وينقيه مما ليس منه ويصونه من دخيله ويضع له قواعد أو ما يشبه القواعد لتكون معالم يهتدى بها الناشئون من الادباء . والنقاد يعرفون بها الادب السليم من السقيم ويميزون به الادباء الاحرار الخالدين من غيرهم من هم عالية عليهم .

فكان من ادمان البحث والتفكير في ذلك ظهور معايير للقول سموها النقد الادبي . ثم ظهر بعد ذلك رجال وسعوا ابوابه وفصوله وأعلنوا مبادئه ومناهجه وجعلوا يطوفون حول هذا النتاج الادبي العظيم يتوغلون في صميمه . ويبحثون في قديمه وحديثه شعره ونثره قصصه ومسرحياته مقاماته ومقالاته يقرأونه اولاً . قراءة فنية يدر كون بها جرس الكلمة وفصاحتها وجمال التركيب وبلاغته . ثانياً . يفسرون النص تفسيراً من جميع وجوهه المحتملة فيقيدون عمق معناه وفلسفته وجدته وطاقته . ثالثاً . واخيراً يصدرون الحكم عليه بالجودة أو الرداءة ان خيراً فخير وان شراً فشر ولهذا الامر العظيم قال الناقد الالماني الكبير الفويد كير : ان الادب بلا ناقد كالغريزة بلا عمل تنطلق في اعصار الميول والاهواء . لاضابط يكبح جماحها ويهديها سواء السبيل^(١) .

ولقد جاء في كتاب علي هامش الادب والنقد للاستاذ علي ادهم ما يخالف رأي الفويد كير ، فيقول ادهم نقلاً عن شوبنهاور : ان النقد لا يرجع الى قاعدة ولا يعتمد على اصل من الاصول وانما مداره على الذوق المهذب المصقول الذي يهتدى الى كشف الجمال ويوفق في اصابة الهدف .

وعندي ان المراد من الذوق المهذب في قول شوبنهاور هو ذلك الذوق الذي انضجته العلوم وصقلته الآداب وعلمته كيف يهتدى الى الجمال .

(١) مذاهب الادب ، محمد عبد المنعم الحفاجي .

الادب والتجارب الادبية

ظل مفهوم الادب العربي منذ نشأته الاولى محافظا على معناه القديم الذي قالوا فيه انه اللفظ البديع والمحتوى القيم والكلام المؤثر الدال على طبع سليم وخلق نبيل .

وهذه الاوصاف كلها - اتم عما يعبر عنه اليوم بالثقافة التي يتحلى بها كل من نال قسطا من العلوم والمعارف ونشط عقله وتهذب طبعه وحسن تفكيره ومنطقه وجاد عنده تأليف الكلام .

وقد يحلو للبعض ان يطيل الكلام في تطور كلمة أدب ولكنه لا يأتي منها بطائل . وكل ما اورده في تطويرها لا يتجاوز قول عتبة بن ربيعة في وصفه ابا سفيان لابنته هند حين خطبها (انه يؤدب اهله ولا يؤدبونه) وقول ابنته له (سأخذنه بأدب البعل) . وقول النبي صلى الله عليه وسلم لسيدنا علي عليه السلام حين سأله : يا رسول الله نحن بنو أب واحد و نراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم اكثره . فقال له الرسول (ص) : أدبني ربي فاحسن تأديبي . وهكذا بقيت كلمة أدب تطلق على كل كلام منشور وشعر موصوف ومثل سائر وموعظة بالغة وخطبة شريفة ورسالة بليغة^(١) .

ثم جاء ابن خلدون فأيد الذين سبقوه في الكلام عن معنى الادب فقال : المقصود من كلمة أدب عند اهل اللسان انما هي ثمرته وهي الاجادة في فني المنظوم والمنثور على اساليب العرب ومناحيهم فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الملكة من شعر

(١) من كلام محمد بن يزيد المبرد في صدر كتابه الكامل .

عالي الطبقة وسجع متساو في الاجادة ومساثل من اللغة والنحو مبسوثة
 اثنا. ذلك يستقرى، منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية مع
 ذكر بعض من ايام العرب يفهم به ما يقع في اشعارهم منها. وكذلك
 ذكر المهم من الانساب الشهيرة وال اخبار العامة. والمقصود بذلك
 كله الا يخفى على الناظر فيه شي، من كلام العرب واساليبهم ومناحي
 بلاغتهم اذا تصفحه. لانه لا تحصل الملكة من حفظه الا بعد فهمه،
 فيحتاج الى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه. ثم انهم اذا ارادوا تعريف
 هذا الفن قالوا: الادب هو حفظ اشعار العرب واخبارهم. والاخذ
 من كل علم بطرف يريدون من العلم علوم اللسان او العلوم الشرعية
 من حيث متونها فقط. وهي القرآن والحديث اذ لا مدخل لغير تلك
 العلوم في كلام العرب الا ما ذهب اليه المتأخرون عند كلفهم بصناعة
 البديع من التورية في اشعارهم وترسلهم بالاصطلاحات العلمية. فاحتاج
 صاحب هذا الفن حينئذ الى معرفة اصطلاحات العلوم. ليكون قائما
 على فهمها^(١).

التجارب الادبية:

اما التجارب الادبية فقد قالوا عنها انها تعبير فني عن فكرة من
 الافكار في لحظة من لحظات الحياة يتوهج فيها الشعور توهجا يتحتم
 التعبير عنها^(٢). فهي اذن هذا الانتاج الذي يتضافر على اخراجه
 العقل والارادة والوجدان بسبب حادثة اجتماعية او ثورة وطنية او

(١) مقدمة ابن خلدون ص (٥٠٨).

(٢) ان لفظ التجربة هنا ليس معناه المحاولة بل ما يمرض للانسان من فكر أو
 حادث أو احساس أو نحو ذلك (قواعد النقد الادبي لكرودي) ص ٢٥.

خاطرة ذاتية أو صورة طبيعية أو علاقة عاطفية كثرنا. صديق حميم أو مدح ماجد كريم أو ذم بخيل لثيم .

وقد تناولت التجارب الادبية شئونا اخرى كنادمة لبيب ، ومناجاة حبيب وما يتخلل ذلك من لطافة وظرافة تعبر عن شعور المحب وترفه عن قلب النديم .

وهكذا شأن التجارب لا تدع مجالاً في الحياة الا اقتحمته ولا سرا مكتوما الا كشفته ولا مخدعا محترما الا طافت حوله . وهل التجارب الا هذا الادب الرفيع الذي ينحصر جماله عن طبع الكاتب والشاعر في الكلمة يرسلها والقصيدة تقع على مواضع الحس من النفس فتثيرها حماسه ونجدة وتذيبها حنانا ورقة وتهزها اريحية ، وكرما وهل هي الا تلك الصحائف التي تزين رسومها بالوان الاخلاق وانتزاعات العقول .

انها اصدق مظاهر الحياة التي يترسمها الباحثون في احوال الامم والشعوب ، فيجدون الهدى الى تعليل الانقلابات وعرقان الاسباب التي صارت بالقبيل من الناس الى الرفعة أو نزلت بهم حيناً آخر الى الضعة^(١) .

ان هذه التجارب التي يسمونها النصوص الادبية قد استأثرت بفن النقد الحديث وشغلت اهم ابحائه لما لها من الاثر البليغ في نفس القارىء والسامع .

ومن مظاهرها :

اولا : ان تكون الفكرة التي تتضمنها ذات قيمة في معناها .

(١) عن كتاب الأدب العربي للاستاذ هاشم عطية .

و ذات جمال في صورتها لما لهذين العنصرين من قوة التأثير في العقل
والارادة والوجدان . ذلك لأن المعنى القيم يزيد العقل قوة ونباهة
و ابداعا ، كما ان الصورة الجميلة تبعث في النفس بهجة وبها ، وأريحية
مما يشير فيها أحب الذكريات وشتى المشاعر والانفعالات .

ثانيا : ان تكون التجربة تعبيرا عن امهات الافكار و كبريات
الحوادث التي تجذب الى الناس معاني العظمة في كل موضوع تتناوله
ويكون صورة صادقة للحياة الحرة الكريمة في مختلف مجالاتها وتبرز
للناس حقيقة الفكرة المراد بيانها وهي في الوقت نفسه تظهر ذاتية
الاديب على حقيقتها بكل ما انطوت عليه من اخيلة واحاسيس
ومشاعر .

اعظام النقد عند العرب عامة

ما اجل اعتذار الدكتور محمد مندور عن كون النقد الادبي عند
قدما . العرب جزئيا مسرفا في التعميم ، فقد قال : ان النقد الادبي يعتمد
على الاحساس الصادق ، وعلى الذوق الفطري لذلك كانت احكام
العرب في فن النقد احكاما عامة سارت على سنتهم مسير الامثال
كقولهم اشعر الناس امرؤ القيس اذا ركب وزهير اذا رغب والنابعة
اذا رهب والاعشى اذا طرب و كقولهم ارق بيتين قالتها العرب قول
امرئ القيس :

فلما تنازعنا الحديث واسمحت هصرت بفصن ذي شماريخ ميال
وصرنا الى الحسيني ورق كلامنا وراضت فذلت صعبة أي اذلال
و كقولهم اكذب بيت قالته العرب قول الاعشى :

لو اسندت ميتا الى صدرها عاد ولم ينقل الى قابر
و كقولهم أمثل بيت قالته العرب قول الاعشى في تقرير خصمه :
كناطع صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهي قرنه الوعل
و كقولهم اهجى بيت قالته العرب قول الاعشى ايضا :
يبيتون في المشتى ملاء بطونهم وجاراتهم غرثى يبتن خمائصا
و كقولهم أصدق بيت قالته العرب ، قول لبيد :
الاكل شي ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
وامثال هذه الاحكام كثيرة .
ولقد جعل الدكتور مندور لهذه الاحكام الذوقية العامة سببين :

الهما عدم وجود نقد منهجي :

وهذا امر طبيعي في حالة البداوة التي كانت تسطير على العرب ،
والرجل الفطري يستطيع باحساسه ان يخلق اجمل الشعر يصوغه من
مشاعره ومعطيات حواسه . وهو لذلك ليس في حاجة الى عقل
مكون ناضج يرى جوانب الاشياء كلها ولا يحكم الا عن استقصاء .
ومن الثابت ان الشعر لا يحتاج الى معرفة كبيرة بالحياة ، بل ربما
كان الجهل بها اكثر مواتاة له ، وكثيرا ما يكون اجوده أشده
سداجة .

والنقد المنهجي عنده لا يكون الا لرجل نما تفكيره فاستطاع
ان يخضع ذوقه لنظر العقل . وهذا لم يكن عند قدماء العرب وما لم
يكن لا يكون . ومن ثم جاء نقدهم جزئيا مسرفا في التعميم يحس

احدهم يجمال بيت من الشعر وتنفعل به نفسه فلا يرى غيره ولا
يذكر سواه كدأبه في كل امور حياته .

ثانبرها عرم التعليل المفصل :

قال وهذا ايضا شرط لم يكن من الممكن ان يتوفر لعرب
البدائة ، فالتعليل امر عقلي لا يستطيعه الا تفكير مكون وكل
تعليل لا بد له من استناد الى مبادئ . عامة . والعرب لم يكونوا قد
وضعوا بعد شيئا من مبادئ . العلوم اللغوية المختلفة التي لم تدون الا في
العصر العباسي ، ومن الواضح ان الاتجاه الى التعليل خليق بذاته ان
يسوق حتى في النقد الذوقي الى التمييز والتقدير ، والمراجعة
والتحديد ليصبح احساسنا اداة مشروعة للمعرفة .

واذن فقد ظل النقد في هذه المرحلة احساسا خالصا ولم يستطع
ان يصبح معرفة تصح لدى الغير بفضل ما تستند اليه من تعليل .
والذي يقصده الدكتور بعبارة النقد المنهجي . هو هذا النقد
الذي يقوم على منهج تدعمه أسس نظرية أو تطبيقية عامة ، ويتناول
بالدرس مدارس ادبية أو شعراء او خصومات يفصل القول فيها
ويبسط عناصرها ويبصر بمواضع الجمال والقبح فيها .

اما هذه الاصول التي انتهجها المرحوم مندور فهي تلك المبادئ .
التي ارتضاها قبله ادباء كبار كابن سلام الجمحي البصري وابن قتيبة
وابن المعتز وقدامة بن جعفر وغيرهم من رواد الحركة الادبية في
عصورها الذهبية كالأمدي وعبد العزيز الجرجاني وغيرهم .

وهكذا استمد الدكتور منهاجه من مناهج اولئك الادباء .

حقا انه منهج علمي سليم من حيث الاعتماد على ذوى الاختصاص،
غير ان هذا المنهج يحتاج الى عمل ادبي يوحد الاتجاهات الكثيرة
المبثوثة في تأليف اولئك الفضلاء. ويستخرج منها القواعد المتفق
عليها بحيث يستطيع الناظر فيها ان يميز النواحي الجمالية من غيرها
في النصوص الادبية التي يقع نظره عليها دون ان يرتاب في حكمه
ودون ان يضل الطريق .



الفصل الثاني

الفن بوجه عام

فنّ الفنّ الشئ، يفنه فنا انشأه نشأة جديدة وحسنه وجعله يعجب الناظرين اليه .

ويقال فنّ الاديب كلامه جعله ذا قيمة تعبيرية وقيمة انسانية أي جعله رائقا في السمع واللسان ومفيدا في الحياة .

وجاء في المعجم الوسيط ان الفن تطبيق عملي للنظريات العلمية بالوسائل التي تحققها . وفي القاموس المحيط فنان كشداد الحمار الوحش له فنون من العدو ويكتسب الفن بالدراسة والمرانة . وجملة القواعد الخاصة بحرفة أو صناعة ويحمله الوسائل التي يستعملها الانسان لاثارة المشاعر والعواطف وبخاصة عاطفة الجمال كالتصوير والموسيقى والشعر . اما الفن الادبي فهو هذا النظام البديع الذي يتناول مفردات اللغة فيؤلف بينها بأسلوب رائع وينشئها شعرا أو نثرا فنا نافعا فيها من روحه وروحا علوية جذابة تهفو اليها الافئدة وتنتشي بها العواطف ويجد الانسان فيها هواه وامانيه مرسومة ماثلة بين هاتيك الالفاظ والسطور .

حقا ان الفن الادبي هو هذا الذي يجسد لنا المثل العليا في قصيدة او قصة او مقامة او مقالة ويجعلها في صورة الواقع المحسوس حتى يحقق للمجتمع غاياته النبيلة واغراضه الانسانية ويجعل علاقاتنا الخاصة والعامة في منتهى الحسن والروعة بما فيه من قوة التأثير وبما يبعثه في النفوس من انبهار ونشوة وجمال .

ولقد ذهب الاستاذ محمود تيمور في كتابه الادب الهادف الى ان الفن بمعناه الواسع كقوس قزح يحوي مختلف الاطياف ولكن اطيافه وحدة لا تتجزأ وهي في مجموعها تؤلف ذلك الخط العريض الزاهي الذي لا يكتمل جماله وروعته الا باجتماع اطيافه لا يطغى فيه لون على لون .

ثم يقول سوا . أكان الفن في هذا المعنى الواسع لاهيا أم غير لاه . وسوا . أكان ظاهر الغرض أم ملحوظه وسوا . أكان جليل الموضوع أم غير جليل فهو انما يهدف الى خير الانسانية وعونها على الكفاح واحتمال ما في الحياة من اثقال وآلام .

مما تقدم نعلم ان الاستاذ تيمور يرى ان الفن وان تعددت موضوعاته وتنوعت اشكاله فهو واحد في جوهره ومظهره ، الا وهي الناحية الجمالية في جميع موضوعاته واشكاله .

ثم هو يدعو الى حرية الرأي وحرية الفن حرية كاملة غير منقوصة والى اطلاق يد ولسان الفنان لاعتقاده ان الابداع الفني منوط بهذه الحرية وموقوف عليها . فالحرية المطلقة للفنان الموهوب المخلص هي الضمان الاكيد للعمل الفني الذي يرقى به الناس وتعلمو به الحياة .

ولقد يخشى البعض من هذه الحرية المطلقة على ظن انها قد تكون سببا لخروج المفن على العادات والتقاليد الموروثة او انها تغريه على فتح باب قد لا يرضاه المجتمع .

(١) ولقد ذكر عبدالعزيز البشري في كتابه المختار ان الفن بمعناه النوع والحال . وقال في الفرق بين العلم والفن هو ان العلم مادته الفكر والنظر . وان الفن مادته العمل والاثر .

والحقيقة ان هذه الخشية ليست مؤكدة لأن المفروض بالفنان ان يكون من ذوي المواهب الفنية والاحساس المرهف والذوق السليم مما يجعله فى نجوة من الشطط . اذ ليس من المنطق فى شي . بعد توفر هذه المواهب ان يضعف ادراكه وتزل قدمه وينحط ذوقه الى الحد الذي تنعدم فى نفسه المسؤولية الاجتماعية ويعمل بما ينبو عنه السمع والذوق والعقل والوجدان . ان الفنان يعتبر نفسه المسؤول الاول عن تصفية النفس وتنقية الذوق وترقية الطبع واصلاح الضمير .

ماهية الفن

ان ماهية كل شي . حقيقته ومادته التى يتكون منها قبل ان تنالها يد الفن وقبل ان تخرج من حيز العزيمة والتصميم . فماهية الزهرة عناصرها الجوهرية المقومة لها والكامنة فى بذرتها والتي ظهرت حين نموها بشكل قاعدة وساق وتويج .

وماهية الموسيقى هي هذه الاصوات المنسقة التى تصدح بالالخان الساحرة والانغام العذبة المعبرة عما يحتاج فى خاطر الانسان من لذة ومتعة . (حتى يخيل ان الموسيقى تخلق فى الانسان ماضياً يجهله وتشيع فيه احزاناً كانت خافية عن دموعه) .

وماهية الانسان بدنه وروحه وبمجموع قواه الكامنة فى ذاته التى ينبعث منها شعوره وتفكيره وادراكه .

وماهية الفن المهارة التى تضيف على الشي . جمالا يتميز به عن غيره من افراد جنسه ونوعه وتعيين مرتبته ومكانه فى عالم الوجود والظهور . وماهية الشعر الفاظه الملحنة المـؤثرة التى تستهوي الوجدان

وتتسع بها الحياة وتهب القارى، أو السامع الوانا من النشاط والفتنة
وتكشف عن جوانب النفس الانسانية بأسلوب رائع بديع .

غاية الفن

اما غاية الفن ، فالسعى وراء الكمال المطلق وبلوغ ما يستطيع
بلوغه من ذلك الكمال .

فغاية فن التصوير مثلا نقل صور الطبيعة بالوانها الزاهية بشكل
رائع جميل يحيي فى النفس معنى الرشاقة والانسجام والجمال .

وغاية الموسيقى توصيل الحانها وانغامها محملة بالمعاني الروحية التى
عجزت اللغة عن ايصالها والتعبير عنها الى السامعين . (وهى بما لها
من تموج وتدرج وتركيب تستطيع ان تتكلم بالالف من اللهجات
الى الاف عديدة من المستمعين . وان تبوح بما لا تعبر عنه اية لغة)
وغاية فن الشعر بعث الافكار القيمة بطريقة بارعة توظف
العواطف النبيلة وتوجهها نحو متطلباتها الحيوية مما هو اجدى على
الحياة واسمى لذوق وارقى للاخلاق .

ولأمر ما قالوا : ان فن الادب ثمرة من ثمرات الحياة الاجتماعية
ينشأ فى البيئة الهانئة الوادعة وينشأ فى البيئة الصاخبة المحتدمة ،
يكون فى الاولى وصفا وحبا وسلاما وحكمة وفكاهة وما يتبع
ذلك من الوان المشاعر الجميلة المتصلة باحاسيس النفس وفيوضات
الخواطر .

ويكون فى الثانية فخرا وحماسة وهجاء ووعدا ووعيدا واثارة
للمعارك الدامية والبطولات الحربية وما يتبع ذلك من دواعى
القوة والرجولة .

الفنونه الادبية

ومن الفنون الادبية ايضاً تلك الاساليب البلاغية التي تكسب الكلام رونقاً وبها. أ في علم المعاني لا بد للاديب من مراعاة مقتضيات الاحوال لان للكلام البليغ صوراً تختلف باختلاف تركيبها كقوله تعالى (وانا لاندري اشر أريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشداً) فان ما قبل ام صورة من الكلام تخالف صورة ما بعدها . لان الجملة الاولى فيها فعل الارادة مبني للمجهول ، وفي الجملة الثانية فعل الارادة مبني للمعلوم ، والحال الداعي لذلك نسبة الخير اليه سبحانه وتعالى في الثانية ومنع نسبة الشر اليه في الاولى .

و كذلك تختلف صورة الكلام بالنسبة لاضرب الخبر مثل تأكيده او عدم تأكيده بحسب احوال المخاطب في تصديقه الخبر أو انكاره . وفي حاجته الى ذكر بعض الالفاظ أو حذفها . وهناك احوال اخرى كالتقديم والتأخير والقصر والوصل والفصل والايجاز والاطناب والمساواة الخ ...

وكذلك تختلف صور الكلام في علم البيان . ففيه التشبيه واغراضه . وفيه المجاز واقسامه من مرسل او مركب ، وفيه الاستعارة . والكناية على اختلاف صورها .

اما الفنون البديعية فقد اوصلها العلماء الى انواع لا تحصى . وقسموها الى معنوية ولفظية . وقالوا : ان الحسن في الفنون المعنوية راجع الى المعنى اصالة والى اللفظ بالتبعية . كالتورية ، والطباق ، والمقابلة ، وحسن التعليل ، وتأكيده المدح بما يشبه الذم ، او تأكيد

الذم بما يشبه المدح ، واسلوب الحكيم واللف والنشر والاستخدام ،
والتوجيه ، وتجاهل العارف ، والتوشيع الى غير ذلك مما يطول تعدادده .
واما المحسنات اللفظية فان الحسن فيها راجع الى اللفظ اصلاً
وان تبعه تحسين المعنى عرضاً . كالجناس ، والسجع ، والاقتباس ،
وحسن الابتداء ، وحسن الانتهاء ، وغير ذلك مما يخص اللفظ اولاً
والمعنى ثانياً .

الاسس العامة لفن النقد الادبي

يراد بالاسس العامة تلك القواعد الكلية التي تضم اشتاتا من
الجزئيات والتي يتخذها النقاد موازين يقيسون بها قيم الاجناس الادبية
ويصدرون على ضوءها احكامهم النقدية .

ولفهم طبيعة تلك القواعد الكلية نقسمها الى اقسامها المتجانسة
حتى يسهل علينا بحثها واتقانها . فنقول :-

اولا : القواعد الخاصة بالناحية التعبيرية ، وهذه تتمثل في :-

أ - قواعد علم النحو الذي يعرف به احوال اللفظ العربي من
جهة الاعراب والبناء .

ب - قواعد علم الصرف الذي يعرف به احوال ابنية الكلمة
التي ليست باعراب ولابناء . ويدخل في ذلك قواعد فقه اللغة واشتقاق
مفرداتها وهل هي عربية اصيلة أو انها مقتبسة من لغات اخرى .

ج - فهم معاني مفردات اللغة وهذا يوجب علينا دراسة القواميس
والمعاجم العربية قديماً وحديثاً . كلسان العرب والمحكم والمختص

والصباح والاساس وقاموس المحيط والمعجم الوسيط والمنجد وغيرها.
د - قواعد علم المعاني مما يعرف به احوال اللفظ العربي التي
يطابق بها مقتضى الحال .

هـ - قواعد علم البيان التي يعرف بها ايراد المعنى الواحد بطرق
مختلفة في وضوح الدلالة عليه كالتعبير بالحقيقة او المجاز . ثم النظر في
كيفية صياغتها ، أهي صياغة رائعة ام اعتيادية ام دون ذلك .

و - قواعد علم البديع التي يعرف بها وجوه تحسين الكلام كما
هو معروف في المحسنات اللفظية والمعنوية وما يندرج تحتها من
الوان هذا العلم ومباهجة .

ز - قواعد علم العروض والقوافي التي يعرف بها فنون الشعر
العربي وموازينه وما يعتريه من العلل والزخافات وما يلزم وما لا يلزم .
ثانيا : الناحية الشعورية والذوقية . وهذه تقتضي ان نعرف :

أ - كيفية نشوء الملكة التي يقتدر بها الاديب على اجراء التلائم
القوى بين سمو الفكرة وسمو الصورة . وهل تلك الملكة هبة لدنية
أو انها مكتسبة تأتي عن طريق التعليم والمران والدراسة .

ب - قدرة الاديب العجيبة في نقله ادق المشاعر بأدق التعابير
بيسر وسهولة مع كثرة الانتاج وتنوع الاغراض واشتمال هذا الانتاج
على الخصائص التي تستجيدها الاذواق في جمال صياغته وجدة معانيه ،
حتى يخيل ان تلك التعابير ما خلقت الا لتلك المشاعر ، وان تلك
المشاعر ما خلقت الا لتلك التعابير .

ثالثا : الناحية التاريخية وهذه تستلزم الاحاطة بتاريخ الادب

العام الذي نعرف به تواريخ الادباء، والموامل التي هيأتهم للحياة الادبية
وفجرت في نفوسهم تلك المعاني التي نكبرها ونعجب بها . وبهذا
نستطيع :-

أ - تحقيق ما ابدعوه من فنون الكلام تحقيقا نبلغ به صحة
نسبته الى قائله ، وهل هو كما نطقوا به أو طرأ عليه تحريف أو
تصحيف بسبب أو بآخر . ثم هل هو موضوع منتحل أو انه أصيل
مبتكر .

ب - معرفة الاساليب العربية القديمة وما فيها من اصالة وبراعة
وما امتازت به من خصائص ومزايا .

ج - معرفة المتقدمين من الادباء ، والمتأخرين عنهم لكي نميز بين
المبدعين والمقلدين وبين الذين تواردت خواطرهم حول معنى من المعاني
او تركيب من التراكييب .

د - الاطلاع على المقاييس النقدية والتطورات التي حدثت لها حتى
نعلم ما استحسنه النقاد من منظوم القول ومنشوره وفق تلك المقاييس .

هـ - الاحاطة بالمذاهب الادبية الحديثة وبالتيارات التي تتلاقى
فيها والحدود الفاصلة بينها .

الفصل الثالث القديم والحديث

لقيت هاتان اللفظتان حظا وافرا من العناية ونالتا نصيبا كبيرا من جهد الادباء ، فمنهم من يرى في القديم مزايا لم يجدها في الجديد ومنهم من يخالف هذا الرأي ويرى في الجديد امورا لم يحظ بها القديم . ولكل طائفة من الباحثين في المجالات الادبية آراء جدية بالاعتبار والتقدير . ليس هذا محل التفصيل فيها وانما غرضنا من طرق هذا الموضوع هو مجرد الاشارة الى تلك الخصومات الادبية التي دارت رحاها بين ارباب الاقلام في مختلف الازمان .

فالخصومة بين انصار القديم وانصار الحديث ليست حديثة ، فهي دائما وابدا خصومة طبيعية قائمة بين الاجيال البشرية المتعاقبة . فالجيل الجديد الذي يبدأ حياته الفكرية ينظر الى الجيل الذي سبقه في الزمن نظرة تشير الى عدم القناعة والرضا والاطمئنان الى عادات وتقاليد وافكار الجيل السابق باعتبار ان الجيل الجديد يتمتع بحكم فتوته وشبابه بقوة تحجب اليه الطموح والمغامرة والتضحية وتحبي في نفسه آمالا عريضة واسعة تغريه بالمزيد من رفاه العيش ومتع الحياة مضافا الى ذلك حصوله على انماط جديدة من العلوم والمعارف التي لم تكن متيسرة لدى الجيل الذي سبقه بسبب التقدم الحضاري المستمر .

بينما الجيل القديم ينظر الى الجيل الجديد نظرة عطف واشفاق وتبدو على محياه ابتسامة تقول للجيل الصاعد (في التآني السلامة

وفي العجلة الندامة) . ان هذه النصيحة الصادرة من الجيل القديم للجيل الجديد تحمل في طياتها معنى فيه روح الاستخفاف والاستهانة فليس من السهل تقبلها والاخذ بها . لذلك كان وقعها في نفسية الجيل الناشئ، وقعا ممضا . فمن الطبيعي ان يكون نائرا مستنكرا للقديم متلهفا للجديد . وبهذه العوامل ستظل رحي هذه الخصومات دائرة بين القديم والجديدا دامت عجلة الزمن في تقدم مستمر وما دامت الحضارة البشرية تنمو وتزدهر في كل سنة بل في كل شهر .

لا يخفى ان الافكار الادبية كسائر شؤون الحياة خاضعة للتطور والتغير من حال الى حال . فقد يسعفها الزمن بنخبة من الناس تأتي بالمعائب من الافكار بحيث تهز كيان مجتمعاتهم هزا عنيفا تنبه عقولهم وتوقظ مشاعرهم وتطهر قلوبهم من اسباب الضعف والكسل والخمول وتبعث فيهم نشوة قوية تغريهم وتشجعهم على الطموح والتطلع الى فجر جديد يرون من خلاله آفاقا رحبة وحياة حرة ودنيا زاخرة بالامال والاماني .

وحينئذ يدعو هؤلاء الادباء اجيالهم الى نبذ القديم البالي والنزوع الى كل جديد . ومن هذا المنطلق تنبثق الثورات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية فتكتسح كل قديم لا يلائم عصرهم وتتمسك بكل ما هو نافع ومفيد لهم مما يشبع رغبات الجيل الصاعد ويحقق آماله ، ويقربه من مثله الاعلى الذي يطمح اليه .

في وهمة اللغة والهرف وهمة الامة

خذ امتك العربية مثلا فقد مرت عليها قبل الرسالة ادهار

مختلفة متبانية ترفعها حيناً الى الارج وتنحط بها حيناً آخر الى
ما دون ذلك . ولما اذن سبحانه وتعالى لها بالنهوض وهياها لحمل
رسالته بث في نفوس ابنائها العزة والتعالي وجعلهم يعملون جاهدين
لجمع كلمتهم وتوحيد لهجاتهم وصهرها في بوتقة واحدة . وبذلك
اصبحت لغة قريش هي اللغة السائدة بينهم يصنعون بها اشعارهم ،
وينشئون خطبهم ويكتبون رسائلهم . حتى اذا جاءهم القرآن الكريم
وبث فيهم ما بث من معانيه وتعاليمه واحكامه اخذت لغتهم تزداد
تموا وتقدما فسلمت الفاظها ورقت معانيها وحسنت تراكيبها .
فنشأت عندهم طبقة اخرى من الشعراء والخطباء والكتاب . واخذ
هؤلاء الادباء يبحثون الناس على الفتح ويحضونهم على الاتصال
بالامم الاخرى ويحبسون اليهم الاخذ باسباب حضاراتهم حتى اذا
تم لهم ذلك وتوسعت فتوحاتهم وامتد نفوذهم في مشارق الارض
ومغاربها جنحوا الى الترف والنعيم الى حد انساهم مبدأ الجهاد واقعدم
عن الفتح . وحينئذ ضعفت همهم وانحلت عزائمهم وتقطعت اوصال
دولتهم على ايدي الخلفاء العباسيين الذين اعطوا ازمم الحكم الى
عناصر غير عربية ممن يحملون في قرارة نفوسهم روايب دياناتهم
القديمة ويضمرون حقدا دفيناً على العرب الذين فتحوا بلادهم وابطلوا
عقائدهم . وطفق هؤلاء الحاقدون على العرب والاسلام يخادعون
الناس باساليب ظاهرها فيه الخضوع والطاعة وباطنها فيه التمرد
والعصيان عن طريق حرية الفكر وحرية الفن وابعاحة العلم للجميع .
ومن هذا الباب دخل ذوو الاغراض فتعددت المذاهب الاجتماعية
والدينية والسياسية وصار كل مذهب يدعو الى مبادئه ويكشف

عن اهدافه فنشأت نظرية الفن للفن والدين لله والعلم للجميع، وهكذا اشتدت دواعي الخصام واتسعت شقة الخلاف بين ادباء العربية منذ القرن الثاني للهجرة الى يومنا هذا .

نعم انتهز الحاقدون فتح هذا المجال، مجال الحرية وأخذوا يشنون الغارات على كل قديم عسى أن يهدموه وينالوا منه ما يشفي غليلهم ويحقق اهدافهم ، وقد جرى المغفلون منا مجرى الحاقدين ونددوا بالقديم ايضا بحسب ما تهيأ لهم من الافكار والآراء . غير ان كثيرا من ارباب العلم وحقاق الادب تصدوا لتلك الحملات الظالمة واماطوا اللثام عن اهدافها الحقيقية فبينوا زيفها حتى ابطلوها وأثبتوا فضل القديم على الجديد وان لقديمنا ا كبر الاثر في بقاء امتنا وتخليد تراثنا الادبي الذي لم يوجد مثله لدى الكثير من الامم .

سبب الخلاف المطاير بين القديم والجديد

ان اختلاف بعضنا في القديم والحديث ناشىء من ان ادباءنا المعاصرين فتحوا عيونهم بعد رقاد طويل على حضارة اجنبية خطفت ابصارهم وخلبت البايهم وجعلتهم يشعرون بتخلف عن ركب الحياة الجديدة . فدفعهم هذا الشعور الى الاستهانة بالقديم ، وقالوا لا بد لنا من ان نولي وجوهنا شطر المستشرقين الذين نشروا مؤلفاتنا ووضعوا ايدينا على كنوز تراثنا .

وهكذا انخدع بعضنا فاكبروا اعمال المستشرقين وعجبوا من مجهودهم فصاروا يلقفون كل ما صنعوه فينا وما قالوه عنا بدون تحفظ ولو كان قولهم مسخا لتراثنا وهدماً لكياننا وبحقا للفتنا ووحدتنا .

لقد حاول الاستعمار ان يشوه حضارتنا في اعياننا ويحدد فلسفتنا في الحياة فيقول على لسان ارنست رينان الا فرنسي: « ليست الفلسفة العربية سوى الفلسفة اليونانية مكتوبة با حرف عربية»^(١).

ومن المؤسف حقا ان يتخذ بعض الباحثين في بلادنا هذا القول سنداً له يردده في كثير من ابحاثه ليقال عنه انه مثقف متجدد.

ولم يكتف الاستعمار بذلك بل اخذ يروج للغة العامية ويزعم انها احق من الفصحى بالعناية. باعتبار ان اللغة العامية هي لغة الغالبية من الناس وانها سهلة بسيطة خالية من القواعد، بينما اللغة الفصحى هي لغة الخاصة من اهل العلم والفن والادب، وانها صعبة مشحونة بتعابير فوق مستوى الجماهير مما يجهد العقل والقلب واللسان.

ولم يقف اصحاب هذه الدعوة عند هذه الحدود المقيتة بل اخذوا يجذبون استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية اخلوها من الحركات ولنكون تبعاً لأهل اوربا في حروفهم اللاتينية.

وكان اكثر الداعين الى كل ذلك ينتمون الى عرب لبنان وعلى رأسهم المستشرق الفرنسي في قسم الشؤون الشرقية في وزارة الخارجية لويس ماسنيون^(٢) الذي حاول ان يبث دعوته هذه في المغرب وفي مصر وفي سورية ولبنان خاصة عن طريق الذين في قلوبهم كره وحقد على العروبة والاسلام.

ومن رحمة الله تعالى ان هياً لصد هذه الدعوة الخطرة رجالاً من

(١) كتاب التبشير والاستعمار ص ٢١٩ . للدكاترة الخالدي وفروخ .

(٢) » » » ٢٢٠ » » »

المؤمنين الذين لا تأخذهم في الحق لومة لائم فتصدوا لها وسفهوها،
واصحابها وبينوا للناس ان تقطيع اوصال العرب والاسلام لا
يمكن ان يتم ما دام هناك لغة واحدة يتكلمها العرب والمسلمون.
ويعبرون بها عن آرائهم . وما دام هناك حرف عربي يربط حاضر
المسلمين الى تراثهم الماضي وقالوا لهم اذا حمل المستشرقون والمستعمرون.
وخذعوا العرب على الكتابة باللغة العامية اصبح لكل قطر عربي
لغة خاصة به ، او لغات متعددة . ثم اذا هم استطاعوا ان يحملوا
المسلمين على التخلي عن الحرف العربي واحلال الحرف اللاتيني مكانه
انقطعت صلة العرب تماما بادبهم القديم وبالمؤلفات الدينية والمغوية
والادبية والتاريخية والفكرية . حينئذ يصبح العرب وحدات لغوية
وفكرية غير متعارفة ثم تتنافر هذه الوحدات مع الزمن فيسهل
اخضاعها بجهد ايسر من الجهد الذي تحتاج اليه هذه الغاية الآن^(١) .

نقد الرافعي لطلح حسين

واني لارى ان من المفيد جدا ان اذكر قولاً للاستاذ مصطفى
صادق الرافعي حول المشادة بينه وبين الدكتور طه حسين في معنى
القديم والجديد اذ ذكر الكاتبين الفاضلين باعتبار ان كل واحد منهما
رئيس لمدرسته وزعيم لاتباعه .

يقول المرحوم الرافعي للدكتور طه حسين : انا لست انكر
التجديد وانما انكر شيئاً واحداً وهو ان يقال مذهب قديم ومذهب
جديد . فقد وسع الله على الناس فيما علموا وفيما جهلوا ، ولكن اصحابنا

(١) كتاب التبشير والاستعمار ص ٢٢٥ للدكاترة الخالدي وفرغ .

يريدون الان نكتب الانمطا بعينه ولا نذهب الا مذهبا بعينه لأن كل ذلك هو الجديد ، فايها خير لنا ولهم والمذنب سيخرجون تاريخهم من قبورنا : ان نعتد اللغة والادب كل ما اجتمع من قديم وجديد ونحكم هذه اللغة ونحفظها وندفع عنها ونجعل تجديدها كتجديد الحسناء في اوابها والوانها دون تشويه ولا مسخ ولا مس للجسم الجميل . الى ان يقول : يا ايها الملاء افتوني ما هو هذا الجديد ؟ أهو ذاك الخيال الشارد المجنون ، ام تلك الشهوات المتوثبة المتلهفة ، ام ذلك الاسلوب الفج المستوخم ، ام العامية السقيمة الملحونة ، ام هو في الحقيقة بين رغبة في النبوغ قبل ان تتم الاداة وتستحكم الطريقة ، كما هو شأن فريق من الكتاب فيختصرون الطريق بكلمة واحدة هي المذهب الجديد . وبين رغبة في التعصب للاداب الاجنبية كما هو شأن فريق آخر ، وبين رغبة في الحط من قيمة بعض الناس ورميهم بالجهل والسخف وانه لا قيمة لما يجيئون به ؟ كل ذلك في تعبير علمي يصح ان يكون نظرية علمية .. وقبلهم قالها العرب في القرآن الكريم لو نشاء لقلنا مثل هذا . ان هذا الا اساطير الاولين . فقد شاؤا فلم يقولوا . ولو ان المذهب الجديد فسر القرآن يوما .. لقال في معنى اساطير الاولين انهم ارادوا بها المذهب القديم^(١) هذا لون ثان من الوان الخلاف بين القديم والجديد .

وهناك الوان اخرى من الخصومات دارت بين المحافظين والمجددين ثم دارت بين المجددين انفسهم متطرفيهم ومعتدليهم . وقد انتظمت تلك المعارك موضوعين هامين معركة مفاهيم الثقافة ومعركة مفاهيم

(١) وحي القلم جزء ٣٠٠ ص ١٠٠

الادب . وكان ابرز اعلامها في معسكر المحافظين احمد زكي شيخ
العروبة وفريد وجدي والرافعي ومحمد احمد الغمراوي وشكيب
ارسلان ورشيد رضا ، وفي معسكر المجددين العقاد والمازني وزكي
مبارك وهيكل وطه حسين وسلامة موسى .

تيارات المعارك الادبية المعاصرة

وكان اظهر جوانب المعارك الادبية المعاصرة بحري في خلال اربع
تيارات واضحة هي المحافظة والتجديد ثم التقريب والاعتدال في
التجديد. وقد دلت هذه المعارك على يقظة المحافظين وما سموهم بدعاة
القديم .

فهم عندما قاوموا تمصير اللغة العربية أو مذاهب التجزئة
والقوميات الضيقة أو الفرعونية أو الفنية أو غيرها أو الشعر
الجاهلي أو آراء التغريب أو الاحاد أو التهمين من شأن الدين في
المجتمع أو الفكر أو فضل العرب على الحضارة انما كانوا اصدق ايماناً
وأقرب الى الحق وابتعد عن الانحراف .

غير ان الخطر في الامر ان معارضة دعوات التغريب والاندفاع
نحو الغرب والتطرف والانحراف لم يلبث ان ظهر في جانب المدرسة
الحديثة نفسها فقد انقسمت هذه المدرسة التي تعلم ابناؤها في اوربا
انقسمت على اساس تطور فكري وتحول عقائدي . فقد كان دعواتها
في اول الامر من أشد المتحمسين للحضارة الاوربية غير انهم
اكتشفوا مدى الخدعة التي تكمن وراء اطلاق هذه الدعوة حينما
شاهدوا الفوارق البعيدة بين اشارات الحضارة الغربية وبين واقعها

وتصرفاتها الفعلية في العالم العربي والاسلامي . هناك استفاقت معاني جديدة في نفوس هؤلاء المفكرين جعلتهم يقفون وقفة النظر والتأمل غلبت عليهم عاطفة الايمان بالوطن والتراث وحق امتهم عليهم . وقد بلغ بهم الاعتقاد حد الايمان بان هذه المذاهب التعبيرية لن تصل بهم الى خلق امة جديدة أو فكر جديد هنالك قاوموا زملاهم في ارائهم ووقفوا يعارضونها وفي مقدمة هؤلاء ساطع الحصري والدكتور هيكل ومنصور فهمي وزكي مبارك .

فقد عارض هيكل طه في كتابه الاساطير على انها جزء من سيرة الرسول . وعارض ساطع وزكي مبارك وعبد الرحمن عزام اراء التجزئة والفرعونية، وعارض توفيق دياب الادب المكشوف وعارض منصور فهمي التقليد الخالص وعارض فليكس فارس نظريات التغريب في الثقافة وعارض زكي مبارك النزعة اليونانية وعارض المازني الكتابات الاباحية وترجمة القصص الفرنسية المكشوفة^(١) .

(١) كتاب للمارك الادبية للاستاذ انور الجندي ص ٧

الفصل الرابع

مجموع عصور الادب اليوناني

قسم مؤرخو الادب آداب اليونان الى سبعة عصور :^(١)

١ - العصر الخرافي ولم يبق منه الا القصص الخرافية عن الالهة ونحوهم مما يسمى في اصطلاح الفرنجة ميثولوجيا (Mythology) يبدأ هذا العصر قبل تدوين التاريخ وينتهي بانتهاء القرن التاسع قبل الميلاد واسما. ادبائه خرافية .

٢ - عصر الابطال والحروب من القرن التاسع الى حوالي نصف القرن السادس قبل الميلاد (من سنة ٩٠٠ - ٧٥٠ ق م) ، وفيه ظهر الشعر الوصفي او القصصي كمنظومات هوميروس في الايلاذة والاوديسة الذي يعتبرونه ابا الشعراء ، وجاء بعده هسيود فانشأ شعراً في نشيدتين احدهما ألف بيت وصف به بناء العالم وتعاقب الالهة والآخر ثمانئة بيت وصفت به الطبيعة .

٣ - العصر الثالث في سنة (٥٧٠ - ٥٠٠ ق م) وفيه تحضر اليونانيون وعمروا المدن ووضعوا الشرائع وانشأوا المستعمرات وانشأ الشعر التمثيلي الدراما (Dram) والشعر الغنائي المعبر عن شعور الشاعر في المدح والحماسة والغزل والرثاء، ونبغ في كل بلد شاعر ينصر قومه ويعبر عن شعائرههم ، ومن شعراء هذا العصر ارشيلوك وسيمونيد وغالينوس ، ونبغ ايضا شواعر منهن اريني . ومن قبيل الشعر الغنائي الشعر الديني الذي كانوا يغنونه في الصلوات .

(١) تاريخ آداب اللغة العربية لجرحي زيدان .

٤ - العصر الاثيني سنة (٥٠٠ - ٣٠٠) قبل الميلاد وفيه نضج الشعر التمثيلي واشهر اصحابه اشيل وسفوكلس ويوربيدس . وفيه ظهر هيروديتس ابوالتاريخ . والفلاسفة سقراط وزينوفون وافلاطون وارسطو .

٥ - العصر الاسكندري (٣٠٠ - ١٤٦ ق . م) وفيه انتقل العلم من اثينا الى الاسكندرية على عهد البطالسة فزهت هذه المدينة بالعلماء . والفلاسفة ، ومن مشاهير الشعراء الغنائيين كليماك وايولونيوس الروديسي ومن الرياضيين اقليدس وارشميدس .

٦ - العصر اليوناني الروماني (١٤٦ ق . م - ٣٣٠ م) وكانت بلاد اليونان قد سقطت وذهبت دولتها ودخلت في حوزة الرومان فذهب علمها وخلت قرائح اهلها (والذلي يذهب بالقرائح) فضعفت آداب اللغة فيها . ولكن النصرانية احدثت انقلابا في تلك الآداب فادخلت فيها بعض الاساليب الشرقية ومن مشاهير ادباء هذا العصر في التاريخ والادب بوليبس ونيقولاس وسترابو وارشياس وابولودورس .

٧ - العصر البيزنطي من (٣٣٠ - ١٤٥٣ م) زهت فيه بيزانس (القسطنطينية) وكانت مركزا للآداب اليونانية حتى فتحها العثمانيون سنة ١٤٥٣ م ، فدالت دولة الروم ، ومن علماء هذا العصر هيربوس وتمستس وليبانيوس وجولييان .

هذه خلاصة تاريخ آداب اللغة اليونانية فقس عليها تواريخ آداب سائر اللغات فانها كثيرة الشبه بها من حيث تناسق عصورها بالنظر الى نشوء العلوم فيها فان اقدم آدابها دائما الشعر الديني يليه الشعر

القصصي والتمثيلي فالغنائي. ثم ينشأ الادب والخطابة والتاريخ وتضبط اللغة وقواعدها ، ثم الفلسفة والعلم الطبيعي ثم تستغرق الامة في المبالغات والتفاصيل الخارجة عن المعقول ويقل فيها الاستنباط وتبلى جودة الشعر وتضعف القرائح بالذل والتقهقر .

مصادر الادب اليوناني

اما مصدر ادبهم فقد لخصه الاديب الكبير شلي مؤلف كتاب (برومسيوس طليقاً) فقال

كان كتابهم يتناولون بالتعرف ما يختارونه من فصول في تاريخهم القومي الواقعي والاسطوري ليجمعوا منه موضوعاً لادابهم ومسرحياتهم ولم يكن لتصرفهم في ذلك التراث اسباب واسباب . ولم يحس كتاب الاغريق قط انهم ملزمون بالتقيد بالتفسير الشائع للخرافات والتاريخ . كما انهم لم يجدوا ما يضطرهم الى تقليد اسلافهم او اندادهم سواء في تفاصيل القصة او في عنوانها . ولو قد التزموا ذلك لما كان هناك مجال لتفوق كاتب على انداده من الكتاب . والرغبة في التفوق هي التي هدتهم الى انشاء المسرحيات التي تجوز فيها المفاضلة . فقصص اجا ممنون عرضت على المسرح الاثيني في صور شتى واحتملت من التخرجات بقدر ما كتب المؤلفون من مسرحيات انتهى ..

ولاجل ان نكون على بينة من معرفة ذلك ينبغي لنا ان نعلم شيئاً عن الفكر اليوناني الغارق في الاساطير وعمما اكتسبه وتأثر به واستحدث من عقائد وعادات وتقاليد مما كانت تضطرب فيه تلك

الاجيال الغابرة . ولعل اوضح صورة تتمثل بها تلك الاحقاب التاريخية
السحيقة هي التي جلاها لنا الشاعر شلي ايضا في كتابه الذي المعنا اليه
توأ . فكتب تحت عنوان : الاسرة المقدسة فقال :

كان الاغريق يعتقدون ان الازل الاول كان مادة لا شكل لها
ولا معالم ، واحدة في عنصرها ، مختلطة لم يدخل عليها نظام وزعموا
ان تلك المادة الاولى كان يحكمها اله يدعى كاوس اي (السماء) او
(الفوضى) لا يعرف احد من مظهره شيئاً لان العالم كان مظلماً في
القديم ، ولم يكن هناك سبيل الى رؤيته ، وقد شاركت نكس اي
(الليل) زوجها كاوس سلطانه ، فزادت طلعتها السوداء . وسرايبها
القائمة الكون عتمة ووجوماً .

ملّ كاوس ونكس حكم الوجود فاشركا ولدهما اربوس اي
الظلام في الحكم ، فما عتم ان عزل اباه من عرشه ، وانفرد دونه بادارة
الوجود . ثم تزوج امه وشاطرها دولته ولبثا كذلك زمناً حتى انجبا
ولدين آية في السماء ، هما الاثير اي (النور) وهميرا اي (النهار) وتعاون
هذان على خلع والديهما (الليل) و (الظلام) والاستئثار بالملك
دونهما ، فاستضأت ارجاء الكون ، ورأى الاثير وهميرا ما كان
الكون فيه من البشاعة والاضطراب ، ولكنها استطاعا ان يستشفا
في طبيعته ممكنت لا تحدد ، فحزما أمرها على ان يخلقها من هذه
الكتلة المختلطة عالماً فتاناً ، ولكن الكون رحيب وهذا مشروع ليس
بالهين فاستنجد (النور) و (النهار) بولدهما اربوس اي (الحب)
لعله يعينهما على اصلاح كل هذا الاعوجاج في المادة . وقد كان ذلك ،
فكان ثمرة جهدهم خروج جايا اي (الارض) وبونتوس اي (البحر) .

من هذا الوجود المضطرب ، و كانت الارض في ذلك قرصا جافا ،
و كانت جرداء سمراء ، لا همس فيها ولا نفس ، فعز على (الحب)
ذلك و اخترق احشائها بسهمه فاذا هي خضراء و ارفة الاغصان ،
زينت باجمل الاصباغ ، و انتعشت فيها الحياة فطارت في ايكها عصافير
الجنان ، و تناغت على حشائشها ضروب الحيوان ، و سبحت في انهارها
الصفية الاسماك ، فما ان احست (الارض) بما فعله (الحب) بها حتى
رأت ان هذا الثوب القشيب الذي لبسته يحتمل مزيداً من التبرج
فاستكملت زينتها بخلق (السماء) فصاغت القبة اللالاة و دعتها
اورانوس .

تم زواج (الارض) و (السماء) و حكما العالم معا من قمة جبل
الاولمب في بلاد اليونان ، ثم اعقبا اثني عشر مارداً جباراً عرفوا
بالتياتين ، نصفهم ذكور و نصفهم اناث بلغ من بأسهم ان اباهم
اورانوس خشي شرهم ، فقذف بهم في هاوية مظلمة تدعى تارتاروس
و اوثقهم فيها باغلال لا تحل . ثم كثر ضيفان الهاوية لان اورانوس كان
كلما انجب ولداً القى به في قاعها ، فضجت (الارض) من فعال السماء ،
و طلبت جايا من اورانوس اطلاق سراح ابنائها فلم يكثر لسؤ الها .
و هكذا بدأت الحرب بين الارض و السماء ، نزلت جايا الى الهاوية
و استنهضت التياتين ليشوروا على ابيهم و يسقطوه من عرشه ، ولكن
خوف التياتين من بطش اورانوس اقعدهم جميعا عن العصيان ما خلا
واحداً هو كرونوس اي (الزمن) او ما يسميه الرومان ساتورن
و يسميه العرب زحل . وجد كرونوس في نفسه الشجاعة الكافية
للقيام بهذه المغامرة . ففكت جايا اصفاده و زودته بمنجل و زودته بنصح

ثين . وسعى كرونوس الى اورانوس وباغته بمنجله فهزمه شر هزيمة .
وبذا سقطت السماء واعتلى الزمن عرش العالم . ولكن اورانوس لم
ينس ان يصب اللعنة على ولده المغتصب ويتنبأ له بمصير شبيه بمصيره .
حل كرونوس وثاق التياتين ذكورهم واناثهم واصطفى منهم تيتانة هي
ريا لتشار كه ملك الكون ووزع على اخوته واخواته ملك الافلاك .
حكم هايبيزون وفيبي الشمس والقمر وحكم اوقيانوس وفيبي المحيطات
والانهار . كذلك خص الباقين بانصبه في ادارة الوجود .

انجب كرونوس ولداً وتذكر نبوءة ابيه فابتلعه . وانجب آخر
وثالثا ورابعا فلم يبق على احد منهم ، فغضبت ريا ايما غضب وعولت
على مناهضة زوجها . فما ان وضعت اصغر بنيتها حتى اخفته عن زوجها
القاسى . وكان هذا الولد هو جوبتر اي المشتري الذي قدر له ان يفعل
بابيه كرونوس ما فعله كرونوس بابيه اورانوس .

دارت العجلة دورتها وسقط الزمن على الارض ، وقال فرجيل :
انه سقط في روما فكتب لها الخلود . نزل زحل وصعد المشتري .
نزل كرونوس وصعد روس بلغة اليونان . اما الرومان فقالوا :
نزل ساتوران . وصعد جوبتر . وهنا تبدأ الرواية .

صار الى جوبتر ملك الكون . غير ان هذا الوضع لم يكن شرعيا
لان جوبتر كان مغتصبا ولم يكن وارثا . وكيف يفعل التياتين ؟
سكت منهم ضعفاء القلوب وثار منهم الاقوياء . لكن جوبتر نكل
بالثائرين وقذف بهم في الهاوية المعهودة . وهكذا نفض يده من اعمامه
جميعاً . فمن لم يدن له بالولاء . كان نصيبه العالم السفلى . وبقي هو
مملكاً في الكون بغير شريك .

واخوته الذين ابتلعهم الزمن واحداً بعد واحد ماذا كان مصيرهم؟
ارغم جوبتر اباه كرونوس اثر هزيمته ان يلفظهم واحداً بعد واحد ،
واستخدمهم هو في ادارة املاكة الواسعة .

كان لجوبتر ابن عم يدعى برومسيوس اي (الفكر المتقدم) وابن
عم آخر يدعى ابيمسيوس اي (الفكر المتأخر) . وهما ولدوا احد
التياتين . فلما ثار جوبتر على ابيه انضم اليه وعاوناه على تأسيس
دولة فكافأهما جوبتر على ذلك بان عهد اليهما بايجاد الاحياء على
الارض . اشتغل ابيمسيوس الساذج بخلق الاسماك والطيور وسائر
فصائل الحيوان ، اما برومسيوس الاريب فقد اشتغل بخلق كائن
جديد يفوق كل هذه الكائنات مقاماً ، فسوى الانسان من صلصال
وجعله يسير منتصب القامة . وقد رفع بصره الى النجوم .

وبالغ ابيمسيوس في تزيين طيوره بالالوان الجميلة وحيوانه
بشتى المحاسن فاجاب برومسيوس على ذلك بان زود الانسان بالنار .
صعد برومسيوس الى السماء واوقد مشعله من الشمس سراج السماء .
وهبط بالنار الى الارض واعطى الانسان الشرارة الاولى فاستطارت
على مر الزمان نوراً في العقول ونوراً في الحياة . وكانت بها المعرفة
والحضارة والفنون والصناعات . وكان هذا هو العصر الذهبي
للانسانية . فكل الناس سعداء ، والسلام ينجيم على الارض والخطيئة
شيء . لا يعرفه احد . وكانت ايام البشر كلها ربيعاً متصلاً ولم يكن في
الارض بعد نساء . واغنت خيرات الارض عن العمل .

لا ريب ان هذه الحياة العذبية كانت مملة بعض الشيء . ولكن
ملل الانسان ما لبث ان انقطع حين قسم جوبيتر السنة الى فصول .

تبدلت الحال وتغير خلق البشر - لفحهم الحر وقرسهم البرد واعتصموا
بالكهوف من الامطار . وتعودوا العمل لينالوا خبزهم اليومي ،
وانصرفوا عن الصلاة للالهة . وظهرت عليهم علامم السخط والتحدي .
وكان هذا هو العصر الفضي للانسانية . وحين نشب خلاف بين
جوبتر والبشر في شأن القرابين انضم برومسيوس الى صفوف البشر
وغش كبير الالهة في شيء من نصيبه ، فامر جوبتر بحرمان البشر من
النار . فرفعت عنهم النار . ولكن برومسيوس صعد الى الشمس مرة
أخرى وعاد بالشعلة الى مخلوقاته ، فلما انتهى الى علم جوبتر ان
برومسيوس سرق النار الالهية وردها الى البشر غير مبال باوامره قيده
الى صخرة شاهقة بجبال القوقاز وجرد عليه نسرأ ضارياً ينهش كبده
كل نهار . فان جن الليل نبت له كبد جديد لينهشه النسر حين يأتي
النهار .

وفي اسخيلوس ان المارد العظيم تحمل هذا العذاب ثلاثين الف
سنة حتى فتك هرقل بالنسر وفك عن برومسيوس ، اصطفاه . لكن
جوبتر لم يكتف بعقاب برومسيوس بل كاد للبشر فصنع لهم بوحى
من الالهة مخلوقاً جديداً هو المرأة دعاه باندورا ، اي هدية جميع الالهة .
ونزلت باندورا من السماء الى الارض تحمل صندوقاً مغلقاً ، فلما وصلت
شك برومسيوس الذكي في امرها واعرض عنها . اما ابيمسيوس
الساذج فظن فيها خيراً واستبقاها .

لم تكن باندورا تعرف ما بداخل الصندوق فلعب الفضول برأسها
وفتحته فاذا به يحتوي كل ما يحصيه العقل وما لا يحصيه من العلل
والارصاب والخطايا والشرور . كل هذه خرجت من صندوق باندورا

وانتشرت في الافاق. ولكن شيئاً واحداً ذهبي اللون بقي في الصندوق
ذلك هو الامل . لقد اشفق الالهة على الانسان من هذا الجحيم الكبير
فلم يبخلوا عليه بالامل .

سا. مسلك الانسان بعد ذلك وفسد البشر رويداً رويداً وتخلي
الالهة الاخيار عنهم واحداً بعد الاخر ، ولقد زعموا ان آخر من
انصرف عن الانسان كان استرايا ربة البراءة و ثيس ربة العدالة ، فلما
قتل الشر الخير في الارض وايقن جوبتر ان الانسانية قد ضلت
سواء السبيل امر اربابه ان يغرقوا الارض بطوفان عظيم ليهلك من
فيها فنفخ بوزايدون في امواجه فاهلكت جميع البشر وغمرت كل
شيء . الا قمة جبل باراناس جبل الشعر في بلاد اليونان .

وعلى قمة جبل باراناس وقف ديو كاليون وزوجه بير ايشهدان
الكارثة بعيون دامعة ، و كان ديو كاليون ولد برومسيوس الصالح .
و كانت بير ا بنت ابيمسيوس الصالحة ممن ذكر جوبتر طهارتهما فانقذهما
من الموت . ثم انحسرت المياه فاستقبل الحياة الجديدة . ثم انجب
ديو كاليون و بير ا ولدا يدعى هيلين وبمولد هيلين ولدت هيلاس ولد
الاغريق .

النقد الادبي عند اليونان

كان النقد الادبي عند اليونان قبل افلاطون و ارسطو نقدا عاما
لا يرتبط بمنهج^(١) وليس له ضابط يرسي قواعده ويعين معاملة . بل كان
احكاما خالية من كل تحليل أو تعليل . وكان يصدرها حكام تحتارهم
حكومة اثينا عن طريق الاقتراع تأتي بهم في المسابقات العامة التي

(١) عن الجزء الاول من كتاب تاريخ آداب اللغة العربية لجرحي زيدان باختصار

كانت تجربها في المواسم . وكانت الحكومة تطلب الى هؤلاء المحكمين ان يمنحوا الجوائز للشعراء والممثلين الذين ينشدون اشعارهم او يمثلون مسرحياتهم في الميادين الاولمبية . وكثيرا ما كانت الجوائز تمنح للذين يريد اصحاب النفوذ والسلطان فوزهم في تلك المباريات^(١) .

وبعد زمن تجلت اولي محاولات النقد الادبي الجديدة عند شاعر مسرحية الملهاة ارستوفانيس في مسرحيته الضفادع التي سخر بها من مسرحية المأساة التي ألفها يوربيدس الذي كان قد توفي قبل تمثيل مسرحيته بعام . وفي ملهاة ارستوفانيس نرى رحلة ديونيموس الى المسرح الى الآخرة هاديس ليعيد يوربيدس الى الحياة بعيد موته ، واثناء عبوره نهر العالم الآخر ستيكس وكانت جوقة موسيقية من الضفادع تصحب اصوات المجاديف في الماء باغنية من اعذب الاغاني .

وفي ذلك العالم تقوم مناظرة ادبية بين الشعراء اليونانيين يوربيدس واسخيلوس وفي هذه المناظرة ذات الطابع الهزلي يتراى مضمون جدي يشف عن آراء جمالية وفنية تمثل ما كان رائجا منذ عهد بركليس (٤٩٩ - ٤٢٩ ق . م) عصر ائتنا الذهبي . اذ نرى مسرحيات اسخيلوس موضع اعجاب الناس لأنه داعية الى الفضائل الدينية والتقاليد الاجتماعية في مسرحياته . ويهاجم ارستوفانيس في هذه المناظرة يوربيدس بأنه هدم المبادئ الدينية والخلقية والتقليدية بثقافته السوفسطائية . وصور في مسرحيته الالهة والابطال تصويراً لا يليق بمقامهم وجعلهم عرضة ونهباً للنقائص والعيوب التي يتعرض لها عامة الناس ، وبذلك قضى على قداستهم .

(١) المدخل في النقد الادبي الحديث للدكتور غنيمه ص (١٣٢) .

ويظهر من هذا اقرار المؤلف لرسالة الشعر والمسرح الخلقية والاجتماعية . هذا الى ان في المناظرة نفسها يعيب ارسطوفانس على يوربيدس تكلفه في الاسلوب وحيله المسرحية التي يجافي بها طبيعة الفن . وتنتهي مسرحيته الضفادع بهزيمة يوربيدس للعيوب الفنية والخلقية في مسرحياته ، واخير ايقنع ديونيسوس بأن اسخيلوس خير منه فيعيد به الى الارض ليرشد بمسرحيته الاثنيين الضالين .

وتمثل هذه المسرحية اتجاهها عاما ساد النقد اليوناني وهو ان البحث في الادب ومسائله ارتبط اوثق ارتباط بالنظر في الانسان ومشاكله الخلقية والاجتماعية مما أثر تأثيرا جليا واضحا في فلسفة افلاطون . (٤٢٩ - ٣٤٧ ق . م) .

النقد عند افلاطون

كتب افلاطون محاوره عنونها ايون في عشر السنين الاولى من القرن الرابع قبل الميلاد اي بعد موت استاذ سقراط ببضع سنين . وهي محاوره على شكل درامي يشبه محاوره مسرحية الضفادع لارستوفانس وتدور هذه المحاوره بين سقراط والمنشد ايون وفيها يتناول افلاطون مسألتين هامتين هما من صميم النقد الادبي .

اولهما : ما مصدر الشعر لدى الشاعر ؟ . الفن ام الالهام ؟ .

ثانيتها : ما الفرق بين حكم الشاعر والناقد الادبي على الشي . من

جهة وبين حكم العقل والعلم على نفس الشي . من جهة اخرى ؟

وفيما يخص المسألة الاولى يستدرج سقراط في هذه المحاوره ايون

حتى يقر له بانسه لا يهتم الا بشعر هو ميروس وانشاده دون سائر

الشعراء ، وانه في هذا الشرح والانشاد لا يصدر عن قواعد فنية معينة ، ولا عن مبادئ عقلية خاصة ، بل عن نوع من النشوة الفنية يغيب فيها عن شعوره . وهو ما يدعو افلاطون الالهام ومصدره الهى محض . ويستنتج سقراط اذن من ايون ان الناقد والشاعر لا يصدران عن العقل بل عن الالهام الالهى غير ان الشاعر يصدر عن ذلك اصالة ثم ينتقل الالهام الى المنشد والناقد كما ينتقل الجذب من الحديد الممغنط الى قطع الحديد الاخرى فتصبح بدورها مغناطيسية تجتذب ما يمسهما .

فالشاعر كائن اثري مقدس ذو جناحين لا يمكن ان يتكرر قبل ان يلهم ويفقد في هذا الالهام احساسه وعقله . واذا لم يصل الى هذه الحالة فانه يظل غير قادر على نظم الشعر او استجلاء الغيب . وما دام الشعراء لا ينظمون او ينشدون القصائد الكثيرة الجميلة عن فن . ولكن عن موهبة الهية لذلك لا يستطيع احد منهم ان يتقن الا ما تلهمه اياه ربة الشعر لذلك يفقد الاله شعورهم ليتخذهم وسطا . كالانبياء . والعرافين الملهمين حتى ندرك نحن السامعين ان هؤلاء لا يستطيعون ان ينطقوا بهذا الشعر الرائع الا غير شاعرين بانفسهم . وان الاله هو الذي يحدثنا بالسنتهم .

وهناك امر آخر شغل افلاطون نفسه به وهو يتلخص في ان افلاطون اراد ان يميز بين موقف الشعر وموقف العلم والعقل من الاشياء . اذ جعل سقراط في محاورته هذه ان يستدرج ايون الى ان في هوميروس مواقف خاصة بصناعة الطب او الملاحاة او فن قيادة

العربات او صيد السمك لا يجيد شرحها المنشد وانما يجيده الطبيب .
والملاح وسائق العربة وصائد السمك . لان هؤلاء يتكلمون عن
قواعد وفن . اما المنشد فهو كالشاعر لا يصدر الا عن موهبة الهية .
وكان افلاطون يقصد بهذا الى بيان ان مقدرة الشاعر على تأليف
شعر في شي . غير مقدرة المرء . على شرح نفس الشي . شرحاً عقلياً ، وان
الشعر ليس هدفه الشروح العلمية .

ولافلاطون محاوراة اخرى عنوانها (مينون) وموضوعها
البحث في طبيعة الفضيلة ، وهل يمكن ان تلقن ؟

والمحاوراة تدور بين سقراط والامير مينون . ويتجه سقراط فيها
الى ان الفضيلة تهتدي اليها الروح بتذكرها لما سبق ان كانت على
علم به في عالم الارواح قبل ان تهبط الى هذه الارض وتحل في الجسم .
فالفضيلة ليست سوى الهام . وهي من نصيب الملهمين من الحكام
والعرافين والكهنة والشعراء . ولا يمكن لهؤلاء ان يلقنوها غيرهم
كما لا يمكن للشعراء ان يلقنوا الآخرين عبقريتهم^(١) .

ثم يتحدث افلاطون عن الالهام الشعري الصادر عن النشوة
الالهية . فيقول حين يظفر ذلك الالهام بروح ساذجة طاهرة فانه
يوقظها ويسمو بها فتمجد باناشيد أو بأية اشعار اخرى مآثر الاجداد
فترني الاجيال . اما ذلك الذي حرم النشوة الصادرة عن آلهة الفنون
ثم يجرؤ على الاقتراب من ابواب الشعر واهما ان الصنعة تكفي لخلق
الشاعر فانه لن يكون سوى شاعر ناقص . لأن شعر المرء البارد

١١ المدخل الى النقد الادبي الحديث ص ٣٥ للدكتور محمد غنيمي هلال .

العاطفة يظل دائما لا اشراق فيه اذا قورن بشعر الملهم .

وجوهر فلسفة افلاطون فيما يخص الشعر يتجلى في نعيه على شعراء عصره الذين كانوا ينخدعون بالذيلة ويتملقون الجماهير ، وفي قوله : ان مؤلفي المآسي المسرحية كانوا يتملقون نوعين من الطغيان ، طغيان الجماهير وطغيان الحاكم المستبد . ولهذا ظل يرحب في جمهوريته بالاناشيد والمدائح التي تمجد رجال الخير وتحث على القدوة الصالحة .

نظرية المحاكاة عند افلاطون :

يتوسع افلاطون في المحاكاة ويفسر بها حقائق الوجود . وعنده ان الحقيقة وهي موضوع العلم ليست في الظواهر الخاصة العابرة ولكنها في المثل أو الصور الخالصة لكل انواع الوجود ، وهذه المثل لها وجود مستقل عن المحسوسات وهو الوجود الحقيقي ولكننا لا ندرك اشكالها المحسوسة التي هي في الواقع ليست سوى خيالات لعالم المثل . وفي الكتاب السابع من الجمهورية يذكر افلاطون تشبيهه الرمزي المشهور لمدى ادراكنا للاشياء . سرداب فيه جماعة على مقعد وظهورهم لفتحة ضيقة منه وامام الفتحة نار عالية اللهب فهم يرون على ضوئها مناظر اشباح تتحرك منعكسة على الحائط امامهم . وهذا مبلغ ادراكنا لما نفكر انه حقيقة الاشياء . فإذ نراه في هذا العالم ليس سوى انعكاس لعالم الصور الخالصة كانعكاس الاشباح على حائط ذلك السرداب . وعالم الصور الخالصة هو عالم الحق والخير والجمال التي هي مقاييس لما يجري في منطقة الحس وجميع ما في عالم الحس محاكاة لتلك الصور . وكذلك النظم الانسانية بدورها محاكاة .

فكل الحكومات محاكاة للحكرمة المثالية في عالم الصور او الافكار . والقوانين نفسها وهي الاسس للحكومات تقليد لخصائص الحقيقة كما دونها الناس في حدود ما استطاعوا^(١) .

ارسطو ونقد الشعر

ارسطو تلميذ افلاطون أخذ المعرفة عنه وتأثر به . فمن الطبيعي ان تكون افكاره منسجمة في بعض الامور مع افكار استاذه في الشعر والنقد . لذلك كانت نظرية المحاكاة التي قال بها افلاطون هي نظرية ارسطو في الشعر خاصة .

نشأة الشعر عند ارسطو :

يرى ارسطو ان الشعر نشأ اصلاً عن غريزة المحاكاة التي تظهر في الانسان منذ الطفولة . وبها يكتسب معارفه الاولى . وهذه الغريزة هي التي تدفعه الى حب الاستطلاع والرغبة في الاستزادة من المعرفة .

والمحاكاة عند ارسطو ليست وقوفاً عند حدود التقليد للمظاهر الخارجية ولكنها محاكاة لحياة الانسان وطبيعته و اخلاقه ومقومات هذه الاخلاق . بحيث تتجلى فيها حالات الانسان النفسية ومشاكله المدنية و اعماله ودوافعها بصفة عامة عن طريق التصور الصادق لمواقف الانسان تعمل المحاكاة عملها ويرتب الشاعر هذه المواقف في حكاياته .

(١) المدخل الى النقد الادبي الحديث . الدكتور محمد غنيمي هلال .

ولهذا ينصح ارسطو الشعراء ان يتركوا الوقائع تبين بانفسها عن
نتائجها موضوعيا دون تدخل منهم . ومنطق الحوادث هو الذي يبين
عن القضايا العامة التي يريد الشاعر ان يسوقها . وعلى قدر براعة
الشاعر في الابانة عن قضاياها العامة بواسطة ترتيب الاحداث وتصويرها
تكون جودة شعره ويجيز ارسطو للشاعر ان يعتمد عن الواقع في
حدود معينة ولكن لا يجيز له ان يسوق وقائع غير معقولة او غير
ممكنة .



الفضل الخامس نماذج من النقد الادبي

في العصر الجاهلي

كانت الاسواق التي تقيمها العرب في مختلف بقاع الجزيرة ملتقى
جماهير الناس ، وكانت تلك الاسواق حافلة بالشعراء ، والخطباء ، واولي
اللسن يتنافسون ويتبارون في فنون الكلام ، وكانوا يحتكمون في
ذلك الى رجال يرضونهم حكما لهم . يحكمون بينهم ويفضلون بعضهم
على بعض . وها نحن نذكر بعض هاتيكم المجالس الادبية للتمثيل ،
لا ، للاستقصاء . من ذلك .

ذكروا ان الاعشى وحسان والخنساء ، انشدوا النابغة الذبياني
شيئا من اشعارهم فأعجب بقصيدة الخنساء ، التي رثت بها اخاها صخر
والتي منها :

وان صخر لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
فقال النابغة لها لولا أن ابا بصير - يعني الاعشى - انشدني لقلت :
انك اشعر الجن والانس .

وقالوا ان علقمة بن عبدة قدم على قريش فانشدتها قصيدته التي
يقول فيها :

هل ما علمت وما استودعت مكتوم
ام حبلها اذ نأتك اليوم مصرور
فقالوا هذه سمط الدهر . ثم عاد اليهم في العام المقبل فانشدتهم :

طحا بك قلب في الحسان طروب
بُعِيدُ الشَّبَابِ عَصْرُ حَانَ مَشِيبُ

فقالوا : هاتان سمطا الدهر .

ويروى عن ابي عمر الشيباني الكوفي ان عمرو بن الحارث الاعرج
الغساني فضل حسانا على النابغة وعلى علقمة بن عبدة وكانا حاضرين
معه واثني على لامية حسان التي منها :

لله در عصابة نادمتهم يوما يخلق في الزمان الاول

ودعاها البتارة التي بترت المدائح .

كثيرا ما كانت العرب تلقب الشعراء ، وتلقب القصائد تنويها بها
واعظاما لها وايمانا منهم بانها جيدة فريدة ، لقبوا النمر بن توب
بالكيس لحسن شعره ، وسموا طفيل الغنوي طفيل الخيل لشدة وصفه
اياها . وسموا قصيدة سويد بن ابي كاهل :

بسطة رابعة الجبل لنا فوصلنا الجبل منها ما اتسع
باليثيمة .

ذكروا أن طرفة بن العبد وهو فتى يافع لما سمع المتلمس ينشد
بيته :

وقد اتناسى الهم عند احتضاره بناج عليه الصعيرية مكدم
قال : لقد استنوق الجمل . ذلك لأن الصعيرية علامة تكون في
عنق الناقة ، لا في عنق الجمل .

جاء في كتاب الموشح للمرزباني^(١) ان امرأ القيس تنازع مع علقمة

(١) صحيفة ٢٩ .

بن عبدة في الشعر ايها اشعر فقال كل واحد منهما لصاحبه انه اشعر
منه فقال علقمة الفحل قد رضيت بامرأتك ام جندب حكما بيني وبينك
فحكماها ، فقالت ام جندب لهما قولا شعرا تصفان فيه فرسيكما على
قافية واحدة وروى واحد فقال امرؤ القيس :

خليلي مرا بي على ام جندب
نقضني لبانات الفؤاد المعذب
وقال علقمة :

ذهبت من الهجران في غير مذهب
ولم يك حقا طول هذا التجنب
فانشداها القصيدتين ، فقالت لامرى القيس : علقمة اشعر
منك ، لأنك قلت في وصف فرسك :

فللسوط الهوب وللساق درة وللزجر منه وقع اخرج مهذب
فأجهدت فرسك بسوطك ومريته بساقلك ، وقال علقمة :
فادركهن ثانيا من عنانه يمر كمر الرائح المتحلب
فادرك فرسه الصيد ثانيا من عنانه دون ان يحتاج الى ضربه
بالسوط واجهاده بالساق .

نخرج من ذلك الى ان زوجة امرى القيس كانت ترى ان تفضل
قصيدة على قصيدة لا يتم الا باتحاد القصيدتين موضوعا وقافية ورويا .
ثم انها فضلت القصيدة الثانية على الاولى باعتبار ان صفة امرى
القيس للفرس لا تدل على انها من كرائم الخيل لأن امرأ القيس ذكر
الالهاب بالسوط والتحريك بالساق والزجر بالصوت وذلك دليل

على ضعف الفرس و كسلها . كما انها رأت ان صفة علقمة لفرسه تدل
على كرم اصلها وخفة حركتها وانها لا تحتاج الى سوط وزجر وانما
تدرك الغرض وتمر مر الفرس الر كاضة في حلبة السباق بالرغم من
ثنيه وقبضه لزماتها .

وروا ان الخنساء سمعت في عكاظ حسان بن ثابت ينشد :

لنا الجففات الغر يلمعن بالضحي

واسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولذنا بني العنقاء وابني محرق

فاكرم بنا خالا واكرم بنا عما

فنقدته الخنساء . وقالت له : ضعفت افتخارك وازرته في ثمانية

مواضع ، قال لها حسان : وكيف ؟ قالت :

قلت لنا الجففات والجففات ما دون العشر فقللت العدد ولو قلت
الجفان لكان اكثر . وقلت الغر ، والغر جمع غرة والغرة البياض في
الجهة ، ولو قلت البيض لكان اكثر اتساعا . وقلت يلمعن واللمع
شيء يأتي بعد الشيء . (أي يظهر ويختفي) ولو قلت يشرق لكان اكثر
لأن الاشراق ادوم من اللمعان . وقلت بالضحي ولو قلت بالعشية
لكان ابلغ في المديح لأن الضيف بالليل اكثر طروقا . وقات اسيافنا
والاسياف دون العشرة ولو قلت سيوفنا لكان اكثر . وقلت يقطرن
فدللت على قلة القتال ولو قلت يجرين لكان اكثر لانصباب الدم .
وقلت دما والدماء اكثر من الدم وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك .
وقالوا ان النابغة الذبياني دخل يثرب فعابه اهلهما لاقوائه في
الشعر فلم يعبا بهم . فتعمدوا ان يحتفلوا به في ليلة سمر فاحضر والـ

جارية تغنيه في تلك الليلة وقالوا لها اذا صرت الى القافية فرتلي
وأشبعي الترتيل وليكن غناؤك بقصيدة النابغة التي مطلعها :

من آل مية رائح أو مغتدى عجلان ذا زاد وغير مزود
زعم البوارح ان رحلتنا غدا وبذاك خبرنا الغراب الاسود
سقط النصف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد
بمخضب رخص كأن بنانه عنم يكاد من اللطافة يعقد

فلما قالت وغير مزود والغراب الاسود واتقتنا باليد ومن اللطافة
يعقد . أحس النابغة بعيبه فاصلحه وقال دخلت يثرب وفي شعري
هنة ورحلت عنها وانا اشعر الناس .

وذكروا ان رهطا من شعراء تميم قد اجتمعوا في مجلس شراب
وهم الزبرقان ابن بدر والمخبل السعدي وعبد بن الطيب وعمرو بن
الاہتم . اجتمعوا قبل أن يسلموا وبعد مبعث النبي صلى الله عليه
وسلم ، قال بعضهم لو ان قوما طاروا من جودة اشعارهم لطرنا . ثم
تخاصموا فيما بينهم على الاولوية ورضوا ان يحكم بينهم اول من
يطلع عليهم . فطلع عليهم ربيعة بن حذار الاسدي وقالوا أين اشعر؟
فقال أما عمرو فشعره برود يمنية تطوى وتنشر واما أنت يا زبرقان
فشعرك كلحم لم ينضج فيؤكل ولا ترك نينا فينتفع به واما أنت
يا مخبل فشعرك شهب من الله يلقيها على من يشاء من عباده . واما
انت يا عبدة فشعرك كمزادة احكم خرزها فليس يقطر شي . منها .

ان هذه النماذج شواهد على ان العرب تنبعت الى النقد الادبي
منذ القدم وعرفته معرفة حسنة غير انها لم تتجاوز في نقدها الصور
الادبية المعروفة في بيئتهم فجاءت احكامهم في النقد احكاما عامة

دون تعمق وتوغل في بيان فنون القول وعناصر الجمال من حرارة العاطفة وقوة الخيال وطلاقة الابتكار والابداع بالشكل الذي عرفناه في زماننا هذا .

هكذا كان النقد الادبي في بدايته في العصر الجاهلي مبنيًا على الاحكام الذاتية التي اساسها الذوق الخاص دون تحليل أو تعليل معتمدا على الفطرة والسليقة . فاذا نقد احدم الشعر نقده نقداً بجملاً من غير شرح أو تفصيل .

قال المرحوم الاستاذ طه ابراهيم :- وجد النقد الادبي في الجاهلية ولكنه وجد هيناً يسيراً ملائماً لروح العصر ملائماً للشعر العربي نفسه . فالشعر الجاهلي احساس محض والنقد كذلك ، كلاهما قائم على الانفعال والتأثر ، فالشاعر مهتاج بما حوله من الاشياء والحوادث ، والناقد مهتاج بوقع الكلام في نفسه . وكل نقد في نشأته لا بد ان يكون قائماً على الانفعال بأثر الكلام ، والنقد العربي لا يشذ عن تلك القاعدة ، بل هو من اصدق الامثلة لها . فالعربي حساس رقيق الحس تنال الكلم من نفسه ويحتاج لها اهتماماً ، فاذا حكم على الادب حكم عليه تبعاً لتأثره به ، وبمقدار ذلك التأثر . . . يحكم على الادب ببلاغة الادب ، ويحكم عليه بالنظرة العجلى التي تحول بين النقد وبين ان تكون له اسس أو اصول مقررة . فما كان النقد الجاهلي اكثر من ما أخذ يفطن اليها الشعراء في الشعر وما كان له من اصل الا سليقتهم وما طبعوا عليه ، ولم يقيم الا على الذوق العربي السليم^(١) .

(١) كتاب تاريخ النقد الادبي عند العرب ص (٢٤) لطف ابراهيم .

الفصل السادس

اثر القرآن الكريم في تطوير

الحياة العقلية والادبية

احتل القرآن الكريم الصدارة في فن القول وامتاز بأسلوبه البديع على سائر الاساليب المعتبرة عند العرب ، وبلغ المرتبة العليا في الكشف عن اسرار هذه الحياة وانحنت له رقاب اهل اللسن في قريش . لذلك كان اثره بليغاً في تطوير الحياة العربية من جميع نواحيها ولا سيما الناحية البيانية فانه قد صهر جميع لهجاتها وجعلها في لهجة واحدة هي لهجة قريش ، كما انه صانها من الخلل وحفظها من الضياع وجعلها لغة خالدة الى الابد يستحيل تغييرها وتبديلها ما دام القرآن يتلى على العالمين .

روي ان الوليد بن المغيرة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكانه رق له وسحر به فبلغ ذلك ابا جهل فأتاه فقال له يا عم ان قومك يريدون ان يجمعوا لك ما لا يعطوكه ، لئلا تأتي محمداً وتسمع ما يقرأ لك . فرد عليه الوليد قائلاً (قد علمت قريش اني من اكثرها ما لا . قال فقل فيه قولاً يبلغ قومك انك كاره له ، قال وماذا اقول ؟ فوالله ما فيكم رجل اعلم مني بالشعر لا برجزه ولا بقصيده ولا باشعار الجن ، والله ما يشبه الذي نقوله شيئاً من هذا ، والله ان لقوله لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمشر اعلاه مغدق اسفله ، وانه ليعلمو ولا يعلمي عليه ، وانه ليحطم ما تحته . قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه . قال فدعني حتى افكر . فلما فكر قال :

هذا سحر يآثره عن غيره) . حقا انه لسحر يآثره عن غيره ويآتية
من وحي السماء .

لم لا ؟ فان آياته لايات بينات متميزات على جميع اساليب التعبير ،
ومعانيه معان لا مثيل لها في تاريخ الفكر . لذلك صار اعظم وسيلة
لدى نقاد الادب واقوى حجة عند فصحاء اللغة وبلغائها ، واصدق
مقياس في ميزان النقد . فهو كتاب عربي مبين ، أحكمت آياته ثم
فصلت من لدن حكيم خبير ، انه مصدر ايحاء ، ومرجع احكام ،
وحصن لغة ، ومبعث عقيدة ، ودستور امة ، فلا عجب ان يكون
النقد والاصلاح بعض غاياته ، والحكمة والهداية شيئاً من اهدافه ،
وبفضل هذا القرآن العظيم خلدت اللغة العربية وتطورت وفاقت سائر
اللغات بفصاحة الفاظها وجمال صورها ودقة معانيها وشمول اغراضها
وحكمة تشريعها وسمو قصصها . هذا فضلا عما انتجته من علوم
وفنون واخبار لا نهاية لها .

نعم لقد كانت لغة العرب قبل عصر القرآن تمتاز بادابها على
الشكل الذي عرفناه في شعر شعرائها ونثر كهانها ، ولما نزل عليهم
القرآن وجدوا فيه اساليب من البيان فاقت اساليبهم وخلبت الباطن
وبهت ادباؤهم باياته الباهرة وموسيقاه العذبة ومعانيه المبتكرة
وامثاله السائرة . اساليب اذا اشتدت فامواج البحار الزاخرة ، واذا
هي لانت فانفاس الورود العطرة . فعباراته اذا جرت على اسلوب
السجع جاءت بما يعجز عنه اكبر الخطباء . وتقف دونه همم البلغاء .
قال تعالى :

والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن

الهُوى ، ان هو الاوحى يوحى . علمه شديد القوى ، ذومرة فاستوى ،
وهو بالافق الاعلى ، ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين او ادنى ،
فاوحى الى عبده ما اوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى ، افتارونه
على ما يرى ، ولقد رآه نزلة اخرى ، عند سدره المنتهى ، عندها جنة
المأوى ، اذ يغشى السدره ما يغشى ، ما زاغ البصر وما طغى ، لقد
رأى من آيات ربه الكبرى . أفرايتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة
الاخرى ، الكم الذكر وله الانثى ، تلك اذا قسمة ضيزى .

هذا نمط من السجع البالغ ارفع درجات الكلام المسجوع لا تجد
فيه تكلفاً ولا زخرفة ولا غموضاً مع كثرة الايات وتوالي السجعات .
وكذلك شأن القرآن في اسلوب الترسل . فاذا جرى فيه اتاك
بالعجب العجاب (مما تقف عنده حدود الطبيعة الانسانية في البلاغة
والبيان) . قال تعالى :

واذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وامى
الهي من دون الله ؟ قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس بحق ،
ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسى ولا اعلم ما في نفسك ،
انك انت علام الغيوب ، ما قلت لهم الا ما امرتنى به ، ان اعبدوا
الله ربي وربكم وكنتم عليهم شهيذا ما دمتُ فيهم ، فلما توفيتنى كنت
انت الرقيب عليهم ، وانت على كل شي شهيد ، ان تعذبهم فانهم
عبادك ، وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم .

من هنا نعلم ان البيان القرآنى نسق خاص به لا يشار كه بيان
ولا يدنو منه تعبير انسان .

وكل ما يعمله الادباء والنقاد في الاستفادة منه انهم جعلوه قدوة لهم يحذون حذوه ويقتبسون منه على قدر حظوظهم من الاستعداد الفطري وبمقدار ما رزقوا من قوة العقل ورفاهة الحس وسمو الذوق وسلامة الوجدان ، ولهذه الامور كلها كان القرآن الكريم اقوى دعائم النقد الادبي واعظم مثال للحسن والجمال . وحجتنا في ذلك هو تمكنه في مدة وجيزة ليست شيئاً في حساب النهضات العالمية من تطوير امة العرب تطويراً سريعاً مهد لنشر الرسالة في اراضي الارض واقاصيها باسلوبه الفذ وحقايقه الخالدة قال تعالى :

قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حلیم ،
يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق
امواله رثاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر ، فثله كمثل صفوان
عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلداً لا يقدر على شي . مما كسبوا
والله لا يهدي القوم الكافرين ، ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء
حرضاته وتثبيتاً من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها
ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير .
وقال : اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون
الكتاب افلا تعقلون .

وقال : ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد
كل اولئك كان عنه مسئولا .

وقال : ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم .
وقال : ولا تمس في الارض مرحاً انك لن تحرق الارض ولن
تبلغ الجبال طولاً .

وقال : فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة
شراً يره .

وقال : ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب
ومن يتوكل على الله فهو حسبه .

وقال : ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
فتتعد ملوماً محسوراً .

وقال : فاما الزبد فيذهب جفاً ، واما ما ينفع الناس فيمكث
في الارض . كذلك يضرب الله الامثال .

وقال : لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون .

وقال : واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا .

وقال : وتحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى .

وقال : كل حزب بما لديهم فرحون .

بهذا التوجيه الرباني والنقد البناء توانت العرب عن مدرسة
الشعر بعض التواني وانشغلت بايات القرآن الكريم والجهاد في سبيل
نشره . ولم يعداهتمامها بالشعر كما كان من قبل . اذ وجدت في التنزيل
الحكيم والحديث الشريف ما يغنيها عن الشعر ودواعيه واصبحت
مجالس العرب مهتمة بهذا البناء العظيم ، ومن هنا اخذ الصراع يشتد
بين الايمان والشرك ويتفاقم بين الحق والباطل .

وكلما حاول المشركون الذين اخذتهم العزة بالاثم ان يصدوا
الناس عن مبادئ القرآن حاولوا عبثاً . وفي نهاية هذا الصراع انتصر
القرآن ووجد سبيلاً رحباً الى قلوب الناس وعقولهم .

وبهذه الامور مجتمعة تحول النقد الادبي نحو مدارس القرآن
الكريم واحكامه الجديدة متجها نحو مفاهيمه الشرعية واللغوية
والفكرية مقتبساً منها ومقتدياً بها ومتوخياً في كل ذلك الهداية الى
الحق والخير والجمال . منهاجه في النقد قوله تعالى :

(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي
هي احسن) ومعنى ذلك . ايها النبي انقد الحياة نقداً بناءً تستحسنه
العقول السليمة وتألفه الطباع المستقيمة فتهدى المنقودين الى ما هو
احق واجمل . ولست بالغاً قصدك ما لم تهني . النفوس للحق والعقول
للجميل وتدلمهم على مواضع الخطا ومواطن الصواب .

واذا صادفت قوماً غلبتهم شقوتهم وغلظت طباعهم وركبهم الجهل
والعناد فاتخذ احسن الطرق والاساليب التي توصلك الى مبتغاك وتصل
بك الى ما تحب من الخير والعدل دون ان يضيق صدرك وتهتاج
عواطفك وتركن الى الغضب والعنف والاصطدام .

وقال تعالى

(قالت الاعراب آمنة ، قل لم تؤمنوا ، ولكن قولوا اسلمنا ،
ولما يدخل الايمان في قلوبكم)

ذلك ان فريقاً من الاعراب جاءوا الى النبي فقالوا له آمنة بالله ربا
وبك رسولاً وهم لم يؤمنوا بالله ورسوله حق ايمانهم ، وانما قالوا ذلك
مضطرين لظروف الجأتهم الى هذا القول . لان الايمان بالله والرسول
تصديق واذعان وامتلاء القلب بنور اليقين ، ولذلك قال الله تعالى :
قل لهم يا محمد : انكم لم تؤمنوا . اي ما كان يصح منكم ان تقولوا

آمننا ، ولكن قولوا اسلمنا ، اي جنناك طائعين مستسلمين مخافة ان نتعرض الى الاسر والقتل .

انه نقد في غاية الحسن والجمال ، اذ نبه سبحانه وتعالى الاعراب الى ما هو اصدق واصح في التعبير عن حقيقة امرهم فقال لهم قولوا اسلمنا ولا تقولوا امنا لان الايمان لم يدخل قلوبهم ولم يتغلغل في نفوسهم بعد . فلا يكون المسلم مؤمناً حقاً حتى يكون الله ورسوله احب اليه من نفسه وذويه وابناء عصبته من عمومته وخولته وعشيرته .

وقال تعالى :

(ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الذاك خصام) .

المعنى ان بعض الناس يروك قوله ويعجبك طلاقة لسانه وقوة بيانه في الحياة الدنيا مع انه لا يتكلم الا ليحظى بشي . من عرض الدنيا .

نبه سبحانه وتعالى في هذه الاية الكريمة الى امر خطير في ميزان النقد اذ نبه ان الكلام المزخرف ينبغي ان لا يروق ولا يعظم في القلوب ما لم يكن تعبيراً عن حقيقة ما انطوت عليه نفس صاحبه وهادفاً الى معنى يحق حقاً ويدحض باطلاً مما ينفع الناس وتسمو به الحياة . فزخرفة الالفاظ وحدها غير مجدية وليست ذات قيمة . في ميزان النقد حتى يتوفر فيه عنصر الصدق والحق والعدل مما ينفع الناس وترقى به الحياة .

الفصل السابع

نماذج من النقد الادبي

في العصر الاسلامي

قالت الرواة ان الشاعر النجاشي قال شعرا في بني العجلان
فاستعدوا عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقالوا له هجانا . قال
عمر وما قال فيكم فانشدوه قوله :

اذا الله عادى اهل لؤم ورقة

فعادى بني العجلان رهط بن مقبل

فقال عمر ان الله لا يعادي مسلما . قالوا فقد قال :

قبيلته لا يغدرون بذمة

ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال وددت ان آل الخطاب كانوا كذلك . قالوا فقد قال :

ولا يردون الماء الا عشيبة

اذا صدر الوراد عن كل منهل

فقال ذلك اصفي للماء واقل للزحام . قالوا فقد قال :

وما سمي العجلان الا لقولهم

خذ القعب واحلب ايها العبد واعجل

فقال عمر سيد القوم خادمهم .

وكان عمر رضي الله عنه اعلم بما في هذا الشعر ولكنه درأ الحدود

بالشبهات .

وسأل عمر رجلا عن شيء، فقال الرجل الله اعلم . قال عمر لقد شقينا
ان كنا لا نعلم ان الله يعلم . اذا سئل احدكم عن شيء ، فليقل لا علم لي
به ان كان لا يعلم عنه شيئا .

* * *

كان قد ذكر بحضرة ابن عتيق شعر عمر بن ابي ربيعة والحارث
بن خالد المخزوميين . فقال رجل من ولد خالد بن العاص بن هشام بن
المغيرة صاحبنا الحارث أشعر من عمر بن ابي ربيعة . فقال ابن ابي عتيق :
دع قولك يا ابن اخي فلشعر عمر بن ابي ربيعة لوطاة بالقلب^(١)
وعلق بالنفس ودرك للحاجة ليس لشعر الحارث . وما عصى الله بشعر
قط اكثر مما عصى بشعر ابن ابي ربيعة فخذ عني ما أصف لك :
أشعر قريش من رق معناه ولطف مدخله وسهل مخرجه وتعطفت
حواشيه واثارت معانيه وأعرب شعره عن صاحبه .

فقال الذي من ولد خالد بن العاص صاحبنا الذي يقول :

اني وما نجرُوا غداة مني عند الجمار تؤدها العُقل^(٢)
لو بُدلت اعلى منازلها سفلا واصبح سفلا يعلو
فيكاد يعرفها الخبير بها فيردها الاقواء والمحل
لعرفت مغناها بما احتملت مني الضلوع لاهلها قبل

فقال ابن ابي عتيق يا ابن اخي استر على صاحبك ولا تشاهد المحاضر
بمثل هذا . اما تطير الحارث عليها حين قلب ربيعها فجعل عاليه سافله .
ما بقي الا ان يسأل الله حجارة من سجيل .

(١) لوعة بالقلب : علوق به .

(٢) العقل : جمع عقال .

ان ابن ابي ربيعة كان احسن الناس للربيع مخاطبة واجمل مصاحبة
اذ يقول :

سائلا الربيع بالبلى وقولا
هجت شوقا لي الغداة طويلا
ابن اهل حلوك اذ انت مسرو
ر بهم آهل اراك جميلا
قال ساروا وامعنوا واستقلوا
وبكرهي لو استطع سبيلا
سئمونا وما سئمنا مقاما
واستجبوا دماثة وسهولا^(١)

* * *
أنشد عبد الملك بن مروان قول نصيب :

اهيم بدعد ما حييت فان امت
فوا حزنا من ذا يهيم بها بعدي
فقال بعض الحاضرين اساء القول يا امير المؤمنين ايحزن لمن يهيم
بها بعده ؟

قال عبد الملك لو كنت قائلا فاذا تقول ؟ قال اقول :
اهيم بدعد ما حييت فان امت
اوكل بدعد من يهيم بها بعدي
فقال عبد الملك انت اسوأ قولا . ثم قال الوجه ان يقال :

(١) زهر الآداب ج ١ ص ٢٨٥ والمرشح للمرزباني ص ٢١ .

اهيم بدعد ما حييت فان امت
فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

* * *

قال محمد بن عمار بن ياسر ان عبد الملك بن مروان قال لوقال كثير بيته :

فقلت لها يا عز كل مصيبة

اذا وطنت يوما لها النفس ذلت

في حرب لكان اشعر الناس .

وقال لو ان القطامي قال بيته الذي وصف فيه مشية الابل :

يمشين رهوا فلا الاعجاز خادلة

ولا الصدور على الاعجاز تتكل

وصف فيه مشية النساء . لكان اشعر الناس .

* * *

وقالوا تعلق بعض النقاد على كثير بقوله لعبد العزيز بن مروان :

وما زالت رقاك تسل ضفني وتخرج من مكانها ضبابي

ويرقيني لك الراقون حتى اجابك حية تحت الحجاب

* * *

قال يونس أنشد كثير عبد الملك مدحته التي يقول فيها :

على ابن ابي العاص دلاص حصينة

اجاد المسدي سردها واذا لها

يثود ضعيف القوم حمل قتيورها

ويستضلع القرم الاشم احتمالها

فقال له عبد الملك قول الاعشى لقيس بن معدي كرب أحب الي

من قولك :

وإذا تجيء كتيبة مملومة خرساء يخشى الذائدون نهالها
كنت المقدم غير لابس جنة بالسيف تضرب معلما ابطالها
فقال كثير يا امير المؤمنين وصف الاعشى صاحبه بالطيش
والخرق والتغرير ووصفتك بالحزم والعزم . فأرضاه .

قال الشيخ المرزباني رحمه الله تعالى : رأيت اهل العلم بالشعر
يفضلون قول الاعشى في هذا المعنى على قول كثير لأن المبالغة
احسن عندهم من الاقتصار على الامر الاوسط ، والاعشى بالغ في
وصف الشجاعة حتى جعل الشجاع شديد الاقدام بغير جنة على انه
وان كان لبس الجنة اولى بالحزم وأحق بالصواب . ففي وصف الاعشى
دليل قوي على شدة شجاعة صاحبه لأن الصواب له لا لغيره .

* * *
عرضت امرأة لكثير فقالت له انت القائل: (١)

فما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جشجائها وعرارها
باطيب من اردان عزة موهنا وقد اوقدت بالمندل الرطب نارها
لو ان امرأة كريهة الرائحة طبيعة بخرت اردانها بمندل رطب
اما كانت تطيب ؟ الا قلت كما قال امرؤ القيس
الم تراني كلما جئت طارقا وجدت بها طيبا وان لم تطيب

* * *
قال صالح بن حسان كانت احدى عقيات العرب تجلس للناس فبينما
هي جالسة اذ قيل لها العذري بالباب فقالت ائذنوا له فدخل فقالت
له انت القائل :

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ص ٤١٥ .

فلو تركت عقلي معي ما بكيتها
ولكن طلابيها لما فات من عقلي
انما تطلبها عند ذهاب عقلك ؟ لولا ابيات بلغتني عنك ما اذنت
لك ، وهي :

علقت الهوى منها وليدا فلم يزل
الى اليوم ينمي حبا وزيدا
فلا انا مرجوع بما جئت طالبا
ولا حبا فيما يبىد يبىد
يموت الهوى مني اذا ما لقيتها
ويجيا اذا فارقتها فيعود

* * *
قال عمارة بن عقيل لما بلغ الوليد قول جرير :

هذا ابن عمي في دمشق خليفة
لو شئت ساقكم الى قطينا
قال الوليد اما والله لو قال لو شاء ساقكم الي قطينا لفعلت ذلك
ولكنه قال لو شئت فجعلني شرطيا له .
قال كثير عزة :

وددت وبيت الله انك بكرة^(١)
هجان^(٢) واني مصعب^(٣) ثم نهرب

-
- (١) الحزن ما غلظ من الارض والجنجات نوع من النبات والعرار بهار البر .
(٢) الاردان جمع ردن وهو الكم . والموهن من اول اللال الى نحو نصفه .
المندل : عود طيب الرائحة .
(٣) بكرة صغيرة السن .
(٤) هجان سوية الخلق .
(٥) مصعب : فعل لم يركب لصعوبته .

كلانا بهُعرٌ فمن يرنا يقل
على حسنها جرباً. تعدي واجرب
نكون لذي مال كثير مغفل
فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب
إذا ما وردنا منها صاح أهـ له
علينا فلا ننفك نُرمى ونضرب

ويروى ان عزة نقدته فقالت له لقد اردت بناء الشقاء الطويل اما
وجدت امنية اوطأ من هذه ، قال النقاد ان هذه الامنية الشقية لا
تجول بخاطر محب يتمنى ان تسعد حبيبته بحياة هائلة مشرقة .
وشبيه بهذا ما يروى من ان جميلا لقي بشينه بعد تهاجر كان بينهما
طالت مدته فتعاتبا طويلا فقالت له ويحك يا جميل تزعم انك
تهواني وانت الذي تقول :

رمي الله في عيني بشينة بالقذى

وفي العُر من انيابها بالقوادح^(١)

فأطرق قليلا يبكي ثم قال بل انا القائل :

الا ليتني اعمى اصم تقودني بشينة لا يخفى علي كلامها

فقالت له ويحك ما حملك على هذه المنى ؟ اولىس في سعة العافية
ما كفانا جميعا . وعابو على جميل هذا البيت فقيل : هذا محال ان
يكون اصم ثم لا يخفى عليه كلامها اللهم الا ان يعطى آية في خفاء .
كلام الناس عليه وسماعه لكلامها^(٢)

(١) القوادح : جم قاذحة ، وهي المدودة التي تفسد الاسنان .

(٢) اللوشح ، ص ٢٠٠

وقيل ان احسن ما قيل في تمني الشعراء لقاء الاحبة مع البلا.
قول ابن الاحنف :

الا ليتني اعمى اذا حيل دونها
وتنشأ لنا ابصارنا حين نلتقي
اضن على الدنيا بطرفي وطرفها
فهل بعد هذا من فعال بمشفق

* * *
قال ابو عمر بن العلاء قال رؤبة ما رأيت افخر من قول امرى.
القيس .

فلو انما اسعى لأدني معيشة
كفاني ولم اطلب قليل من المال
ولكنما اسعى لمجد مؤثـل
وقد يدرك المجد المؤثـل امثالي

ولا انذل من قوله .

لنا غنم نسوقها^(١) غزار كأن قرون جلّتها^(٢) العصي
فتملاً بيتنا إقطنا وسمنا وحسبك من غنى شبع وري
لأن قوله هذا يشبه قول اعرابي متلفع في شملته لا تجاوز همته
ما حوته خيمته .

* * *
ومن الامثلة الجامعة للنقد ما رواه المبرد ان عمر بن ابي ربيعة

(١) نسوقها : نخبها على السير .

(٢) جلّتها : معظمها .

والاحوص ونصيبا صاروا الى كثير فاقبل كثير على عمر فقال له
احسنت في كثير من شعرك ولكن اخبرني عن قولك :

قالت لها اختها تعاتبها لتفسدن الطواف في عمر
قومي تصدي له ليبصرنا ثم اغمزيه يا اخت في خفر
قالت لها قد غمزه فابى ثم اسبطرت^(١) تشتد في اثري
والله لو قلت هذا في حرة اهلك كنت قد اسأت صفتها انك
اردت ان تنسب بها فنسبت بنفسك . اهكذا يقال للمرأة ؟ فالمرأة
انما توصف بالخفر وانها توصف بانها مطلوبة ممتنعة هلا قلت كما قال
هذا وضرب بيده على كتف الاحوص :

ادور ولولا ان اري ام جعفر بابياتكم مادرت حيث ادور
وما كنت زورا ولكن ذا الهوى اذا لم يُزر لا بد ان سيزور
لقد منعت معروفها ام جعفر واني الى معروفها لفقير
فامتلا الاحوص سرورا ثم اقبل عليه فقال يا احوص خبرني عن
قولك :

فان تصلي اصلك وان تعودى لهجر بعد وصلك لا ابالي
اما والله لو كنت من فحول الشعراء لباليت هلا قلت كما قال هذا
وضرب بيده على جنب نصيب :

بزيب الم قبل ان يضعن الركب وقل ان تملينا فما ملك القلب
فانتفخ نصيب ثم اقبل عليه فقال له ، ولكن اخبرني عن قولك
يا اسود :

(١) اسبطرت : اسرعت .

اهيم بدعد ما حيت فان امت فوا حزنا من ذا يهيم بها بعدي
كانك اغتممت وحزنت الا يتزوجها احد من بعدك .
فقال بعضهم لبعض قوموا نذهب فان الذهب افضل لنا من
البقاء. ^(١) .

* * *

قال كثير عزة :

أريد لانسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيلي
فنقدوه بانه ان كان يحبها حقا فلماذا يريد ان ينسى ذكرها ؟
الا قال كما قال الآخر :

فلا خفف الرحمن ما بي من الهوى
ولا قطع الرحمن عن حبها حي
فما سرتني اني خلى من الهوى
ولو ان لي ما بين شرق الى غرب



الفضل السائس

بحث السرقات الشعرية

البحث في السرقات الشعرية هو من صميم ابحاث النقد الادبي لذلك تحرير ما قاله علماء البيان في موضوع السرقات ودونت ما هو جوهرى منها وتركت الزيادات للراغبين في طلب المزيد. وهي مبسوثة في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة والكامل للمبرد والوساطة بين المتنبي وخصومه لعلي بن عبدالعزيز الجرجاني . والموشح للمرزباني وكتاب الصناعتين لابي هلال العسكري والمثل السائر لابن الاثير والصبح المنبي عن حيثية المتنبي ليوسف البديعي وغيرها من كتب الادب . ولا اذيع سرا ان قلت ان الامثلة التي وردت في هذه الكتب هي مدونة في جميعها غير انها تتفاوت في ايرادها الامثلة كثرة وقلة . ومن المفيد ايضا ان الخصص ما قاله ابن الاثير في كتابه المثل السائر في مقدمة بحث السرقات . اذ يرى ان البحث في موضوع السرقة يعلمنا اين نضع ايدينا في أخذ المعاني اذ لا يستغني الآخر عن الاستعارة من الاول ولكنه في الوقت نفسه لا يتفق مع القائلين بان الشعراء الاقدمين استأثروا بجميع المعاني ولم يتركوا للمتأخرين شيئاً يبتدعونها فهذا قول لا يلتفت اليه ابن الاثير لان الشعر عنده من الامور المتناقلة والذي تواردت عليه الاخبار بان العرب كانت تنظم المقاطيع من الابيات فيما يعن لها من الحاجات . ولم يزل الحال على هذه الصورة الى عهد امرى القيس . ولو لم يكن له معنى اختص به سوى انه اول من قصد القصيد لكان في ذلك كفاية . وأي فضيلة اكبر

من هذه الفضيلة . ثم تتابع المقصدون واختير من القصائد التي علقت على البيت وانفتح للشعراء هذا الباب للتقصيد و كثرت المعاني المقولة بسببه ولم يزل الامر ينمى ويزيد ويؤتى بالمعاني الغريبة واستمر ذلك الى عهد الدولة العباسية وما بعدها الى الدولة الحمدانية فعظم الشعر وكثرت اساليبه وتشعبت طرقه . وكان ختامه على الثلاثة المتأخرين وهم ابو تمام حبيب بن اوس وابو عبادة الوليد بن عبيد البحرى وابو الطيب المتنبي ، فاذا قيل ان المعاني المبتدعة سبق اليها ولم يبق معنى مبتدع فهذا القول عند ابن الاثير غير مقبول . والصحيح عنده ان باب الابتداع للمعاني مفتوح الى يوم القيامة . ومن الذي يحجز على الخواطر وهي قاذفة بما لا نهاية له ؟ الا ان من المعاني ما يتساوى الشعراء فيه ولا يطلق عليه اسم الابتداع لا اول قبل آخر لان الخواطر تأتي به من غير حاجة الى اتباع الآخر الاول كقولهم في الغزل:

عفت الديار وما عفت آثارهن من القلوب

ثم يقول والذي عندي في السرقات انه متى اورد الآخر شيئاً من الفاظ الاول في معنى من المعاني ولو لفظة واحدة فان ذلك من ادل الدليل على سرقة .

اقسام السرقات

وعنده ايضا ان السرقات تتمثل في ثلاثة اقسام نسخا و سلخا و مسخا . والنسخ في رايه اخذ اللفظ والمعنى برمتيه من غير زيادة عليه مأخوذاً ذلك من نسخ الكتاب . واما السلخ فهو اخذ بعض المعنى مأخوذاً من سلخ الجلد الذي هو بعض الجسم المسلوخ .

واما المسخ فهو احالة المعنى الى ما دونه مأخوذا من مسخ
الادميين الى قرده . ثم قال وكل قسم من هذه الاقسام يتنوع
ويتفرع وتخرج به القسمة الى مسالك دقيقة .

ومن المعلوم ان السرقات الشعرية لا يمكن الوقوف عليها الا
بحفظ الاشعار الكثيرة التي لا يحصرها عدد . فمن رام الاخذ بنواصيها
والاشتغال على قواصيها بان يتصفح الاشعار تصفحا ويقتنع بتأملها
ناظرا فانه لا يظفر منها الا بالحواشي والاطراف .

وعلى ذلك فان الناقد الادبي لا يكون ناقدنا حاذقا حتى يضم
طرائف الادب الى صدره وتكون تلك الطرائف ماثلة في قلبه
وفكره وقديما قالوا :

ليس بعلم ما حوى القمطر ما العلم الا ما حواه الصدر

ومن المتفق عليه ان من السرقات الشعرية ما هو محمود ، ومنها
ما هو مذموم وهي على خمسة عشر ضربا :

١ - ان يأخذ الثاني من الاول المعنى واللفظ ويخالفه في لفظه
واحدة وهذا الضرب مذموم والمتأخر ملوم كقول الفرزدق :

اتعدل احسابا لثاما حماتها باحسابنا اني الى الله راجع
وكقول جرير :

اتعدل احسابا كراما حماتها باحسابكم اني الى الله راجع
وكقول ابي نواس الحكمي :

دارت على فتية ذل الزمان لهم فما اصابهم الا بما شاؤا
الذي اخذه من معبد في قوله :

لهني على فتية ذل الزمان لهم فما اصابهم الا بما شاؤا
٢ - ان يأخذ المعنى واكثر اللفظ وهذا الضرب ينقسم قسمين.
مذموم ومحمود ، فالمحمود كقول ابي تمام :

محاسن اصناف المغنين خمسة وماقصبات السبق الا لمعبد
اخذه من بعض المتقدمين يمدح معبدا صاحب الغناء :

اجاد طويس والشريحي بعده وماقصبات السبق الا لمعبد
والمذموم كقول ابي الطيب :

أحبه وأحب فيه ملامة ان الملامة فيه من اعدائه
الذي اخذه من قول ابي الشيص :

أجد الملامة في هواك لذيدة حبا لذكرك فليلمني اللوم
وتسمية هذا مبتدعا اولي من تسميته سرقة . وهذان الضربان
يسميان نسخا .

٣- أن يأخذ المعنى ويستخرج منه ما يشبهه وهذا من ادقها مذهبا
واحسنها صورة ، فمن ذلك قول الحماسي :

لقد زادني حبا لنفسي انني بغيض اليّ الجاهل المتعارف
اخذه المتنبّي واستخرج منه معنى شبيها به ، فقال :

واذا اتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كامل

٤- ان يأخذ المعنى مجردا من اللفظ وهذا لا يكاد يأتي الا قليلا
ومنه قول جرير :

ولا يمنعك من ارب لحاهم سواء ذو العمامة والجمار

اخذه المتنبي فقال :

ومن في كفه منهم قناة كمن في كفه منهم خضاب
٥- ان يأخذ المعنى ويسيرا من اللفظ وذلك من اقبح السرقات
واظهرها شناعة على السارق فمن ذلك قول البحري :

جاد حتى افنى السؤال فلما باد منا السؤال جاد ابتداء

اخذه من قول علي بن جبلة :

اعطيت حتى لم تدع لك سائلا وبدأت اذ قطع العفاة سؤلها

وكذلك قول ابي تمام :

ولم امدحك تفخيا بشعري ولكني مدحت بك المديحا

اخذه من قول حسان :

ما ان مدحت محمدا بمقالي لكن مدحت مقالي بمحمد

٦- ان يأخذ المعنى فيقلبه ، وذلك محمود . وينرجه حسنه عن
حد السرقة فما جاء منه قول ابي تمام :

كريم متى امدحه امدحه والورى

معي ، واذا مالته لمته وحدي

اخذه من تأخر عنه فقال :

مدحتهم وحدي فلما هجوتهم هجوتهم والناس كلهم معي .

٧- ان يأخذ بعض المعنى وهذا الضرب محمود فمن ذلك قول امية

بن ابي الصلت .

عطاؤك زين لامرى . ان حبوته

يبذل وما كل العطاء . يزين

وليس بشيء، لا مري بذل وجهه
إليك كما بعض السؤال يشين

أخذه أبو تمام فقال :

تدعى عطاياها وفرا وهي إن شهرت
كانت فخارا لمن يعفوه مؤتلفا
ما زلت منتظرا أعجوبة زمنا

حتى رأيت سؤالا يجتني شرفا

٨- إن يأخذ المعنى فيزيد عليه معنى آخر وهذا الضرب لا يكون

إلا حسنا كقول أبي نواس :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

أخذه من قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم رأيت الناس كلهم غضابا
وذلك إن جريرا جعل الناس كلهم في تميم وأبا نواس جعل العالم كله
في واحد وذلك أبلغ .

٩- إن يأخذ المعنى فيكسبه عبارة أحسن من الأولى وهذا هو

المحمود الذي يخرج حسنه عن باب السرقة وعليه قول أبي نواس :

يدل على ما في الضمير من الهوى

تقلب عينيه إلى شخص من يهوى

أخذه المتنبي فاجاد حيث قال :

وإذا خامر الهوى قلب صب فعليه لكل عين دليل

١٠- إن يأخذ المعنى ويسبكه سبكا موجزا وذلك من أحسن

السراقات فمن ذلك قول بعض المتقدمين :

امن خوف فقر تعجلته واخرت انفاق ما تجمع
فصرت الفقير وانت الغني وما كنت تعدو الذي تصنع
اخذه المتنبي ، فقال :

ومن ينفق الساعات في جمع ماله
مخافة فقر فالذي فعل الفقر
وكذلك قول ابي تمام :

كانت مسائلة الركبان تخبرني
عن احمد بن سعيد اطيب الاثر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت
اذني باحسن مما قد راى بصري
اخذه ابو الطيب فقال :

واستكبر الاخبار قبل لقائه فلما التقينا صغر الخبر الخبير
١١- ان يكون المعنى عاما فيجعله خاصا او بالعكس وهذا من
السراقات التي يسامح فيها صاحبها ومنه قول الاخطل :

لاتنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم
أخذه ابو تمام فقال :

ألوم من بخلت يدها واغتدى
للبلخ تريبا ساء ذاك صنيعا

وكذلك قول ابي تمام :

ولو حاردت^(١) شول عذرت لقاها
ولكن منعت الدر والضرع حافل
اخذه المتنبى فقال :

وما يؤلم الحرمان من كف حارم
كما يؤلم الحرمان من كف رازق
١٢ - ان يزيد المعنى بيانا مع المساواة في اصله .
ومنه قول ابي تمام :

هو الصنع ان يعجل فنفع وان يرث
فليرث في بعض المواطن انفع
اخذه المتنبى فاوضحه بمثال فقال :

ومن الخير بطء سيبك عنى
اسرع السحب في المسير الجهام
١٣ - وهو اتحاد الطريق واختلاف المقصد فمن ذلك قول بعضهم:
كانه غنى لشمس الضحى فنقطته طربا بالنجوم
اخذه الشاهين فاحسن غاية الاحسان :

وقائلة والشمس عنى وقد رأت
قروحا على خد يفوق على الورد
اما تغتدى تهدي لجبك عودة
فقلت وهل تغني الرقامن اخ الوجد

(١) حاردت الناقة : قل لبنها .

فجاءته ولهى والنجوم تمام
فادهشها حتى نثرن على الخد
وعلماء البيان يسمون هذا الضرب سلخا .

١٤ - قلب الصورة الحسنة الى صورة قبيحة وهذا الضرب يسمى
مسخا فما ورد منه قول ديك الجن :

نحن نعزيك ومنك الهدى مُستخرج والصبر مستقبَل
نقول بالعقل وانت الذى نأوي اليه وبه نعقل
اذا عفا عنك واردي بنا الدهر فذاك المحسن المجمل
اخذه المتنبى فقال :

ان يكن صبر ذى الرزية فضلا
تكن الافضل الاعز الاجلا
انت يافوق ان تعزى عن الاحـ
باب فوق الذى يعزىك عقلا
وبالفاظك اهتدى فاذا عز
الك قال الذى له قلت قبلا

١٥ - قلب الصورة القبيحة الى صورة حسنة ولا يسمى هذا
الضرب مسخا لانه محمود والمسوخ مذموم . قال ابو نواس فى ارجوزة
يصف فيها اللعب بالكرة والصولجان :

جن على جن وان كانوا بشر كأنما خيطوا عليها بالابر
ثم جاء المتنبى فقال :

فكانها نتجت قياما تحتهم وكانهم ولدوا على صهواتها

الفصل السابع

المدارس العربية والاسلامية ورجالها

في مكة والبصرة والكوفة وبغداد

المدرسة بعامة هي كل محل تناول الانسان فيه غذاءه العقلي والروحي. سواء اكان هذا المحل أعد اعدادا خاصا كمدرسة ام اتخذ في وقت ما ولعامل خاص موضعاً للعلم والمعرفة. وبهذا الاعتبار نجد امتنا العربية اهتمت اهتماما كبيرا بمثل هاتيك المحال وجعلتها اداة ثقافية عامة تحتفل بها عند كل مجتمع وفي كل مرتع. تنصب لها الخيام وتهيئ لها الحكام وتدعوا اليها اولي اللسن فيأتونها من كل فج عميق. يقصدها الشعراء والخطباء والزعماء. فيتناشدون الاشعار ويتبادلون الخطب وتجري بينهم المناظرة والمفاخرة والمنافرة والمناقضة امام اولئك الحكام يقضون بينهم بالعدل وعلى اساس من العلم السائد يوم ذاك بينهم ويصدرون الاحكام على ما هم فيه مختلفون.

والباحث المدقق في نشأة الاسواق العربية وفي الطابع الغالب عليها يجد ويجزم بأن اهم ما كان يدور فيها هو العمل على توحيد لهجات العرب وان تلك الاسواق كانت بمثابة معاهد لغوية وثقافية تصقل سنتهم وتهذب عقولهم وتربي عواطفهم. وهي اسواق كثيرة كانوا يقيمونها في اشهر السنة وينتقلون بها في ارجاء الجزيرة. فكانوا ينزلون دومة الجندل. ثم ينتقلون الى هجر بالبحرين ثم يرتحلون الى عمان ثم ينزلون بسوق المشقر، ثم سوق صحار، ثم ينزلون بالشجر وهو ساحل بين عمان وعدن ثم ينزلون في عدن ابين ثم حضر موت ثم ينزلون صنعاء.

ولهم اسواق اخرى كسوق ذي المجاز بناحية وادي عرفة وسوق
مجنة وسوق حباشة وسوق عكاظ وهي اعظم اسواقهم .
ولقد ذكر الجاحظ في الحيوان سوق الابله وسوق لقة وسوق
الانبار وسوق الحيرة .

وعكاظ واد بين نخلة والطائف فكانت تحضره قبائل العرب
كلها لانها في طريقهم الى الحج الاكبر فيجتمعون فيه فيتناشدون
الاشعار ويتحاجون في خصوماتهم وكانوا لذلك العهد يتعلقون بالكلم
الطيب لا يعدلون بذلك شيئا لما ركب في طباعهم من الفخر وحب
المحمدة وما انصرفوا اليه من المباهاة بالفصاحة وقوة العارضة وقرب
ما بين اللسان والقلب .

وفي هذه السوق كان الشاعر الفحل يلقي بقصيدته والخطيب
المصقع بكلمته كما فعل عمرو بن كلثوم بطويلته وقس بن ساعدة الايادي
بخطبته . وفيها ضربت للنابغة الذبياني قبة من آدم ليتحاكم اليه الشعراء
في ايهم اشعر ، وقد انشده الاعشى والحذافا . وحسان في قصة
مشهورة مدونة في النماذج النقدية من هذا الكتاب . ان هذه العناية
الفائقة في الانشاد والتحكيم تدل دلالة صادقة على ان العرب كانت في
حالة من الارهاص الشديد والرغبة الحادة للانتقال من حالتهم القبلية
الى وحدة شاملة تجمع قبائلها وتصهر لهجاتها في لهجة واحدة هي لهجة
قريش التي نزل بها القرآن الكريم . ولا يخفى ان في هذا التوحيد
الاجتماعي واللغوي امرا عظيما وتمهيدا قويا لظهور الدين الاسلامي
الهادف الى وحدة عالمية لاسيد فيها ولا مسود الا بمقدار ما في الانسان
من علم وفضل وخلق كما عبّر عنه القرآن الكريم (ان اكرمكم عند

اللَّهُ اتقاكم ان الله عليم خبير) .

ولما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ دار الارقم بن اسد الخزومي في مكة المكرمة معهدا يلقن فيه اصحابه اصول الدعوة ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة . فكان من اخص اصحابه في هذه الفترة زوجته السيدة خديجة بنت خويلد وعلي بن ابي طالب وابو بكر الصديق وعبدالله بن عثمان وزيد بن حارثة الكلبي وسعد بن ابي وقاص والزبير بن العوام وطلحة بن عبيدالله وعثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف وابو عبيدة عامر بن الجراح وبلال الحبشي وعبدالله بن مسعود وعمار بن ياسر والارقم بن اسد الخزومي ، وهناك رجال آخرون يطول عددهم واحصاؤهم تخرجوا في مدرسة النبي صلى الله عليه وسلم ، وظل هؤلاء المسلمون يتدارسون القرآن والحديث حتى قوى ايمانهم ورسخت فيهم روح التضحية وتعلموا معاني الشؤون القيادية .

وفي ١٨ حزيران سنة ٦٢٢ ميلادية هاجر الرسول من مكة الى المدينة حتى بلغ قرية قبا . بعد عشرة ايام من سفره ثم مكث فيها اربعة ايام أسس بها اول مسجد للاسلام ، ثم خرج يريد المدينة . ولما علم اهلهما بقدمه هرعوا لاستقباله رجالهم ونساءؤهم وصبياؤهم ينقرون بالدفوف وينشدون نشيدهم التاريخي المشهور :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

ايها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع

وبعد ان استقر في دار ابي ايوب الانصاري واستراح المهاجرون

من وعثاء السفر اشترى ارضا وصنع اللبن والآجر ودعا الى بنائها
مسجدا ليكون داراً للحكومة ومجتمعا للصحابة ومدرسة للمسلمين.
واشترك معه في اقامة بناء المسجد المهاجرون ، والانصار وكان
صلى الله عليه وسلم يصنع اللبن ويرفع التراب بيديه الشريفتين . وبعد
عدة معارك جرت بينه وبين المشركين حتى تغلب عليهم ، واستولى
على بعض الاسرى في بعض المواقع فطلب منهم الفداء وجعل فديتهم
تعليم ابناء المسلمين القراءة والكتابة ، وهكذا انتشرت العلم
والمعرفة بين سكان المدينة المنورة .

وبذلك اصبحت المدينة المنورة من اعظم مراكز الثقافة العربية
الاسلامية منذ الهجرة وكانت مقام كثير من الصحابة الذين تلقوا
العلم عن النبي صلى الله عليه وسلم ورووا احاديثه . وقد اشتهرت
المدينة بالعلوم الدينية من تفسير للقرآن ومدارس للحديث واستنباط
للاحكام . واشتهر من علمائها زيد بن ثابت وعلي بن ابي طالب
وعبدالله بن عمر بن الخطاب من الصحابة ثم سعيد بن المسيب وعروة
بن الزبير بن العوام من التابعين ومن بعدهم الامام مالك بن انس
صاحب المذهب المشهور . ولم تقتصر المدينة على الشهرة في المسائل
الدينية بل نبغ فيها كثير من رجال التاريخ كمحمد بن اسحاق
والواقدي وهما يعدان من اشهر المصادر الاولى ممن تروى عنهم
السير والمغازي .

تعريف اصحابي بمدرسة البصرة و علمائها

ولما فتح العرب الحيرة سنة ١٤ هـ أمر امير المؤمنين عمر بن الخطاب
عقبة بن غزوان رضي الله عنهما بتأسيس البصرة فأسسها وصارت
حاضرة العراق واستوطنتها قبائل عربية مختلفة الاصول والانساب
تشابكت في علاقات متصلة مع سكان البلاد الاصيلين واشتهر من
علمائها ابو موسى الاشعري و انس بن مالك من الصحابة ثم الحسن
البصري و ابن سيرين من التابعين .

ويبدو ان الخلافات اللغوية بين لهجات القبائل بعضها مع بعض
من جانب وبين لغة القرآن والشعر القديم من جانب آخر دعت
المسلمين بادي . ذى بدء الى النظر في علوم اللغة^(١) . والتي اولها علم
النحو الذي اخذه ابو الاسود الدؤلي عن امير المؤمنين علي بن ابي
طالب كرم الله وجهه حين رأى حاجة الناس اليه وحين سمع قارئاً
يقراء « ان الله يرى . من المشر كين ورسوله » بكسر اللام من رسوله ا
وكان من كبار رجال هذه المدرسة .

١ - عيسى بن عمر الثقفي المتوفى سنة ١٤٩ هـ والذي هو استاذ الخليل
وسيبويه وهو معدود ايضاً من مشاهير القراء وينسب اليه كتابان في
النحو احدهما الجامع والآخر الاكمال (او المكمل) ويروى المبرد
انه رأى بعض ورقات منها ولم يعرف ابن النديم الا اسميها . وقيل

(١) الجزء الثانى من كتاب تاريخ الادب العربى (كارل بروكلمان) صفحة ١٢٨
باختصار .

(٢) فهرست ابن النديم ص ٦٠ .

(٣) كتاب بروكلمان نفسه ص ١٢٩ .

ان سيبويه صنف كتابه على اساس كتاب الجامع .

٢ - ابو عمر بن العلاء المازني المولود بمكة المكرمة في حدود سنة ٧٠ هجرية وعاش في البصرة حيث كان فيها من مشاهير العلماء على عهد الفرزدق وكان وثيق الصلة بالحسن البصري .

رحل ابو عمر الى دمشق وافدا على واليها عبد الوهاب بن ابراهيم الامام فتوفى في طريق عودته من هذه الرحلة بالكوفة سنة ١٥٤ هـ وقيل سنة ١٥٩ هـ . وكان ابو عمر بن العلاء يجمع طوال حياته اشعار العرب القدماء ولا سيما اشعار الجاهلية ، كما كان يدأب على شرحها وتدوين الملاحظات اللغوية عليها ، وكان ورعا متعبدا لم يكن يقرأ بيتا من الشعر قط في رمضان ولم يشتغل الا بالقرآن وهو احد القراء السبعة المشهورين^(١) .

٣ - يونس بن حبيب هو ابو عبد الرحمن كان تلميذا ابي عمر بن العلاء ولد في جبل وهي قرية على دجلة بين بغداد وواسط . واشتغل يونس مثل استاذه يجمع النوادر واللغة والامثال وقيل انه صنف كتاب القياس في النحو ولد سنة اربع وتسعين وتوفى عن ثمان وثمانين سنة وذلك سنة ١٨٢ هـ^(٢) .

وكانت حلقة بالبصرة يرتادها طلاب العلم واهل الادب وفصحاء الاعراب ووفود البادية . ولم تكن له هممة الا طلب العلم ومحادثة الرجال . له كتاب معاني القرآن وكتاب اللغات وكتاب النوادر

(١) الجزء الثاني من كتاب بروكلمان . ص ١٢٩ .

(٢) الجزء الثاني من كتاب بروكلمان . ص ١٣٠ .

(٣) فهرست ابن النديم ص ٦٣ .

الكبير و كتاب الامثال و كتاب النوادر الصغير^(٢) .

٤ - الخليل بن احمد الفراهيدي هو ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي من قبيلة أزد شنؤة تلميذ ابي عمرو و ابن العلاء وهو اول من سمي باسم احمد في الاسلام . كان من الزهاد و المنقطعين الى العلم و كان شاعرا مقلا ولد سنة ١٠١ و توفي بالبصرة سنة ١٧٥ هـ و عمره ٧٤ سنة .

و الخليل اول من نهج مسالك جديدة في علم العربية و المؤسس الحقيقي لعلم النحو الذي وضعه تلميذه سيبويه في كتابه المشهور بعد ان تلقاه عنه و تعلمه عليه و لا خلاف بين العلماء على ان الخليل مبتكر علم العروض و محصن اشعار العرب كما انه اول من شرع في جمع كنز اللغة العربية كلها في كتاب كبير ككتاب العين^(١) .

و كان الخليل غاية في تصحيح القياس و تعليل النحو و استنباط مسائله و كان اكثر كتاب سيبويه منقولا عنه او مستمدا منه و كان على معرفة بالموسيقى حيث صنع اول كتاب فيها على غير علم بلغة اجنبية و لا علم بألة موسيقية .

رووا ان ابنه دخل عليه مرة وهو مستغرق في تفكيره يوقع باصابعه و يحركها فظنه قد جن ، فقال له الخليل :

لو كنت تعلم ما اقول عذرتني

أو كنت تعلم ما تقول عذلتك

لكن جهلت مقالتي فعذلتني

وعلمت انك جاهل فعذرتك

(١) الجزء الثاني من كتاب بروكلمان ص ١٣١ و فهرست ابن النديم ص ٦٤ .

وكان الخليل زاهدا لا يبالي بالدنيا . وذكروا ان سليمان بن علي
وجه اليه من الاهواز رسولا يستدعيه لتأديب ولده فأخرج الخليل
الى رسول سليمان خبزا يابساً وقال له كل فما عندي غيره . وما دمت
اجده فلا حاجة لي الي سليمان . فقال الرسول : فما بلغه ؟ فقال الخليل :

ابـلـغ سليمان اني عنه في سعة
وفي غنى غير اني لست ذا مال
شُحاً بنفسي اني لا ارى احدا
يموت هزلاً ولا يبقى على حال
والفقر في النفس لا في المال تعرفه
ومثل ذلك الغنى في النفس لا المال
فالرزق عن قدر لا العجز ينقصه
ولا يزيدك فيه حول محتال

٥ - سيبويه هو ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ولد في البيضاء
قرب شيراز فقدم البصرة وهو غلام . ولما اكمل دراسته واتم كتابه
بالبصرة وفد على بغداد يطلب منزلته في دار الخلافة . فناظره
الكسائي مؤدب الامين بن هارون الرشيد في مسألة الزنبور وغلبه
الكسائي .

وتفصيل المسألة ان سيبويه لما قدم بغداد عزم يحيى بن خالد
البرمكي على الجمع بينه وبين الكسائي وجعل لاجتماعهما يوماً . فلما
حضر اقال له الكسائي تسألني أم اسألك . فقال له سيبويه : سل
انت ، فسأله عن قول العرب قد كنت اظن ان العقرب اشد لسعة

من الزنبور فاذا هو هي وقالوا ايضا فاذا هو اياها فانكر سيبويه على الكسائي قول العرب فاذا هو اياها ولم يجوز النصب وسأله عن امثال ذلك مثل خرجت فاذا عبد الله القائم أو القائم فقال له سيبويه كل ذلك بالرفع ، فقال الكسائي العرب ترفع كل ذلك وتنصبه فقال يحيى قد اختلفتما وانتما رئيسا بلديكما فمن يحكم بينكما . فقال الكسائي : هذه العرب ببابك فيحضرون ويسألون . فقال يحيى وجعفر انصفت فاحضروا ووافقوا الكسائي فاستكان سيبويه فأمر له يحيى بعشرة الاف درهم فخرج الى فارس فاقام بها ولم يعد الى البصرة ومات عن ٣٣ سنة وذلك في سنة ١٧٧ هـ .

* * *

٦ - الاصمعي هو ابو سعيد عبد الملك بن قُريب وأصمع جده الخامس وينتهي نسبه الى مضر بن نزار بن معد . ولد سنة ١٢٣ هـ في البصرة في بيت عربي عريق في الكتابة وأخذ العربية والحديث والقراءة من أمتهما ونقل عن فصحاء الاعراب الذين كانوا يفتنون الى البصرة . قدم بغداد في خلافة هارون الرشيد ثم عاد الى البصرة . وكان يرحل الى البادية يساكن اهلها ويشافهمهم يأخذ عنهم تعليم نقد الشعر ومعانيه ، وكان اماما في اللغة والغرائب والملح كثير الحفظ قوى الذاكرة . وقد الف نحو اربعين كتابا اغلبها في اللغة وعمّر حتى ادرك زمن المأمون ، و اراد ان يستقدمه اليه غير ان الاصمعي اعتذر محتجا بكبر سنه وضعف قوته فكان المأمون يجمع له المشكل من المسائل ويرسلها اليه ليجيب عنها . وله تسند رواية الاصمعيات التي بلغ عدد قصائدها ومقطوعاتها اثنتين وتسعين قصيدة موزعة

علي (٧١) شاعرا منهم اربعون شاعراً جاهلياً على رأسهم امرؤ القيس
والخارث بن عباد ودريد بن الصيمّة و ابو داود الايادي وذو الاصبع
العدواني وسلامة بن جندل وطرفة بن العبد وعروة بن الورد وقيس
بن الخطيم . واعاد نشرها الاستاذان عبدالسلام هارون واحمد شاكر
عن نسخة الشنقيطي .

ومما يحكى عنه انه اجتمع مع ابي عبيدة عند الفضل بن الربيع
وقد الف كل منهما كتابا في الخيل فسئل الاصمعي عن كتابه فقال هو
مجلد واحد وسئل ابو عبيدة عن كتابه فقال خمسون مجلدا ف قيل له قم
الى هذا الفرس وامسك كل عضو وسمه فقال لست بيطارا وانما اخذت
هذا عن العرب ف قيل للاصمعي قم أنت وافعل فقام وجعل يضع يده على
كل عضو ويسميه وينشد ما قالته العرب فيه . فلما فرغ اعطى الفرس .
ويقال انه كان اذا اراد اذى ابي عبيدة اتى اليه راكبا الفرس وتوفي
في البصرة سنة ٥٢١٦ هـ .

محمد بن سلام الجعفي البصري^(١)

وكتابه طبقات فحول الشعراء

هو ابو عبدالله محمد بن سلام الجعفي البصري كان من اعيان اهل
الادب ولد بالبصرة سنة ١٥٠ وتوفي ببغداد سنة ٥٢٣٢ هـ .
اخذ عن حماد بن سلمة ومبارك بن فضالة وجماعة ممن لهم علم وادب .
وروى عنه الامام احمد بن حنبل وابنه عبدالله و ابو العباس ثعلب
واحمد بن علي الآبار .

(١) ترجم له في كتاب بنية الوعاة .

قال ابو خليفة ابيضت حية محمد بن سلام و ابيض رأسه وله سبع وعشرون سنة . وقال محمد بن احمد بن شبة حدثني جدي قال : كان محمد بن سلام له علم بالشعر و الاخبار و هما من جملة علوم الادب .

وقال الحسين بن فهم قدم علينا محمد بن سلام سنة اثنتين وعشرين ومائتين فاعتلَّ علة شديدة فما تخلف عنه احد . و اهدى له الاجلاء اطباءهم فكان ابن ماسويه من جملة من أهدى اليه . فلما جسسه ونظر اليه قال لا ارى بك من العلة ما ارى بك من الجزع . فقال : والله ما ذاك على الدنيا مع اثنتين وسبعين سنة^(١) ولكن الانسان في غفلة حتى يوقظ بعلة . فقال ابن ماسويه : لا تجزع فقد رأيت في عرقك من الحرارة الغريزية ما ان سلمت من العوارض^(٢) بلغك عشر سنين . قال ابن فهم : فوافق كلامه قدراً . فعاش محمد بن سلام بعد ذلك عشر سنين . وتوفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . وكان ذلك في السنة التي مات فيها الواثق و بويع المتوكل بن المعتصم . وقال موسى بن هارون توفي سنة احدى وثلاثين ومائتين^(٣) .

مؤلفاته^(٥)

الف ابن سلام كتابا في طبقات الشعراء الجاهلين وطبقات الشعراء الاسلاميين وهو اقدم كتاب من كتب الطبقات و ظل مرجع طلاب

(١) وفي طبقات الادباء اثنتين وثمانين .

(٢) العوارض جمع عارضة وهي التي تمرض للانسان في ايام حياته .

(٣) قدراً اي قضاء وفق ما في علم الله القديم .

(٤) معجم الادباء ج ١٨ ص ٢٠٤ .

(٥) تاريخ اداب اللغة العربية لجرحي زيدان ج ٢ ص ١٠٨ .

الشعر الى عهد غير بعيد . وقد ذكره صاحب الفهرست فجعله كتابين احدهما في الشعراء الجاهليين والآخر في الاسلاميين . ثم ذكر له كتاباً في بيوتات العرب . وآخر في ملح الاشعار . وتجد اخباره في الفهرست ص ١١٣ .

اما كتابه طبقات الشعراء فقد اقتصره رحمه الله على الشعراء المشهورين المعروفين من شعراء قبائل العرب .. لانه يرى ان من الصعوبة بمكان ان يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب . لذلك اقتصر كلامه على ما لا يجهله عالم ولا يستغنى عن علمه ناظر في امر العرب . ويرى ابن سلام : ان هناك شعراً مفتعلاً لا خير فيه ، ولا حجة في عربيته فضلاً عن عدم الاستفادة منه .. وسبب ذلك ان رواته لم يأخذوه عن اهل البادية ولم يعرضوه على العلماء . وما كانوا يروونه عن صحفي^(١) .

وكان قد تحدث في كتابه الطبقات ان للشعر صناعة وثقافة يعرفها اهل العلم كسائر اصناف العلوم والصناعات .

منها ما تثقفه العين ، ومنها ما تثقفه الاذن ، ومنها ما تثقفه اليد ، ومنها ما يثقفه اللسان^(٢) .. من ذلك اللؤلؤ والياقوت لا يعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يبصره^(٣) .. ومن ذلك الجهبذة^(٤) بالدينار

(١) الصحفي الذي يأخذ عن صحيفة . ولم يعرضه على العلماء اي لم يتلق علمه بالرواية .

(٢) الصحفي الذي يأخذ عن صحيفة . ولم يعرضه على العلماء . لم يتلق علمه بالرواية .

(٣) الثقافة الحدق والافتقان وضبط الاصول وسرعة الفهم للجيد والردى .

(٤) من البصر وهو ادراك كنه الشيء .

(٥) الجهبذة نقد الزائف من الدرهم والدنانير .

والدرم لا تعرف جودتها بلون ولا مس ولا طراز^(١) ولا وسم^(٢)
ولا صفة ويعرفه الناقد عند المعاينة فيعرف بهرجها وزائفها^(٣)
وستوقها^(٤) ومفرغها^(٥) .. ومنه البصر بغريب النخل والبصر بانواع
المتاع وضروبه واختلاف بلاده مع تشابه لونه ومسه وذرعه حتى
يضاف كل صنف الى بلده الذي خرج منه وكذلك البصر بالرقيق
فتوصف الجارية فيقال ناصعة اللون جيدة الشطب نقية الثغر حسنة
العين والانف جيدة النهود ظريفة اللسان واردة^(٦) الشعر فتكون
في هذه الصفة بمائة دينار وتكون الاخرى بالف دينار واكثر . الى
ان يقول :

ويقال للرجل والمرأة في القراءة والغناء : انه لندي الصوت
والخلق طويل النفس مصيب اللحن ويوصف الاخر بهذه الصفة وبينها
بون بعيد .

يعرف ذلك العلماء عند المعاينة والاستماع له بلا صفة ينتهي اليها
ولا علم يوقف عليه وان كثرة المدارس لتعدى^(٧) على العلم به فكذلك
الشعر يعرفه اهل العلم .

ثم يتحدث ابن سلام في كتابه هذا عن افسدوا الشعر وهجنوه

(١) الطراز صيغة الدينار والدرم .

(٢) الوسم ما يسك عليه من صورة او نقش او كتابة .

(٣) البهرج الرديء وكذلك الزائف .

(٤) الستوف اذا كان الشيء من ثلاث طبقات .

(٥) للمفرغ للمصبوب في قالب .

(٦) واردة الشعر يقال شعر مسترسل حسن الثبت طويل يرد كمثل للمرأة .

(٧) اعداه على الشيء واداه قواه واعانه عليه .

مستدلاً بقول ابي عمرو بن العلاء (ما لسان حجر واقصى اليمن بلساننا
ولا عربيتهم بعربيتنا فكيف بما على عهد عاد وثمود مع تداعيه ووهيه
فلو كان الشعر مثل ما وضع لابن اسحاق ومثل ما رواه الصحفيون
ما كانت اليه حاجة ولا فيه دليل على علم^(١) .

ويرى ان اول من استن العربية وفتح بابها وانهج سبيلها ووضع
قياسها ابو الاسود الدولي على اثر سماعه اللحن من قبل بعض عليية
القوم . فيذكر ابياتا جاءت على خلاف ما تعارف عليه الناس من
قواعد النحو كبيت الفرزدق .

(وعض زمان يا ابن مروان لم يدع

من المال الا مسحتا او مجرف)

فالافصح في نظر النقاد نصب مجرف لا رفعه . اذ نقده ابن ابي
اسحاق فقال للفرزدق (بم رفعت مجرف فقال بمايسوك وينوك . علينا
ان نقول وعليكم ان تتأولوا) .

ثم يرجع الى ما هو بسبيله من الحديث عن شعراء الجاهلية
والاسلام والمخضرمين فينزلهم منازلهم ويحتج لكل شاعر بما وجد له
من حجة ، وما قال فيه العلماء . فيقتصر على ذكر اربعين شاعرا موزعين
على عشر طبقات . ثم يقول : كان الشعر في الجاهلية ديوان علمهم
ومنتهى حكمهم ، به يأخذون واليه يصيرون وكان علم قوم لم يكن
لهم علم اصح منه . حتى جاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا
بالجهاد وغزو فارس والروم ولهت^(٢) عن الشعر وروايتة . فلما كثر

(١) المكتات نفسه ص ١١ .

(٢) لها عن الشيء يلهو عقل عنه ونسى ذكره .

الاسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالامصار راجعوا رواية
الشعر فلم يؤولوا^(١) الى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب والفوا
ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا اقل ذلك
وذهب عليهم منه كثير .

ويقول كان من الشعراء من يتأله^(٢) في الجاهلية ويتعفف في
شعره ولا يستبهر^(٣) بالفواحش ولا يتهم في الهجاء ومنهم من
كان يتعهر^(٤) ولا يبقى على نفسه ولا يتستر^(٥) كما مرى القيس والاعشى
والفرزدق الذي هو اقول اهل الاسلام في هذا الفن .
ويستشد عليه بقوله :

هما دلتاني من ثمانين قامة
كما انقض باز اقم الريش كاسره
فلما استوت رجلاي في الارض نادتا
احيا يُرجى ام قتيلا نجا ذره
فقلت ارفعوا الاسباب لا يفطنوا بنا
ووليت في اعجاز ليل ابادره
واصبحت في القوم الجلوس واصبحت
مغلقةً دوني عليها دساكره^(٦)

-
- (١) يؤولوا يرجعوا الى سجل .
(٢) يتأله يتسك وبتعبد .
(٣) ولا يستبهر لا يتسجم ولا يقذف احدا بريب .
(٤) يتعهر يأتي بالنسكر .
(٥) لا يبقى على نفسه ولا يتستر بمرض نفسه للافات والظنون ولا يشفق عليها .
(٦) جم دسكرة بناء كالفصر حوله منازل للخدم والحشم .

قالها وهو بالمدينة فانكرت ذلك عليه قريش وازعجه مروان بن
الحكم وهو وال على المدينة فأجله ثلاثا .

وبعد ان يذكر ابن سلام اشعارا كثيرة من هذا النمط يقول :
فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكروا ايامها وماثرها استقل
بعض العشائر شعر شعراءهم وما ذهب من ذكر وقائعهم وقالوا
شعرا على السن اولئك الشعراء . ثم زاد الرواة على ذلك ايضا ولكن
تلك الزيادة لا تشكل على اهل العلم . ويذكر امثلة على ذلك الافتعال
الذي افتعله ابن داود بن متهم بن نويرة وحماد الراوية وغيرهم .

ثم يأخذ بتقسيم الشعراء الى طبقات مدعما رأيه بما قاله العلماء .
عنهم فيجعل في الطبقة الاولى من فحول شعراء الجاهلية امرأ القيس
بن حجر الكندي ونابغة بني ذبيان وزهير بن ابي سلمى والاعشى
ميمون بن قيس ، مبينا اسباب تقديم هذه الطبقة على غيرها ، واسباب
تقديم بعض افرادها على بعض .

اما الطبقة الثانية فيذكر الكتاب من افراد هذه الطبقة كعب
بن زهير وكيف جاء متنكرا عائذاً برسول الله صلى الله عليه وسلم
من غضب الانصار عليه . ولما آمنه الرسول قام فانشد مدحته التي
يقول فيها .

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول^(١)

متيم إثرها لم يُفد مكبول

ثم يذكر الحطيئة ومثانة شعره وشروذ قوافيه والتماسه كعب

(١) المتبول - الذي غلبه الحب حتى هيمه واسقمه .

بن زهير ان يثنى عليه في شعره حتى ترتفع منزلته بين الناس لان
الناس اكثر رواية لاشعار ال زهير. فيذكره كعب وينصفه بابيات
مدونة في الكتاب نفسه. ثم يسترسل في امر الخطيئة وما جرى له
مع الزيرقان بن بدر.

الطبقة الثالثة

فن الطبقة الثالثة نابغة بني جعدة حسان بن قيس ، وابوذؤيب
الهدلي وهو خويلد بن خالد ، والشماخ بن خرار ولبيد بن ربيعة .
ثم يتكلم عنهم واحدا واحدا فيذكر ما لهم وما عليهم فيقول عن
النابغة الجعدي كان قديما شاعرا مفلقا طويل النقا. في الجاهلية
والاسلام وكان اكبر من النابغة الذبياني ويدل على ذلك قوله .

فمن يك سائلا عني فاني من الفتيان ايام الخنان^(١)
أتت مئة لعامٍ وُلدت فيه وعشرٌ بعد ذلك وحجتان
وقد ابقت خطوب الدهر مني كما تبقى من السيف اليماني
تفلل وهو مأثور جـراز اذا اجتمعت بقائمه يدان

ويقول : وكان الجعدي مختلف الشعر مغلبا . فقال الفرزدق ؟ :
مثله مثل صاحب الخلقان^(٢) يرى عنده ثوب عصب^(٣) و ثوب خز^(٤)
والى جنبه سمل كساء^(٥) . وكان الاصمعي يمدحه بهذا وينسبه الى

(١) الخنان وقمة من وقائم العرب .

(٢) صاحب الخلقان هو الذي يبيم قديم الثياب .

(٣) العصب من اجود برود اليمن لان عزلها كان يجعم .

(٤) الخز الحرير .

(٥) السمل الخلق من الثياب .

قلة التكلف فيقول عنده خمار يواف^(١) ومطرف بالاف .

واما رأيه في ابي ذؤيب الهذلي فانه يرى فيه شاعرا فحلا لا
غميزه^(٢) فيه ولا وهن . قال ابو عمر وبن العلاء : سئل حسان من
اشعر الناس ؟ قال حيا او رجلا قال حيا قال اشعر الناس حيا هذيل
واشعر هذيل غير مدافع ابو ذؤيب .

ولما تكلم عن الشماخ قال فيه : كان الشماخ شديد متون^(٣)
الشعر اشد اسر^(٤) كلام من لبيد وفيه كزازه^(٥) ولبيد اسهل
منه منطقا .

ثم يذكر اخا للشماخ اسمه جزء . كان قدرثي عمر بن الخطاب بقوله :

جزى الله خيرا من امير وباركت

يد الله في ذاك الاديم الممزق

فمن يسع او يركب جناحي نعامة

ليدرك ما حاولت بالامر يسبق

قضيت امورا ثم غادرت بعدها

بواثق في اكمامها لم تفتق

وما كنت اخشي ان تكون وفاته

بكفى سبنتى ازرق العين مطرق

(١) الوافي درم وثلك الدرر .

(٢) لا غميرة لا عيب فيه .

(٣) متون الشعر عباراته وصياغته .

(٤) اسر الكلام شدته .

(٥) السكرازة اليبس والتقبض .

وبعد هذا الحديث ينتقل الى ذكر لبيد بن ربيعة فيقول عنه انه كان ابو عقيل فارسا شاعرا شجاعا وكان عذب المنطق رقيق حواشي الكلام وكان مسلما رجلا صدق . ثم قال وكتب عمر الى عامله ان سل لبيدا ما احدث من الشعر في الاسلام فقال : قد ابدلني الله بالشعر سورة البقرة وال عمران فزاد عمر في عطائه فبلغ به الفين . وعمر لبيد عمرا طويلا وكان في الجاهلية خير شاعر لقومه يمدحهم ويرثيهم ويعدد ايامهم ووقائعهم وفرسانهم وكان يطعم الطعام ما هبت الصبا . وكان المغيرة بن شعبه اذا هبت الصبا قال :

اعينوا ابا عقيل على مرؤته .

وعلى هذا النمط من البحث جرى ابن سلام في كتابه الذي نحن بصدده فيأخذ بالحديث عن الطبقة الرابعة والخامسة حتى يأتي الى الطبقة العاشرة . وبعد ذلك يعدد شعراء المراثي وطبقة شعراء القرى العربية كشعراء المدينة ومكة والطائف والبحرين وشعراء يهود ثم يتحدث عن طبقات فحول الاسلام مثل جرير والفرزدق والاخلطل والراعي الذين يؤلفون الطبقة الاولى والطبقة الثانية مثل البعيث المجاشعي والقطامي وكثير وذى الرمة حتى يستوفيهم في عشر طبقات ايضا . وفي الطبقة العاشرة من فحول شعراء الاسلام يختم الكتاب . فظهر مما تقدم ان مجمل خصائص بن سلام في كتابه هذا .

١ - ان يكون النقد منصبا على تحري الجودة، والجودة عنده ان يكون الشعر من حيث النسيج والتصوير قائماً على قواعد من العلم يقرها ذوو الاختصاص من اصحاب النحو والبلاغة والعروض ،

وصادراً عن مدارس واسعة ، لان المدارس تعدى على العلم وتعين
الشاعر على الاجادة وتهدي الى الصواب حتى لا يأتى شعره على خلاف
ما تعارف عليه الناس من قواعد العربية ولا يقع في الخطأ كما وقع
الفرزدق في شعره الذي ذكرناه آنفاً :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع

من المال الا مسحاً او مجلف

برفع مجلف . والصحيح النصب على مسحاً . ثم ثناؤه على خلاد
بن يزيد الباهلي لانه كان حسن العلم بالشعر يرويه ويقوله . ثم روايته
لمقالة خلف ورده على من قال له اذا سمعت انا بالشعر واستحسنته فما
ابالي ما قلت فيه انت واصحابك . فقال له خلف اذا اخذت درهما
فاستحسنته فقال لك الصراف انه ردى . . هل ينفعك استحسانك .

٢ - للاسبقية في الزمن عند ابن سلام فضل في النقد الادبي . ولعل
السبب في ذلك ان السابق في نظره مبتكر والملاحق يظن فيه معنى التقليد .
كما ان لكثرة شعر الشاعر وطول نفسه في نسج الشعر مما يقدمه على
غيره ولذلك قدم امرأ القيس والنابغة وزهير والاعشى على غيرهم
من الشعراء . وهكذا صنع في باقي الطبقات من الشعراء .

ودليل آخر على فضل الاسبقية عند ابن سلام قبوله لاحتجاج
بعضهم في تقديم امرئ القيس . فقال : ليس تقديم امرئ القيس على
غيره لانه قال ما لم يقولوا ولكنه سبق العرب الى اشياء ابتدعها
فاستحسنتها العرب واتبعه فيها الشعراء منها استيقافه صحبه والبكاء
على الديار ورقة النسيب وقرب المأخذ وتشبيهه النساء بالظباء
والخيل بالعقبان .

٣ - استحسانه لبعض المفاهيم الفنية واهتمامه باقوال بعض نقدة الكلام ، فانه استشهد بقول عمر بن الخطاب حين قال لابن عباس : انشدني لاشعر شعرائكم قلت من هو يا امير المؤمنين قال : زهير ، فقد كان لا يعاظر بين الكلام ولا يتتبع حوشيه ولا يمدح الرجل الا بما فيه .

و كذلك نقله لقول اهل النظر في زهير فقد قال : قالوا عنه : كان زهير احكمهم شعراً وابعدهم من سخف واجمعهم لكثير من المعنى وقليل من المنطق .

ظهر لنا مما تقدم ان ابن سلام كان له نظر في بعض النواحي الفنية وان لم يكشف عنها بصريح العبارة . ولو كشف عنها وشرحها لآتانا بشعر كثير . ولعل طبيعة العصر الذي عاشه ابن سلام لم تسمح بما كثر مما جاء به في كتابه الطبقات .

ابن قتيبة وكتابه الشعر والشعراء

هو ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي في مولده وانما سمي الدينوري لانه كان قاضي الدينور . كان عالماً باللغة والنحو وغريب القرآن ومعاني الشعر والفقهاء كثير التصنيف والتأليف . ولي القضاء بدينور في المدائن ثم انتقل الى بغداد فظل يزاوّل التدريس والتعليم بها ولد سنة ٢١٣ وتوفى في اول رجب سنة ٢٧٦ هـ .

و كان غرض ابن قتيبة من اكثر مصنفاته ان يقدم الى الطبقة التي عظمت مكانتها واتسع نفوذها (وهي طبقة الكتاب واصحاب الدواوين الذين كانوا طبقة المنشئين) ما يسد حاجتها من

وسائل الثقافة الادبية والتاريخية . ولكنه تناول ايضا في اثنين من مصنفاته مسائل الخلاف الديني التي كانت سائدة في عصره فنصب من نفسه مدافعا عن القرآن والحديث تجاه أهل الشك والريب من المتفلسفين .

بقي من مصنفاته بعض الكتب نذكر اهمها مما له علاقة بابحاثنا النقدية .

١ - ادب الكاتب صنفه قبل كتاب عيون الاخبار .

٢ - عيون الاخبار ويشتمل على عشرة كتب في السلطان والحرب والشرف والاخلاق والعلم والفصاحة والاخوان والرجاء والطعام والنساء .

٣ - معاني الشعر وهو يشتمل على اثني عشر كتاباً .

٤ - كتاب المعارف ويتحدث عن مبدأ الخلق وقصة الطوفان ثم يلي ذلك تاريخ الانبياء والرسول واخبار العرب الذين كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم انساب العرب بتوسع ثم سيرة الرسول وصحابته وسير الخلفاء من بعده .

٥ - كتاب الاشربة واختلاف الناس فيها .

٦ - كتاب الشعر والشعراء او طبقات الشعراء او ديوان الشعراء . والظاهر ان كل هذه العناوين لكتاب واحد اخبر فيه عن الشعراء وازمانهم واقدارهم وآبائهم وقبائلهم وعمما يستحسن من شعرهم ، وما اخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ في الفاظهم او معانيهم وما سبق اليه المتقدمون فاخذه عنهم المتأخرون .

ثم اخبر فيه عن اقسام الشعر وطبقات الشعراء و كشف عن هدفه
في تأليف هذا الكتاب فقال :

كان اكثر قصدي ان اترجم واكتب عن المشهورين من الشعراء
الذين يعرفهم جل اهل الادب والذين يقع الاحتجاج باشعارهم في
الغريب وفي النحو وفي كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

ولابن قتيبة رأي حصيف في المتقدمين والمحدثين من الشعراء
وذوي اللسن و كان يعيب العلماء الذين يستجيدون الشعر السخيف
لتقدم قائله ويرذلون الشعر الرصين لتأخر قائله فيقول :

لم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص
به قوما دون قوم بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل
دهر فقد كان جرير والفرزدق والاخلط وامثالهم يعدون محدثين ،
و كان ابو عمرو بن العلاء يقول لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى
هممت بروايتيه . ثم صار هو لا . قدما . عندنا ببعدهم منهم .
وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا كالخريمي والعتابي والحسن بن
هاني واشباههم فكل من اتى بحسن ذكرنا له واثنينا به عليه ولم
يضعه عندنا تأخر قائله او فاعله او حداثة سنه . كما ان الردي ، اذا ورد
علينا للمتقدم او الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه .

وهذا مبدأ سليم للنقاد الذين يتحرون الحقائق الادبية ويحكمون
بحسب ما يقتضيه العدل والانصاف لان الحق احق ان يتبع واليق
بمن ينصبون انفسهم حكاما بين الناس لان الظلم بغيض ، سواء اكان

الظلم واقعا على بنات افكار الناس ام في اغتصاب ما يملكون من مال ومتاع .

ثم ينتقل ابن قتيبة الى اقسام الشعر فيقول :

لقد تدبرت الشعر فوجدته اربعة اضرب .

١ - ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه كقول الحزبن الكناني في بعض بني امية^(١) :

في كفه خيزران ريجه عبق

من كف اروع في عرنينه شمم

يُغِضِي حياءً وَيُغِضِي فِي مهابته

فما يكلم الا حين يتسم

لم يُقل في الهيئة شيء احسن منه . وينسب هذا الشعر للفرزدق

في مدح زين العابدين وذلك ما رده ابو الفرج في الاغاني .

و كقول اوس بن حجر :

ايتها النفس اجلي جزعا ان الذي تحذرين قد وقعا

لم يبتدىء احد مرثية باحسن من هذا .

و كقول ابي ذؤيب :

والنفس راغبة اذا رغبتها واذا تُرد الى قليل تقنع

قال الاصمعي هذا ابداع بيت قالته العرب .

و كقول حميد بن ثور :

ارى بصرى قد رابني بعد صحة

وحسبك داء ان تصح وتسلما

ولم يُقل في الكبر شي، احسن منه .

وكقول النابغة :

كليني لهم يا اميمة ناصب

وليل اقاسيه بطي، الكواكب

لم يبتدىء احد من المتقدمين باحسن منه ولا اغرب .

٢ - وضرب منه حسن لفظه وحلا فاذا انت فتشته لم تجد هناك

فائدة في المعنى كقول القائل :

ولما قضينا من منى كل حاجة

ومسح بالاركان من هو ماسح

وُشدت على حُذب المهاري رحالنا

ولا ينظر الغادي الذي هو رائح

اخذنا باطراف الاحاديث بيننا

وسالت باعناق المطى الاباطح

هذه الالفاظ كما ترى احسن شي، مخارج ومطالع ومقاطع، وان

نظرت الى ما تحتها من المعنى وجدته : ولما قطعنا ايام منى واستلمنا

الاركان وعالينا ابلنا الانضاء، ومضى الناس لا ينتظر الغادي الرائح

ابتدانا في الحديث وسارت المطى في الابطح، وهذا الصنف في

الشعر كثير، ونحوه قول المعلوط :

ان الذين غدوا بلبك غادروا

وشلا بعينك ما يزال معينا

غيضن من عبراتهم وقلن لي

م- اذا لقيت من الهوى ولقينا

ونحو قول جرير :

يا اخت ناجية السلام عليكم
قبل الرحيل وقبل لوم العذل
لو كنتُ اعلم ان اخر عهدكم
يوم الرحيل فعلت ما لم افعل

وقوله :

بان الخليط ولو طوعت ما بانا
وقطعوا من حبال الوصل اقرانا
ان العيون التي في طرفها حور
قتلنا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به
وهن اضعف خلق الله انسانا

وانا لرى ان ابن قتيبة غير موفق في نقده لآبيات جرير على
الاقبل فان فيها من المعاني والصور ما لم يوفق الى مثلها غيره .

٣ - وضرب منه جاد معناه وقصرت الفاظه عنه كقول لبيد

بن ربعة :

ما عاتب المرء الكريم كنفسه
والمرء يصلحه الجليس الصالح
هذا وان كان جيد المعنى والسبك فانه قليل الماء والرونق .
و كقول النابغة للنعمان :

خطا طيف حجن في حبال متينة

تمد بها ايد اليك نوازع

قال ابو محمد رأيت علما، نا يستجيدون معناه ولست اري الفاظه
جيدا ولا مبينة لمعناه لانه اراد انت في قدرتك على كخطاطيف
عقف يمد بها وانا كدلو تمد بتلك الخطاطيف وعلى اني ايضا لست اري
المعنى جيدا .

و كقول الفرزدق :

والشيب ينهض في الشباب كأنه

ليل يصيح بجانبيه نهار

٤ - وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه كقول الاعشى في امرأة :

وفوها كأقا حبي غداه دائم الهطل

كما شيب براح با رد من عسل النحل

و كقول الخليل بن احمد العروض :

ان الخليط تصدع فطر بدائك أوقع

لولا جوار حسان حور المدامع اربع

ام البنين واسما ، والرباب وبوزع

لقلت للراحل ارحل اذا بدا لك اودع

وهذا الشعر بين المتكلف ردي، الصنعة . وكذلك اشعار العلماء .

ليس فيها شي، عن اسماح وسهولة كشعر الاصمعي وشعر بن المقفع

وشعر الخليل خلاخاف الاحمر فانه كان اجودهم طبعا واكثرهم شعرا .

ولو لم يكن في هذا الشعر الا ام البنين وبوزع لكفاء رداة .

فقد كان جرير انشد بعض خلفاء بني امية قصيدته التي اولها :

بان الخليط يرامتين فودعوا او كلما جدوا لبين تجزع
كيف العزاء ولم اجد مذنبتم قلبا يقر ولا شرابا ينقع

والخليفة يتحفز ويؤحف استحسانا للقصيدة حتى اذا بلغ الى قوله :

وتقول بوزع قدديت على العصا

هـ لا هزئت بغيرنا يا بوزع

قال له افسدت شعرك بهذا الاسم .

وقال ابن قتيبة وقد يقدر في الحسن قبحُ اسمه كما ينفع القبيحَ
حسنُ اسمه، ويستشهد بان رجلين ترافعا في خصومة الى شريح القاضي .
فقال احدهما ادع ابا الكويفر ليشهد فتقدم شيخ فردّه شريح ولم يسأل
عنه وقال له لو كنت عدلا لم ترض بهذه الكنية . وسأل عمر رجلا
اراد ان يستعين به على امر فسأله عن اسمه واسم ابيه فقال ظالم بن
سراق فقال تظلم انت ويسرق ابوك . ولم يستعن به . ومن هذا الضرب
قول الاعشى :

وقد غدوت الى الحانوت يتبعني

شاو مَشَل شلول شلشل شول

وهذه الالفاظ الاربعة في معنى واحد وكان قد يستغني باحدها .

و كقول ابي الاسد وهو من المتأخرين :

ولائمة لا متك يا فيض في الندى

فقلت لها لن يقدر اللوم في البحر

ارادت لتثنى الفيض عن عادة الندى
ومن ذا الذي يثنى السحاب عن القطر
مواقع جود الفيض في كل بلدة
مواقع ماء المزن في البلد القفر
كان وفود الفيض حين تحملوا
الى الفيض وافوا عنده ليلة القدر

وقال ومن هذا الضرب ايضا قول المرقش :

هل بالديار تجيب صمم لو ان حيا ناطقا كلم
يا بى الشباب الاقورين ولا تغبط اخاك ان يقال حكم^(١)
ثم يقول ابن قتيبة . والعجب عندي من الاصمعي اذ ادخله في
متخيرته وهو شعر ليس بصحيح الوزن ولا حسن الروى ولا متخير
اللفظ ولا لطيف المعنى ولا اعلم شيئا يستحسن منه الا قوله :
النشر مسك والوجوه دنا نير واطراف الاكف عنم

* * *

ثم ينتقل ابن قتيبة للبحث في عيوب الشعر فيبدأ في بحث
الاقواء والاكفاء ويرى ان الاقواء هو اختلاف الاعراب فى القوافي
وذلك بأن تكون قافية مرفوعة واخرى مخفوضة كقول النابغة :
قالت بنو عامر خالوا بني اسد يابؤس للجهل ضرارا لاقوام
وقال فيها :

تبدو كواكبهم الشمس طالعة لا النور نور ولا الاظلام اظلام

(١) الاقورين الدواهي . حكم اصبح محكما في الامور وذلك في الشيخوخة والمهرم .

وهكذا يسترسل ابن قتيبة في ايراد الامثلة الدالة على الاقواء
والاكفاء والسيناء ، والايطاء ، والاجازة . حتى يأتي الى نهاية هذه
الابحاث .

ثم يستأنف البحث في عيوب الإعراب فيورد ابياتا يسكن فيها
ما كان ينبغي له ان يُحرّكه . و ابياتا اخرى يجوّز فيها قصر الممدود ،
ولا يجوّز مدّ المقصور ، كما انه يجوّز صرف غير المصروف
للاضطرار ، ويقبح عدم صرف الاسم المصروف .

وبعد ايراد الامثلة على كل ذلك يقول :

وليس للمُحدّث ان يتبع المتقدم في استعمال وحشى الكلام
الذي لم يكثر ، واستعمال اللغة القليلة التداول كأبداهم الجيم من
الياء كقول القائل (يارب ان كنت قبلت حجتي) يريد حجتي ،
(وعلج) يريدون على ويختتم هذه الابحاث بقوله :

وهذا يكثر ، وفيما ذكرت منه ما دلك على ما اردت من
اختيارك احسن الروى ، واسهل الالفاظ ، وابعدها من التعقّد
والاستكراه ، واقربها من أفهام الدوام . وكذلك اختار للخطيب
اذا خطب ، والكاتب اذا كتب ، فانه يُقال : أسير الشعر والكلام
المطمع ، يراد الذي يطمع في مثله من سمعه ، وهو مكان النجم
من يد المتناول .

ابن المعتز وكتابه البديع^(١)

هو ابو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي امير النسب والادب ... ولد في الثالث والعشرين من شعبان عام ٢٤٩ هـ . واحد دهره في الادب والشعر ، وكان يقصد فصحاء الاعراب ويأخذ عنهم ، ولقى العلماء من النحويين والاختباريين ، كثير السماع غزير الرواية ، وامره اشهر من ان يُستقصى ، اخذ الادب وعلوم العرب عن ابي العباس محمد بن يزيد المبرد وعن ابي العباس ثعلب فنشأ شاعرا مطبوعا مقتدرا على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ جيد القريحة ، ومن مزاياه الابداع للمعاني .

و كان قد اشتهر بابداع التشبيه او تصوير الخيال ، لان شعره يمثل الصور الذهنية بما يقربها من الصور الحسية ولذلك لقبه المتأدبون بأمر التشبيه الخيالي او التمثيل الشعري ، و كان يقول اذا قلت كأن ولم آت بتشبيه بعدها فض الله في .

الف كتباً كثيرة منها كتاب البديع و كتاب الزهر والرياض و كتاب السرقات و كتاب اشعار الملوك و كتاب طبقات الشعراء . اما كتابه البديع فقد جعله في عدة ابواب .

الباب الاول في الاستعارة . وضرب لها الامثال من القرآن الكريم ومن احاديث النبي صلى الله عليه وسلم ومن اقوال صحابته ومن جاء بعدهم من الكتاب والشعراء . وفصحاء العرب . فمن القرآن

(١) كتاب الفهرست لابن النديم ص (١٦٨) وكتاب تاريخ اداب اللغة العربية لجرمي زيدان ص (١٦١) .

الكريم قوله تعالى (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة)^(١) ومن
الحديث قوله صلى الله عليه وسلم (داء الامم الحسد والبغضاء) ومن
شعر العرب قولهم :

فاقسمت انسى الداعيات الى الصبا
وقد فاجأتها العين والسرّ واقع
فغطت بايديها ثمار نحورها
كأيدي الاسارى اثقلتها الجوامع
وكقول الاخر :

شربنا من فؤاد الدن حتى تركنا الدن ليس له فؤاد

* * *

واما الباب الثاني فخاص بالتجنيس وهو ان تجيء الكلمات
متجانسة في بيت شعر او في عبارة نشر . وقد يكون تجانس الكلمات
في تأليف حروفها ومعانيها وما يشتق منها او في تأليف الحروف
دون المعنى . فن الاول (يوم خلجت على الخليج نفوسهم) . وخليج
بمعنى انتزع . ومن الثاني قوله تعالى (واسلمت مع سليمان لله رب
العالمين .

وكقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (الظلم ظلمات) وقال
البحتري :

ورمى بشغرتة الشغور فسدها طلق اليدين مؤملا مرهوبا

* * *

(١) شبه الذل بطائر واستعير لفظ المشبه به وهو الطائر المشبه وهو الذل ثم
حذف الطائر ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو الجناح .

الباب الثالث خاص بالمطابقة وهي الجمع بين معنيين متقابلين .
قال الله تعالى (ولكم في القصص حياة يا اولي الالباب) وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصار (انكم لتكثرون عند الفزع
وتقلون عند الطمع) وقال سيدنا الحسن رضي الله عنه وقد انكر
عليه الافراط في تخويف الناس (ان من خوفك حتى تبلغ الامن
خير ممن امنك حتى تبلغ الخوف ، وقال الطائي :

وضل بك المرتاد من حيث يهتدى
وضرت بك الايام من حيث تنفع
وقد كان يدعى لا بس الصبر حازما
فاصبح يدعى حازما حين يجزع

وقال اعرابي لرجل : ان فلانا وان ضحك لك فانه يضحك منك
فان لم تتخذه عدوا في علانيتك فلا تجعله صديقا في سريرتك . وشم
رجل الشعبي فقال له الشعبي ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت
صادقا فغفر الله لي .

* * *

الباب الرابع وهو رد اعجاز الكلام على ما تقدمها . وهذا الباب
ينقسم الى ثلاثة اقسام : فمنه ما يوافق اخر كلمة فيه اخر كلمة في
نصفه الاول مثل قول الشاعر :

تلقى اذا ما الامر كان عرمرما
وفي جيش رأى لا يفلى عرمرم
ومنه ما يوافق اخر كلمة منه اول كلمة في نصفه الاول كقوله :

سريع الى ابن العم يشتم عرضه

وليس الى داعي الندى بسريع

ومنه ما يوافق اخرُ كلمة فيه بعض ما فيه فقال تعالى (ولقد استهزى برسلك من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) .

الباب الخامس ، وهو مذهب سماه الجاحظ المذهب الكلامي^(١) مثل قول ابي الدرداء ان اخوف ما اخاف عليكم ان يقال علمت فاذا علمت .. وقال عمر لعبدالله بن عباس رضي الله عنهما: من ترى ان نوليه على حمص قال رجلا صحيحا منك صحيحا لك قال كن انت ذلك الرجل قال لا ينتفع بي مع سوء ظني في سوء ظنك .

وقال ابراهيم بن العباس :

وعلمتني كيف الهوى وجهتيه

وعلمكم صبري على ظلمكم ظلمي

واعلم مالي عندكم فيميل بي

هو اى الى جهلي فاعرض عن حلمي

وكتب الحسن بن وهب الى صديق له استزاره :

لما اذن الله في النهوض اليك احدث القدر ما لم اكن احتسبه من شغل يغم قلبي فلا اجد بقية تتذوقك فكرهت ان اتيك على هذه الحال فيكون نظري اليك حسرة يلجلجها الضمير اذ كان الشغل حاجباً عن استقصائك بكنهك .

(١) المذهب الكلامي : هو ان يأتي البليغ على صحة دعواه وابطال دعوى خصمه بحجة قاطعة عقلية مسلم بها .

ثم يشرع كتاب البديع بضم فنون اخرى على الفنون الخمسة
المذكورة كالالتفات والاعتراض والرجوع وحسن الخروج من
معنى الى معنى وتأكيذ المدح بما يشبه الذم وتجاهل العارف وهزل يراد
به الجذ كقولهم .

ارقيك ارقيك باسم الله ارقيك
من بخل نفس لعل الله يشفيك

وحسن التضمين والتعريض بالكتابة والافراط في الصفة وحسن
التشبيه وحسن الابتداء ، وحسن الختام وما الى ذلك مما لا يخفى على
اوساط المتعلمين والباحثين في قواعد اداب اللغة العربية .

قدامة بن جعفر وكتابه نقد الشعر

هو قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب البغدادي المتوفى سنة ٥٣١٠هـ .
كان ابوه نصرانيا وأسلم في أيام المكنفي وتولى منصبا كبيرا في الدولة
العباسية ، وكان اديبا شاعرا ألف كتبا كثيرة لم يصلنا منها الا :

١- كتاب نقد الشعر وهو اول كتاب مستقل في هذا الموضوع ،
بيّن فيه حد الشعر وشروط نظمه من حيث اللفظ والمعنى وأثلافيها
في ابواب النظم المعروفة في عصره وشروط المجاز والتشبيه ، وغير
ذلك .

٢- كتاب نقد النثر ، ويعرف بكتاب البيان ، نسخة منه خطية
في الاسكوريال ولم تصح نسبته اليه .

٣- كتاب الخراج وصناعة الكتابة لم يصلنا منه الا نحو مائة
صفحة في ديوان البريد والسكك والطرق الى نواحي المشرق والمغرب
والمسافات بين البلاد فضلا عن مقادير الجباية ، توفي سنة (٣١٠هـ)^(٢)

كتاب نقد الشعر

اما كتابه نقد الشعر فهو اول كتاب تحدث عن حد الشعر وشروط
نظمه وعن صلة الالفاظ بالمعاني واثلافيها في ابواب النظم المعروفة في
عصره وشروط المجاز والتشبيه وغير ذلك .

وقد قسم قدامة العلم بالشعر اقساما متعددة فقال : قسم ينسب
الى علم عروضه ووزنه .. وقسم ينسب الى علم قوافيه ومقاطعته ..
وقسم ينسب الى علم غريبة ولقته .. وقسم ينسب الى علم معانيه
ومقاصده .. وقسم ينسب الى علم جيده ورتيئه .

ثم قال : قد عُني الناس بوضع الكتب في اقسام علم الشعر فاستقصوا امر العروض والوزن وامر القوافي والمقاطع وامر الغريب والنحو وتكلموا في المعاني الدال عليها الشعر وما الذي يريد به الشاعر.. ولم اجد احدا وضع في نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتابا .. و كان الكلام عندي في هذا القسم اولى بالشعر من سائر الاقسام المعدودة^(١) لان علم الغريب والنحو واغراض المعاني محتاج اليه في اصل الكلام للشعر والنثر وليس هو باحدهما اولى بالآخر .
وعلموا الوزن والقوافي وان خصا الشعر وحده فليست الضرورة داعية اليها لسهولة وجودهما في طباع اكثر الناس من غير تعلم .

ومما يدل على ذلك ان جميع الشعر الجيد المستشهد به انما هو لمن كان قبل وضع الكتب في العروض والقوافي . ولو كانت الضرورة داعية الى ذلك لكان جميع هذا الشعر فاسدا او اكثره ، ثم ما نرى ايضا عن استقناء الناس عن هذا العلم بعد واضعيه الى هذا الوقت ، فان من يعلمه ومن لا يعلمه ليس يعول في شعر اذا اراد قوله الا على ذوقه دون الرجوع اليه فلا يتوكد عند الذي يعلمه صحة ذوقه ما تراه منه بان يعرضه عليه فكان هذا العلم مما يقال فيه ان الجهل به غير ضائر وما كانت هذه حاله فليست تدعو اليه ضرورة .

فاما علم جيد الشعر من رديئه فان الناس ينجطون في ذلك منذ تفقهوا في العلوم فقليلا ما يصيبون .

ثم يقول : ولما وجدت الامر على ذلك وتبينت ان الكلام في

(١) كتاب نقد الشعر نفسه ص ٢ .

هذا الامر اخص بالشعر من سائر الاسباب الاخرى وان الناس قد
قصروا في وضع كتاب فيه رأيت ان اتكلم في ذلك بما يبلغه الوسع.
ثم يتطرق الى تعريف الشعر فيصفه بعبارة مختصرة يعتقد انه لم
يجد ابلغ ولا اوجز منها مع تمام دلالتها فيقول: (الشعر قول موزون
مقفى يدل على معنى) ، ثم يشرع بشرح معنى القول ومعنى كونه
موزونا مقفيا دالاعلى معنى . وبعد شرحه معاني تلك الالفاظ يقول:
ولما كانت للشعر صناعة وكان الغرض في كل صناعة اجراء ما يصنع
ويعمل بها على غاية الجودة والكمال . اذ كان جميع ما يؤلف ويصنع
على سبيل الصناعات والمهن فله طرفان احدهما غاية الجودة والاخر
غاية الرداءة وحدود بينهما تسمى الوسائط وكان كل قاصد لشيء من
ذلك فانما يقصد الطرف الاجود فان كان معه من القوة في الصناعة
ما يبلغه اياه سمى حاذقا تمام الحذق فان قصر عن ذلك نزل له اسم
بحسب الموضع الذي يبلغه في القرب من تلك الغاية والبعد عنها اذ
كان الشعر ايضا جاريا على سبيل سائر الصناعات مقصودا فيه وفيما
يحاك ويؤلف منه الى غاية التجويد وكان العاجز عن هذه الغاية من
الشعراء انما هو من ضعفت صناعته .

ومجمل قوله في هذا الصدد ان الشعر الذي اجتمعت فيه الاوصاف
المحمودة كلها وخلا من الخلال المذمومة باسرها يسمى شعرا في غاية
الجودة وما يوجد بضد هذه الحال يسمى شعرا في غاية الرداءة وما
يجتمع فيه من الحالين اسباب ينزل له اسم بحسب قربه من الجيد او
الردى . او وقوعه في الوسط الذي يقال فيه صالح او متوسط او لا

جيد ولا ردى. فان سبيل الاوساط فى كل ماله ذلك ان تحد بسلب
الطرفين كما يقال مثلا فى الفاتر الذي هو وسط بين الحار والبارد
انه لا حار ولا بارد والمز الذي هو وسط بين الحلو والحامض انه لا
حلو ولا حامض .

* * *

ثم تعرض قدامة الى قضية فنية جد خطيرة ما زالت موضع اخذ
ورد فى عالم النقد . فيقول :

ومما يجب تقدمته وتوطيده قبل ان اتكلم فيه ان المعاني كلها
معرضة للشاعر، وله ان يتكلم فيما احب وآثر من غير ان يخطر عليه معنى
يروم الكلام فيه، اذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعية والشعر
فيها كالصورة كما يوجد فى كل صناعة من انه لا بد فيها من شيء
موضوع يقبل تأثير الصور منها مثل الخشب للنجارة والفضة للصياغة
وعلى الشاعر اذا شرع فى اى معنى كان من الرفعة والضعة والرفث
والنزاهة والبذخ والقناعة والمدح وغير ذلك من المعاني الحميدة أو
الذميمة ان يتوخى البلوغ من التجويد فى ذلك الى الغاية المطلوبة .

مما تقدم نعلم ان الصورة الشعرية عند قدامة لها المحل الاول وما
عداها فله المحل الثانى . ولعل الصورة التي ارادها قدامة هي ذلك
المظهر الجميل واللحن الساحر الناشئ من موأمة الصياغة لموضوع
القصيدة اقصد الموأمة بين الفكرة والموسيقى بين المعاني والالفاظ
بين العواطف والخيال بين الجسد والروح .

ثم يقول قدامة : ومما يجب تقديمه ايضا ان مناقضة الشاعر نفسه
فى قصيدتين او كلمتين بان يصف شيئا وصفا حسنا ثم يذمه بعد ذلك

ذما حسنا بينما غير منكر عليه ولا معيب من فعله اذا احسن المدح
والذم بل ذلك عندي يدل على قوة الشاعر في صناعته واقتداره عليها.
الظاهر من كلام قدامة ان نظرية بعض النقاد المحدثين القائلين
بنظرية الفن للفن وليس الفن للحياة ليست نظرية حديثة وانما قال بها
ادباء العرب من زمن بعيد .

ذلك ان قدامة يرى ان شعر امرىء القيس في ادبه المكشوف
لا عيب فيه وان فحاشة بعض اشعاره لا تزيل عنه الجودة كما لا يعيب
جودة النجارة في الخشب الرديء في ذاته . كما انه لا يرى اية
مناقضة في قول امرىء القيس .

فلو ان ما اسعى لادنى معيشة

كفاني ولم اطلب قليل من المال

ولكنما اسعى لمجد مؤثر

وقد يدرك المجد المؤثر امثالي

وقوله في موضع آخر :

لنا غنم نسوقها غزار كان قرون جلتها العصي

فتملا بيتنا اقطا وسمنا وحسبك من غنى شبع وري

ان قدامة لم يرتناقضا بين المعنيين بل يرى العكس فعنده ان
المعنيين في الشعرين متفقان الا انه زاد في احدهما زيادة لا تنقض ما
في الاخر . اذ ليس احد ممنوعاً من الاتساع في المعاني التي لاتتناقض
وذلك انه قال في احد المعنيين .

فلو ان ما اسعى لادنى معيشة كفاني ولم اطلب قليل من المال

وهذا موافق لقوله (حسبك من غنى شبع وري) ولكن في المعنى
الاول زيادة ليست بناقضة لشيء . وهو قوله لكنني لست اسعى لما
يكفيني ولكن لمجد مؤثر . فالمعنيان اللذان ينبئان عن اكتفاء الانسان
باليسير متوافقان في الشعرين . والزيادة في الشعر الاول التي دل بها
على بعد همته ليست تنقض واحدا منها ولا تنسخه . وارى ان الذي
يعيبه يظن ان امرأ القيس قال في احد الشعرين ان القليل يكفيه وفي
الآخر انه لا يكفيه . فالشاعر لم يقل شيئا من ذلك ، ولو قاله فانه
غير مخطئ . في نظر قدامة لان الشاعر عنده لا يوصف بان يكون
صادقا بل يراد منه اذا اخذ في معنى من المعاني كائنا ما كان ان يجيده
في وقته الحاضر لا ان ينسخ ما قاله في وقت آخر ^(١) .

وبعد هذه النظريات الشيقة الدقيقة يأخذ بذكر اوصاف الجودة
وهي ائتلاف اللفظ مع المعنى وائتلاف اللفظ مع الوزن وائتلاف
المعنى مع الوزن وائتلاف المعنى مع القافية . هذه امور اربعة يلحقها
قدامة بالاربعة التي ذكرها في حد الشعر الذي قال عنه انه قول موزون
مقفى دال على معنى . فتصبح اجناس الشعر الجيد ثمانية فاذا اجتمعت
للشعر كان في نهاية الجودة واذا لم يكن فيه شيء . منها كان في نهاية
الرداءة لا محالة .

اذ كان هذان الطرفان مشتملين على جميع النعوت او العيوب
التي يمكن على ضوءها ان ينصب النقد على الشعر .

ولما لم يكن كل شعر جامعا لجميع النعوت او العيوب وجب ان
تكون الوسائط التي بين المدح والذم تشتمل على صفات محمودة

(١) كتاب قد الشعر ص ٦ .

وصفات مذمومة ، فما كان فيه من النعوت المحمودة اكثر كان الى
الجودة اميل وما كان فيه من الصفات المعيبة اكثر كان الى الرداءة
اقرب وما تكافأت فيه النعوت والعيوب كان وسطا بين المدح والذم
وتنزيل ذلك (اذا حضر ما في الطرفين من النعوت والعيوب) لا يبعد
على من اعلم الفكر واحسن سبر الشعر .

جودة اللفظ

ومن هذا المنطلق يبدأ قدامة بيان صفات اللفظ الجيد فيقول
ان يكون سمحا سهل مخارج الحروف من مواضعها . وان يكون عليه
رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة .

ثم يأتي بامثلة كثيرة نقتطف من كل قصيدة ابياتا لضيق المقام
فيعرض قطعة من قصيدة الحادرة الذبياني وهي :

بكرت سمية بكرة فتمتع	وغدت غدو مفارق لم يربع
وتزودت عيني غداة لقيتها	بلوى البنينة نظرة لم تُقلع
وتصدفت حتى استبتك بواضح	صلت كمنتصب الغزال الاتلع
وبمقلتي حورا ، تحسب طرفها	وسنان حرة مستهل الادمع
واذا تنازعك الحديث رايتها	حسنا تبسمها لذيد المكرع

جودة الوزن

ان يكون الوزن سهل العروض (اي تعشقه الاذن ويجري
خفيفا على اللسان) ويمثل لذلك بايات من قصيدة المنخل اليشكري .
ولقد دخلت على الفتاة الخدر في اليوم المطير

الكاعب الحسناء. تر فل في الدمقس وفي الحرير
فدفعتها فتدافعت مشى القطاة الى الغدير
ولشمتها فتنفست كتنفس الظبي الغرير

جودة القوافي

ان تكون القافية عذبة الحرف سلسة المخرج وان تقصد لجعل
مقطع المصراع الاول في البيت الاول من القصيدة مثل قافيتها ذلك
لان الفحول من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخون التصريح ولا
يكادون يعدلون عنه وربما صرعوا ابياتا اخرى من القصيدة. واكثر
من كان يستعمل ذلك امرؤ القيس لمحله من الشعر كقوله :

افاطم مهلا بعض هذا التدلل

وان كنت قد ازمنت هجري فاجلي

الا ايها الليل الطويل الا انجل

بصبح وما الاصبح منك بامثل

و كقول حسان بن ثابت :

أبى رسم دار الحي ان يتكلما

اينطق بالمعروف من كان ابكما

باب المعاني الدال عليها الشعر

لقد اسهب قدامة في الكلام عن هذا الباب كما اسهب في ضرب

الامثلة له .

ولطرافة هذا الموضوع وعمقه وجمال شواهدة وجدت ان من

عظم الفائدة وتامها ان انقل منه ما يتسع المقام له . يقول قدامة :
جماع الوصف لهذا الباب ان يكون المعنى مواجها للغرض المقصود .
غير عادل عن الامر المطلوب .

ولما كانت اقسام المعاني التي تحتاج الى ان تكون على هذه الصفة
سما لا نهاية لعدده ولم يمكن ان يؤتى على تعديد جميع ذلك ولا ان
يبليغ اخره . لذلك رأيت قدامة ان يقصر كلامه على المديح والهجا .
والنسيب والمراثي والوصف والتشبيه . ثم يقول :

رايت الناس مختلفين في مذهبين من مذاهب الشعر وهما الغلو في
المعنى اذا شرع فيه والاقْتصار على الحد الاوسط فيما يقال منه .. وقد
شهدت قوما يقولون ان قول مهلهل بن ربيعة .

(فلولا الريح اسمع من بحجر صليل البيض تقرر بالذكور)

خطأ من اجل انه كان افراط في المبالغة اذ كان بين موضع الرقة
التي ذكرها وبين حجر مسافة عشرة ايام . وكذلك في قول ابي نواس .
واخفت اهل الشرك حتى انه لتخافك النطف التي لم تخلق
ثم يقول رايت هؤلاء باعيانهم في وقت اخر يستحسنون ما يرون
من طعن النابغة على حسان بن ثابت رضي الله عنه في قوله .

لنا الجففات الغر يلمعن بالضحى

واسيافنا يقطرن من نجدة دما

وبعد ان يذكر قدامة نقد الناقدين للغلو في الابيات التي اوردها
ومناقضتهم لانفسهم في بيت حسان . يقول : (ان الغلو عندي اجود
المذهبين وهو ما ذهب اليه اهل الفهم بالشعر والشعراء قديما) . ثم

يقول (وقد بلغني عن بعضهم انه قال احسن الشعر ا كذبه . و كذا
نرى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم ومن انكر على
مهلهل و ابى نواس اقوالهم فهو مخطى . لانهم وغيرهم ممن ذهب الى الغلو
انما ارادوا به المبالغة والغلو بما يخرج عن الوجود ويدخل في باب
المعدوم فانما يريد به المثل وبلوغ النهاية في النعت وهذا احسن من
المذهب الاخر .

ثم يرجع قدامة الى البحث في اغراض الشعراء التي ذكر معانيها
الستة فيبدأ بنعت المديح فيقول ما معناه .. ان الفضائل التي يصح
مدح الانسان بها انما هي العقل والشجاعة والعدل والعفة، وقد يجوز
ان ينعت الشاعر بمدوحه ببعضها دون البعض الاخر مثل ان يصف
الشاعر انسانا بالجد الذي هو احد اقسام العدل وحده فيغرق فيه
ويتفنن في معانيه او بالنجدة فقط فيعمل فيها مثل ذلك او بها او
يقتصر عليها دون غيرها فلا يسمى مخطأ لاصابته في مدح الانسان
ببعض فضائله . لكن يسمى مقصرا عن استعمال جميع المدح فقد
وجب ان يكون على هذا القياس المصيب من الشعراء من مدح
الرجال بهذه الخلال لا بغيرها والبالغ في التجويد الى اقصى حدوده
من استوعبها ولم يقتصر على بعضها وذلك كما قال زهير ابن ابى سلمى
في قصيدته .

اخو ثقة لا تهلك الخرماله ولكنه قد يهلك المال نائله
فوصفه في هذا البيت بالعفة لقلته امعانه في اللذات وانه لا ينفد
ماله فيها ووصفه بالسخا لاهلاكه ماله في النوال وانحرافه الى ذلك
عن اللذات وذلك هو العدل ثم قال :

تراه اذا ما جتته متهللاً كأنك تعطيه الذي انت سائله
فزاد في وصف السخاء بان جعله يهش له ولا يلحقه مضض لفعله
ثم قال :

فمن مثل حصن في الحروب ومثله

لانكار ضم او الخصم يجادله

فاتى في هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة والعقل فاستوعب
زهير في ابياته هذا المديح بالاربع الخصال التي هي فضائل الانسان
على الحقيقة وزاد في ذلك وصفه بالوفاء بقوله اخي ثقة والوفاء داخل
في الفضائل المذكورة آنفا .

ثم يقول : ان من اقسام العقل ثقابة المعرفة والحياء والبيان
والسياسية والكفاية والصدع بالحجة والعلم والحلم عن سفاهة الجمله
وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى . كما ان من اقسام العفة القناعة وقلة
الشهه وطهارة الازار وغير ذلك مما يجرى مجراه . ومن اقسام الشجاعة
الحماية والدفاع والاختذ بالثأر والنكايه في العدو والمهابة وقتل الاقران
والسير في المهامه الموحشه وما اشبه ذلك . ومن اقسام العدل السباحه
ومراد فيها التغابن والانظلام والتبرع بالنائل واجابه السائل وقبرى
الاضياف وما جانس ذلك . ثم يقول :

فاما تر كيب بعضها مع بعض فيحدث عنه ستة اقسام .

اما ما يحدث عن تر كيب العقل مع الشجاعة فالصبر على الملمات
ونوازل الخطوب والوفاء بالايعاد . وعن تر كيب العقل مع السخاء
فانجاز الوعد وما اشبه ذلك . وعن تر كيب العقل والعفة فالرغبة عن

المسألة والاقتصار على ادنى معيشة وما اشبه ذلك . وعن تركيب
الشجاعة مع السخا. الاتلاف والاخلاف وما اشبه ذلك. وعن تركيب
الشجاعة مع العفة انكار الفواحش والغيرة على الحرم . وعن تركيب
السخا. مع العفة الاسعاف بالقوت والايثار على النفس وما شا كل
ذلك .

وبعد هذه الاحاطة بعناصر الموضوع اخذ يضرب الامثلة الشعرية
لكثير من الشعراء الجاهليين والاسلاميين . مما لا يتسع المقام لذكرها
جميعا . لذلك نعمل بحسب القول المأثور اخذ القليل خير من ترك
الجميع فنقول :

قال محمد بن زياد الحارثي :

تخالهم للحم صمأ عن الخنا
وخرسا عن الفحشا. عند التهاجر
ومرضى اذا لا قوا حيا. وعفة
وعند الحفاظ كالليوث الخوادر
لهم ذل انصاف وانس تواضع
ومن عزهم ذلت رقاب العشائر
كان بهم وصمأ يخافون عاره
وليس بهم الا اتقاء المعابر

نعت الهجاء

اذا كنا قد عرفنا وصف المديح واسبابه سهل علينا معنى الهجاء .
لان الهجاء. ضد المديح فكلمنا كثرنا اضداد المديح في الشعر كان

اهجى له ثم تنزل الطبقات على مقدار قلة الالهاجي فيها وكثرتها . فمن
الهجاء المقذع ما انشده احمد بن يحيى :

كأثر بسعد ان سعدا كثيرة

ولا تبغ من سعد وفا . ولا نصرا

ولا تدع سعدا للقراع وخلصا

اذا امنت من روعها البلد القفرا

يروعك من سعد بن عمرو جسومها

وتزهد فيها حين تقتلها خبرا

فمن اصابة المعنى في هذا الهجاء . ان هذا الشاعر سلم لهؤلاء القوم
بامر ين يظن انها فضيلتان وليستا من الفضائل . وهما كثرة العدد وعظم
الجسوم . وغزا بذلك مغازى دلت على حذقه بالشعر . فمنها ان ادخل
هجاء لهم في باب الاقوال الصادقة لا عطاءه اياهم شيئا ومنعه عنهم
شيئا آخر . وقصده بذلك ان يظن ان قوله فيهم انما هو على سبيل
الصدق وذكره اياهم بما فيهم من جيد وردى . .

ومنها ما بان من معرفته بالفضائل حتى يميز صحيحها من باطلها
فسلم بالباطلة ومنع الصحيحة .

ومنها انه قطع عن هؤلاء القوم ما يعتذربه الكرام من قلة العدد
فان الكرام ابدا فيهم قلة كما قال السموأل .

تعبيرنا انا قليل عديدا فقلت لها ان الكرام قليل

نعت المراني

يقول قدامة ليس بين المرثية والمدحة فصل الا ان يذكر في

اللفظ ما يدل على انه هالك مثل كان وتولى وقضى نجبه وما شابه ذلك . وهذا ليس يزيد في المعنى ولا ينقص منه . لان تأييد الميث انما هو بمثل ما كان يمدح به في حياته . وقد يفعل في التأييد شي . ينفصل به لفظه عن لفظ المدح بغير كان وما جرى مجراها وهو ان يكون الحي مثالا يوصف بالوجود فلا يقال كان جوادا ولكن يقال ذهب الجود او فمن للوجود بعده وما اشبه هذه الاشياء . كقول كعب ابن سعد الغنوء .

لعمرى لئن كانت اصابت مصيبة
اخى والمنايا للرجال شعوب
لقد كان اما حلمه فمروح
علينا واما جهله فعزيب
اخى ما اخى لا فاحش عند بيته
ولا ورع عند اللقاء هيوب
حليم اذا ما الجهل زين لاهله
مع الحلم في عين العدو مهيب
اذا ما تراواه الرجال تحفظوا
فلم ينطقوا العورا . وهو قريب

و كقول اوس يرثي فضالة .

ايتها النفس اجملى جزعا ان الذى تحذرين قد وقعا
ان الذى جمع السباحة والنجم - دة والبأس والندى جمعا
الا لمعى الذى يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا

نعت التشبيه

ثم ينتقل الى نعت التشبيه فيقول : من الامور المعلومه ان الشيء لا يشبه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات لان الشئين اذا تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغاير البتة اتحدافصار الاثنان واحدا فبقى ان يكون التشبيه انما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان يعمهما ويوصفان بها . وافتراق في اشياء ينفرد كل واحد منهما بصفتهما . واذا كان الامر كذلك فاحسن التشبيه هو ما وقع بين الشئين اشتراكهما في الصفات اكثر من انفردهما فيها حتى يدنى الى حال الاتحاد . ويمثل لذلك بامثلة كثيرة لا مجال لاستيفائها ولكنها نأخذ مثلين فقط وندع الباقي للذين يريدون المزيد في مطالعتهم الكتاب .

قال

(وتعطو برخص غير شئن كانه اسار يع ظبي او مساويك اسجل)

وقال

(فتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل بجراده مرتعا)

نعت الوصف

ثم ينتقل الى نعت الوصف فيقول : الوصف انما هو ذكر الشيء كما فيه من الاحوال والهيئات ولما كان اكثر وصف الشعراء انما يقع على الاشياء المركبة من ضروب المعاني كان احسنهم من اتى في شعره باكثر المعاني التي يتركب منها الموصوف ثم باظهارها فيه واولاها حتى يحكيه بشعره ويمثله للحس بنعته من ذلك قول عبد الرحمن بن عبد الله القس يصف اصفاع السامعين الى الغناء الحسن .

إذا ما عجب مزهرها اليها وعاجت نحوه اذن كرام
فاصغوا نحوه الاسماع حتى كأنهم وما ناموا نيام
وقال ذو الرمة :

تري الخوديكرهن الرياح اذا جرت
وتمي بها لولا التخرج تفرح
اذا ضربتها الريح في المرط اشرفت
روادفها وانظم منها الموشح

نعت النسيب

ثم ينتقل الى نعت النسيب فيقول : ان كثيرا من الناس يحتاج
الى ان يعلم اولا ما النسيب . ونحن نحده فنقول :

ان النسيب ذكر خلق النساء . واخلاقهن وتصرف احوال الهوى
به معهن . وقد يذهب على قوم ايضا موضع الفرق بين النسيب والغزل .
والفرق بينهما ان الغزل هو المعنى الذي اذا اعتقده الانسان في الصبوة
الى النساء . نسب بهن من اجله فكان النسيب ذكر الغزل .. والغزل
المعنى نفسه ... والغزل انما هو التصابي والاستهتار بمودات النساء .

ويقال في الانسان انه غزل اذا كان متشكلا بالصورة التي تليق
بالنساء وتجانس موافقاتهن لحاجته بالوجه الذي يجذبهن الى ان يملن
اليه . والذي يميلن اليه هو الشماثل الحلو والمعاطف الظريفة والحركات
اللطيفة والكلام المستعذب والمزاح المستغرب .

ويقال لمن يتعاطى هذا المذهب من الرجال والنساء . متشاج اي
متشبه بمن قد شجاه الحب . لذلك وجب ان يكون النسيب الذي
يتم به الغرض هو ما كثرت فيه الادلة على التهاك في الصبابة وتظاهرت

فيه الشواهد على افراط الوجد واللوعة وما كان فيه من التصابي
والرقة اكثر مما يكون من الخشونة والجلادة . وما كان فيه من
الخشوع والذلة اكثر مما يكون فيه من الاباء والعز . وان يكون
جماع الامر ما ضاد التحافظ والعزيمة ووافق الانحلال والرخاوه ...
فاذا كان النسيب كذلك فقد تحقق الغرض .

وقد يدخل في النسيب التشوق والتذكر لمعاهد الاحبة بالرياح
الهابة والبروق اللامعة والجمائم الهاتفة والخيالات الطائفة واثار الديار
العافية واشخاص الاطلال الدائرة وجميع ذلك اذا ذكر احتيج ان
تكون فيه ادلة على عظيم الحسرة ومن مضي الاسف والمنازعة .
كقول محمد بن عبيد الازدي .

فلم تدع الارواح والماء والبلى

من الدار الا ما يشوق ويشغف

فاما النسيب نفسه فان المحسن من الشعراء فيه هو الذي يصف
من احوال ما يجده ما يعلم به كل ذي وجد حاضرا ودائر . فمن ذلك
قول ابي صخر الهذلي .

اما والذي ابكى واضحك والذي

امات واحيا والذي امره الامر

لقد كنت آتيها وفي النفس هجرها

بتاتا لاخرى الدهر ما طلع الفجر

فما هو الا ان اراها فجاءه

فابته لا عرف لدى ولا نكر

وانسى الذي قد كنت فيه هجرتها
كما قد تذسى لب شاربها الخمر
وفي هذه القصيدة ايضا موضع آخر دال على افراط المحبة ميين
عن سجية في اهل الهوى عامة وهو قوله .
ويمعني من بعد انكار ظلمها
اذا ظلمت يوما وان كان لي عذر
مخافة اني قد عرفت لان بدا
لي الهجر منها ما على هجرها صبر
واني لا ادري اذا النفس اشرفت
على هجرها ما يفعلن بي الهجر

وكما قال الشاعر:

يود بان يمسي سقيما لعلها اذا سمعت عنه بشكوى تراسله
ويهتز للمعروف في طلب العلى لتحمد يوما عند ليلي شمائله
وهكذا يسترسل قدامة في تبيان موضوعات اخرى هي الصق
بعلم المعاني والبديع كصحة التقسيم وصحة المقابلة وصحة التفسير والتتميم
والمبالغة والتكافؤ والالتفات والمساواة والابحار والاستعارة
والكنانة والتمثيل واثتلاف المعنى والوزن والقافية . ثم يأتى في
الفصل الثالث بكلام عن عيوب اللفظ والوزن والقوافي والمعاني
وذكر عيوب الهجاء والمراثي والتشبيه والوصف والغزل . مما لو أمعنا
فيه النظر لوجدناه داخلا في عموم ما اجملنا في هذه الخلاصة الموجزة .
مما يضاد الابحاث التي فصلناها من النواحي الايجابية . والله الموفق .

كتاب نقد النثر

هذا كتاب اختلف المؤرخون في امره فاكثرهم يضع الشك في نسبته الى قدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣١٠ هـ موضع اليقين واقلمهم يقول بنسبته اليه.... ونحن لا يهمنا امر نسبته الى من الفه بقدر ما يهمنا محتواه ومضمونه .

ومن الذين تشككوا في نسبته لقدامة الدكتور طه حسين . بل كاد يقطع جازما بانه لا يمكن ان تكون له . وقال انها في الغالب لكاتب شيعي ظاهر التشيع قد صنف كتبا عدة في الفقه وعلوم الدين . اما الذي قال بصحة نسبة الكتاب الى قدامة فهو عبد الحميد العبادي على الرغم من انه لم يجد في فهرست ابن النديم ولا في كشف الظنون ولا في معجم الادباء . ولا في اي مرجع اخر اشارة من قريب او بعيد تدل على ان قدامة قد صنف كتابا في نقد النثر او في البيان . وبينما المحققون في حيرة من امر هذا الكتاب . واذا بعلي حسن عبدالقادر ينشر مقالاته في سنة (١٩٤٨) . بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق يقول فيه ان هذا الكتاب الذي طبع باسم نقد النثر ونسب خطأ الى قدامة انما هو جزء من كتاب (البرهان في وجوه البيان) لاسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب عثر عليه في بعض المكتبات الاوربية . وبذلك خرجت المسألة من باب الشك الى اليقين . فعتوان الكتاب ليس نقد النثر ومصنفه ليس قدامة^(١) .

(١) كتاب البلاغة تطور وتاريخ لشوقي ضيف ص (٩٣) .

الفصل الخامس

تعريف ائمه اهل بيته الكوفة

الكوفة حاضرة العراق الثانية وقاعدة حربية للجيش الاسلامي. بناها سعد بن ابي وقاص باللبن بأمر من امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد ان احترقت بيوتها القصبية^(١) فأسس فيها المسلمون دارا واسعة اتخذوا منها مسجدا للصلاة ودارا للحكومة ومعهدا لمدرسة التفسير والحديث والفقهاء والتاريخ. وبتوالي الايام تطورت هذه المدينة حتى اصبحت مركزا عظيما للعلوم الشرعية والعقلية والادبية. واخذ العلماء والادباء يقصدونها من بلاد بعيدة واشتدت المنافسة بين علماء البصرة وعلماء اهل الكوفة الذين منهم :

١ - ابو جعفر محمد بن ابي سارة الحسن

الرواسي اول من أسس مدرسة النحو في الكوفة كما ان خاله معاذ بن مسلم الهراء اول من صنع علم الصرف فيها. ولقد تخرج من هذه المدرسة علماء وادباء كبار.

٢ - الكسائي المتوفى سنة ١٨٩ هـ

هو علي بن حمزة الكسائي الذي اخذ القراءات عن حمزة الشرياني كما اخذ ايضا عن الخليل بن احمد الفراهيدي البصري الذي اشار اليه ان يذهب الى البادية ليقضي فيها سنين عددا فيحذق عن اعرابها اللغة الفصيحة. وبعد عودته اختار لنفسه طريقة خاصة في القراءات

(١) محاضرات تاريخ الامم الاسلامية للشيخ عبد الحصري ج ١ ص ٣٢٦ .

وُعدَّ بها من القراء السبعة . و كان الكسائي معلما لهارون الرشيد ثم جعله مؤدبا لابنيه الامين والمأمون . و كان قبل ذلك في زمن المهدي يقرأ القرآن في رمضان لأهل دار الخلافة . و قيل ان سيويه حاول ان يززع من مكانة الكسائي فلم يفلح و قيل توفي الكسائي في قرية انبوبة القريبة من الرى و كان في سفر مع هارون الرشيد وذلك سنة ١٧٩ هجرية^(١) .

* * *

٣ - الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ

ابو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الملقب بالفراء . و كان الفراء اشهر تلامذة الكسائي . ولكنه اخذ ايضا عن يونس بن حبيب البصري معاني النحو في كتابه الحدود الذي صنفه بأمر المأمون و قد جعله مؤدبا لابنيه . فكان يعتزل في خلوة بدار الخلافة ليتوفر على تصنيفه حتى اكمله في بضع سنين ، و كان الفراء اول من قعد لدرس تفسير القرآن في بغداد كما كان يلقى غير ذلك من دروس اللغة والنحو . و قال ثعلب في الثناء عليه (لولا الفراء لما كانت اللغة . لانه خلصها وضبطها . و لولا الفراء لسقطت العربية . لانها كانت تُتنازع ويدعيها كل من اراد الكلام فيها ويتكلم الناس على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب) . و كان الناس يتشوقون الى كتب الفراء لاسيما كتاب المشكل و كتاب المعاني حتى كانوا يشرونها من الوراقين كل خمس اوراق بدرهم . فشكا الناس الى الفراء فجلس يملئ كتاب المعاني

(١) كتاب تاريخ الادب العربي بالجزء الثاني من ١٩٨ لبروكمان .

اتم شرحا وابسط قولاً من الذي املاه من قبل فنسخه الوراقون
كل عشر اوراق بدرهم .

وتوفى الفراء في طريقه الى مكة سنة ٢٠٧ هـ وقد بلغ ثلاثا
وستين سنة^(١) .

* * *

٤ - ابو عبدالرحمن المفضل الضبي

هو ابو عبدالرحمن المفضل الضبي ولد بالكوفة وخرج على المنصور
مع ابراهيم بن عبدالله بن الحسن العلوي الملقب بالنفس الزكية فوقع
في الاسر . ولكن الخليفة عفا عنه وجعله منادماً للمهدى ولي العهد ،
فجمع له المفضليات والاختيار من اشعار العرب . ولم يعن المفضل
كثيراً بالنحو واللغة . بل كانت عنايته مقصورة على جمع الشعر ،
وتوفى المفضل في حدود سنة ١٧٠ هـ . وله كتب غير ما ذكرنا .
منها كتاب الامثال ، وكتاب العروض ، وكتاب معاني الشعر ،
وكتاب الالفاظ^(٢) .

* * *

٥ - ابو عمرو السيباني (٩٦ - ٢٠٦)

هو عمرو اسحاق بن مرار السيباني تلميذ المفضل الضبي ، ولد

(١) تاريخ الادب العربي (كارل بروكلمان) ج ٢ ص ٢٠٠ .

(٢) تاريخ الادب العربي (كارل بروكلمان) ج ٢ ص ٢٠١ وكتاب الفهرست

لابن النديم ص ١٠٢ .

بالكوفة وسار على غرار استاذه الضبي . فوجه عنايته الى الشعر القديم
ويروى انه جمع اشعار اكثر من ثمانين قبيلة من قبائل العرب ووضعها
في مسجد الكوفة . ولكنه انصرف الى رواية الحديث فكان معدودا
من ثقات رواة حتى اخذ عنه احمد بن حنبل كثيرا منه ، وله بنون
وبنو بنين يروون عنه كتبه . وبلغ ابو عمرو الشيباني مائة سنة وعشر
سنين ، ومات سنة ست ومائتين ، وقال يعقوب بن السكيت : كان
ابو عمرو يكتب بيده الى ان مات ، وكان ربما استعار مني الكتاب
وانا اذ ذاك صبي آخذ عنه واكتب من كتبه وله من الكتب غريب
الحديث رواه عنه عبد الله بن احمد ابن حنبل وكتاب النوادر المعروف
بحرف الجيم ، وكتاب النحلة ، وكتاب خلق الانسان ، وكتاب
الحروف ، وكتاب شرح كتاب الفصيح .

* * *

٦ - ابيه الاعرابي (١٥٠ - ٢٣١)

هو ابو عبد الله بن زياد ولد بالكوفة سنة ١٥٠ هـ . وكان ابوه
عبدا من السند فاعتق وتزوجت امه بعد وفاة ابيه من المفضل الضبي
فاخذ عنه العلم . وكان ابن الاعرابي احفظ الناس للغات والايام
والانساب ، قال ابو العباس ثعلب شاهدةت مجلس ابن الاعرابي وكان
يحضره زهاء مائة انسان ، وكان يسأل ويقرأ عليه فيجيب من غير
كتاب . ولقد أملى على الناس ما يحمل على اجمال لم ير احد في الشعر
اغزر منه . وقال ثعلب سمعت ابن الاعرابي يقول ولدت في الليلة

التي مات فيها ابو حنيفة. وتوفي ابو عبد الله بسامرا سنة ٥٢٣١ هـ وهو
ابن احدى وثمانين سنة^(١).

* * *

٧ - ابن السكيت المتوفى سنة ٢٤٣ هـ

هو ابو يوسف يعقوب بن اسحاق بن السريكتيت ، كان ابوه معلم
صبيان في قرية دورق بناحية خوزستان ، وكان قد تأدب على
الكسائي والفراء ، اخذ العلم عن الفراء وابي عمرو الشيباني وغيرها
من الكوفيين ، كما اخذ عن الاصمعي وابي عبيدة من البصريين ،
وتعلم اللغة عند الاعراب واشتهر بمصنفاته ، وجعله الخليفة المتوكل
مؤدبا لابنه المعتز . وكان ابو العباس ثعلب يقول : كان يعقوب بن
السكيت متصرفا في انواع العلم وكان ابوه رجلا صالحا من اصحاب
الكسائي حسن المعرفة بالعربية ، وكان يقول انا اعلم من ابي بالنحو
وابي اعلم مني بالشعر واللغة . ووجد مقتولا في يوم ٢٥ من رجب
سنة ٢٤٣ هـ .

* * *

(١) كتاب تاريخ الادب العربي لبروكلمان ج ٢ ص ٢٠٣ وكتاب الفهرست لابن-

النديم ص ١٠٣ .

الفصل الحادى عشر

وجوه الخلاف بين مذهبي البصريين والكوفيين^(١)

كان البصريون لقربهم من العرب الخالص يستطيعون الاستشهاد على كل مسألة من مسائل العلم ، فكانوا لذلك لا يجيزون رأيا الا اذا ايدوه بالشاهد من كلام العرب الفصحاء . الذين صححت ملكاتهم واستقامت لغتهم . اما الكوفيون فقد كانوا اهل قياس لعدم استطاعتهم الاخذ عن فصحاء العرب واختلاطهم باهل السواد والنبط . فكانوا لا يتخرجون في الاخذ عن اعراب لا يثق البصريون بفصاحة لغتهم .

وقد احتدم الجدل بين اهل المدرستين وتعددت مسائل الخلاف بينهما والى الف فيهم كثيرون اشهرهم كمال الدين الانبارى المتوفى سنة (٥٧٧) هـ الف كتاب (الانصاف فى مسائل الخلاف) و ابو البقاء البكرى الف كتاب التبيين فى مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين) وقد لخص السيوطى هذه المسائل واتى بها فى الجزء الثانى من كتابه (الاشباه والنظائر) وبلغ مجموع مسائل الخلاف مائة و احدى وعشرين مسألة .

وها نحن نعرض نماذج من مسائل ذلك الخلاف . منها ما نذكره بجملا ، ومنها ما نذكره مفصلا بعض التفصيل .

ومن اراد المزيد من تلكم المسائل فليرجح الى كتاب (الانصاف

(١) كتاب تاريخ الادب العربى (جرجى زيدان) .

(٢) كتاب تاريخ الادب العربى (سبغى يومى) .

في مسائل الخلاف) فهو كتاب جدير بالدراسة لمن يريد التفقه في قواعد النحو ، وحرى بالاطلاع على آراء عمداء النحاة .

أما المسائل المجملة فقد ذكرت لك منها خمسا وهي كالآتي :

١ - الفعل مشتق من المصدر عند البصريين . والمصدر مشتق من الفعل عند الكوفيين .

٢ - عند البصريين لا ينوب الظرف والجار والمجرور عن الفاعل مع وجود المفعول به ، ويجوز ذلك عند الكوفيين .

٣ - عند البصريين لا يبنى فعل التعجب من الألوان إلا بواسطة اشدّ و اشدّد ونحوهما ، ويجوز بناؤه من السواد والبياض بلا واسطة عند الكوفيين .

٤ - يجوز عند البصريين تقديم خبر ليس عليها ، ولا يجوز عند الكوفيين .

٥ - لا يقدم الاستثنا على المستثنى منه عند البصريين ، ويجوز تقديمه عند الكوفيين^(١) .

وأما المسائل المفصلة بعض التفصيل فهي كالآتي :

المسألة الأولى

ذهب الكوفيون إلى أن الاسم مشتق من الوسم . وذهب البصريون إلى أنه مشتق من السمو وهو العلو .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا إنما قلنا : أنه مشتق من الوسم

(١) تاريخ الأدب العربي (لجرجي زيدان) الجزء الثاني ص ١٧٤ .

لان الوسم في اللغة العلامة ، والاسم وُسم على المسمى ، وعلامة له يعرف به . الا ترى انك اذا قلت زيد او عمرو دل على المسمى فصار كالوُسم عليه ؟ . فلهذا قلنا : انه مشتق من الوسم .

واما البصريون فاحتجوا بان قالوا : انما قلنا انه مشتق من السمو لان السمو في اللغة هو العلو ، يقال : سما يسمو سمواً ، اذا علا ، ومنه سميت السماء سماء لعلوها ، والاسم يعلو على المسمى ، ويدل على ما تحته من المعنى ، ولذلك قال ابو العباس محمد بن يزيد المبرد : الاسم ما دل على مسمى تحته ، وهذا القول كافٍ في الاشتقاق . فلما سما الاسم على مسماه وعلا على ما تحته من معناه دل على انه مشتق من السمو لا من الوسم^(١) .

* * *

المسألة الثانية

القول في تعريف العدد المركب وتمييزه

ذهب الكوفيون الى انه يجوز ان يقال في خمسة عشر درهما . الخمسة العشر درهما . والخمسة العشر الدرهم .

وذهب البصريون الى انه لا يجوز ادخال الالف واللام في العشر ولا في الدرهم . واجمعوا على انه يجوز ان يقال الخمسة عشر درهما بادخال الالف واللام على الخمسة وحدها .

اما الكوفيون فاحتجوا بان قالوا : انما قلنا ذلك لانه قد صح

(١) كتاب الانصاف في مسائل الخلاف الجزء الاول ص ٤ .

عن العرب ما يوافق مذهبنا . ولا خلاف في صحة ذلك عنهم . وقد
 حكى ذلك ابو عمرو عن الاخفش . واذا صح النقل وجب المصير اليه .
 واما البصريون فاحتجوا بان قالوا انما قلنا انه لا يجوز دخول
 الالف واللام الا على الاسم الاول لان الاسمين لما ركب احدهما
 مع الآخر تنزلا منزلة اسم واحد ، واذا تنزلا منزلة اسم واحد فينبغي
 ان لا يجمع فيه بين علامتي تعريف . وان يلحق الثاني الاسم الاول
 منهما لان الثاني يتنزل منزلة بعض حروفه . وكذلك عرفت العرب
 الاسم المركب ^(١) .

* * *

المسألة الثالثة

هل تأتي - او - بمعنى الواو وبمعنى بل ؟

ذهب الكوفيون الى ان - او - تكون بمعنى الواو وبمعنى بل .
 اما الكوفيون فاحتجوا بان قالوا انما قلنا ذلك لانه قد جا . ذلك
 كثيراً في كتاب الله تعالى و كلام العرب قال تعالى (وارسلناه الى
 مائة الف اوزيدون) فقليل في تفسير ذلك انها بمعنى بل اي بل يزيدون .
 وقيل : انها بمعنى الواو اي ويزيدون . ثم قال الشاعر

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى

وصورتها او انت في العين املح

اراد (بل) .

واما البصريون فاحتجوا بان قالوا : الاصل في او - ان تكون

(١) كتاب الانصاف في مسائل الخلاف الجزء الاول ص ١٧٦ .

لاحد الشيتين على الابهام . بخلاف الواو وبل ، لان الواو معناها
الجمع بين الشيتين . وبل معناها الاضراب ، وكلاهما مخالف لمعنى او ،
والاصل في كل حرف ان لا يدل الا على ما وضع له . ولا يدل
على معنى حرف آخر . فنحن تمسكنا بالاصل ، ومن تمسك بالاصل
استغنى عن اقامة الدليل ، ومن عدل عن الاصل بقى مرتبنا باقامة
الدليل ، ولا دليل لهم يدل على صحة ما ادعوه ^(١) .

* * *

المسألة الرابعة

اللام الداخلة على المبتدأ لام الابتداء . او لام جواب القسم ؟
ذهب الكوفيون الى ان اللام في قولهم : لزيد افضل من عمرو ،
جواب قسم مقدر ، والتقدير ، والله لزيد افضل من عمرو ، فاضمر
اليمين اكتفاً باللام منها . وذهب البصريون الى ان اللام لام الابتداء .
اما الكوفيون فاحتجوا بان قالوا : الدليل على ان هذه اللام
جواب القسم وليست لام الابتداء ، ان هذه اللام يجوز ان يليها
المفعول الذي يجب له النصب ، وذلك نحو قولهم (ل طعامك زيد
آكل) فلو كانت هذه اللام لام الابتداء . لكان يجب ان يكون
ما بعدها مرفوعاً ، ولما كان يجوز ان يليها المفعول الذي يجب ان
يكون منصوباً .

واما البصريون فاحتجوا بان قالوا : الدليل على انها لام الابتداء .
انها اذا دخلت على المنصوب بظننت اوجبت له الرفع وازالت عنه

(١) كتاب الانصاف في مسائل الخلاف الجز الثاني ص ٣٢٠ .

عمل ظننت ، تقول : ظننت زيدا قائما ، فاذا ادخلت على زيد لام
الابتداء قلت : ظننت لزيد قائم^١ فوجب له الرفع بالابتداء ، بعد
ان كان منصوبا ، فدل على انها لام الابتداء^(١) .

* * *

المسألة الخامسة

القول في علة بنا ، (الآن)

ذهب الكوفيون الى ان - الآن - مبني . لان الالف واللام
دخلتا على فعل ماضٍ . من قولهم ان يئين اي حان ، وبقي الفعل على
فتحته . وذهب البصريون الى انه مبني ، لانه شابه اسم الاشارة .
اما الكوفيون فاحتجوا بان قالوا : انما قلنا ذلك لان الالف
واللام فيه بمعنى الذي . الا ترى انك اذا قلت (الان كان كذا) .
كان المعنى الوقت الذي آن كان كذا . وقد تقام الالف واللام مقام
الذي لكثرة الاستعمال طلبا للتخفيف . قال الفرزدق :

ما انت بالحكم الترضى حكومته

ولا البليغ ولا ذي الرأي والجدل

واما البصريون فاحتجوا بان قالوا : انما قلنا ذلك لان سبيل
الالف واللام ان يدخل لتعريف الجنس كقوله تعالى (ان الانسان
لني خسر) او لتعريف العهد كقوله تعالى (كما ارسلنا الى فرعون
رسولا فمصى فرعون الرسول) . او يدخل على شيء . قد غلب عليه

(٢) كتاب الانصاف في مسائل الخلاف الجزء الثاني ص ٢٥٤ .

نعتة، فعرف به كقولك (الحارث والعباس) . فلما دخلها هنا علي غير
ما ذكر ودخلت علي معنى الاشارة الى الوقت الحاضر صار بمعنى قولك
الآن . كقولك هذا الوقت فشابهه اسم الاشارة ، واسم الاشارة
مبنى فكذلك ما اشبهه^(١) .

* * *

(١) كتاب الانصاف في مسائل الخلاف الجزء الثاني ص ٢٧٠ .

الفصل الثاني عشر

تعريف أصحاب برهال مدرسة بغداد

منذ القرن الثالث الهجري اخذت المدرستان المتنافستان في البصرة والكوفة تتقاربان وتندجان احدهما في الاخرى باطراد وسرعان ما غدت بغداد حاضرة الخلافة اللاحقة من كذا للحياة العقلية كافة وحجبت غيرها من مدن الاقاليم وراء ظلالها .

حقا بقي كثير من العلماء الذين اجتذبتهم عاصمة الخلافة اليها شديدي التمسك والتعصب لمأثورات مدارسهم الاصلية ، ولكن الجيل الذي تلاهم لم يلقِ كبير اهتمام للخلافات القديمة ، بل عمد الى انتخاب مزايا كلتا المدرستين وتوحيد هذه المزايا في مذهب جديد مختار .

وطبيعي ان هذا المذهب المختار كان متدرج النمو والاكتمال حتى ان عددا من العلماء يمكن الشك في تحديد المدرسة التي ينتمون اليها لا سيما اذا كنا لا نستطيع ان نصدر حكما على آرائهم النحوية الا بمشقة وعسر^(١) .

١- ابو حنيفة^(٢)

المتوفى سنة ٢٨٢ هـ

ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري وهو كائن قتيبة في تعداد

(١) كتاب تاريخ الادب العربي لبروكلمان ص ٢٢١ .

(٢) تاريخ الادب العربي لبروكلمان ج ٢ ص ٢٣٠ وكتاب الفهرست لابن النديم ص ١١٦

نواحي العلم واتساع دائرة المعارف و كثرة التصنيف . اهتم بعلوم
الحساب والنجوم والجغرافية والتاريخ فوق علوم النحو والعربية
فوسع بكل ذلك دائرة ثقافته وعلمه . وكان الجاحظ يشبهه في سعة
العلوم والمعارف بأبي زيد سهل بن احمد البلخي ، بيد ان كتابه
الكبير في النبات بيد وانه نشأ عن الدراسات اللغوية اكثر من
الدراسات الطبيعية والتاريخية ، فان النصوص الكثيرة التي ينقلها عنه
صاحب خزنة الادب تدل على انه عنى خصوصاً باسماء النباتات الواردة
عند قدامى الشعراء ، وله كتب اخرى مثل كتاب الانواء و كتاب
القبلة والزوال و كتاب الشعر والشعراء و كتاب ما يلحن فيه العامة .
وتوفى ابو حنيفة الدينوري لست وعشرين ليلة خلت من جمادي
الاولى سنة ٢٨٢ هـ .

له من الكتب كتاب الاخبار يفتحه ببذمة موجزة في التاريخ
القديم يبرز فيها تاريخ الاسكندر والفرس ثم يتحدث باسمه عن
تاريخ الساسانيين وينقل من ذلك الى فتح العراق مع وصف نابض
بالحياة لمعركة القادسية .

(١) ٢- ابو العباس المبرد

٢١٠ - ٢٨٥

هو ابو العباس محمد بن يزيد من الازد يعرف بالمبرد ولد سنة ٢١٠ هـ
في البصرة وانتقل الى بغداد وكان شيخ اهل النحو والعربية واليه
انتهى علمها بعد طبقة عمر الجرمي وابي عثمان المازني اللذين اخذ علمه

(١) كتاب اداب اللغة العربية لجرمي زيدان ج ٢ ص ١٨٦ .

عنهما . كان ابو العباس قوى الذاكرة كثير الحفظ معاصر الشعلب .
وكان حسن العبارة فصيح اللسان كثير الامالي لطلبته ولمن يدونون
عنه ، ذكر له صاحب الفهرست ٤٤ مؤلفا في الادب واللغة والنحو
والعروض والبلاغة والقرآن وصلنا منها :

١ - الكامل ، وهو كتاب في الادب وصفه الم - برد نفسه بقوله
هذا كتاب الفناء يجمع ضروبا من الادب بين منشور ومنظوم وشعر
ومثل سائر وموعظة بالغة واختيار خطبة شريفة ورسالة بليغة فهو يعد
من كتب اللغة الممهدة للمعاجم وفيه كثير من الفوائد التاريخية .

(١)
٣ - ابن دريس

٢٢٣ - ٣٢١

هو ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد ولد في البصرة سنة ٢٢٣
ونشأ وتعلم فيها واخذ النحو عن السجستاني والرياشي . وانتقل عند
ظهور الزنج الى عمان اقام فيها ١٢ سنة وعاد الى البصرة ثم رحل الى
نواحي فارس وصحب ابني ميكال وهما يومئذ على عمالة فارس و آلف
لهما كتاب الجهرة في اللغة وهو اهم مؤلفاته بالنظر الى اللغة لانها
معجم مرتب على احرف الهجاء اتبع في ترتيبه ترتيب كتاب العين
للخليل . فقلداه الديوان وكان لا يُنفذ امر الا بعد توقيعه . ثم انتقل
الى بغداد سنة ٣٠٨ هـ بعد عزل ابني ميكال عن فارس فأجرى عليه
الخليفة المقتدر خمسين ديناراً في الشهر الى وفاته سنة ٣٢١ هـ .

وقد نبغ ابن دريد في اللغة وكان من اكابر علمائها وكان شاعرا

(١) كتاب اداب اللغة لجرمي زيدان ج ٢ ص ١٨٨ ،

وله المقصورة المشهورة التي مطلعها :

إِذَا تَرَى رَأْسِي حَاكِي لَوْنُهُ

طَرَّة صَبَحَ تَحْتَ أَذْيَالِ الدَّجِي

وَاشْتَعَلَ المَبْيُضَ فِي مَسْوَدِهِ

مِثْلَ اشْتِعَالِ النَّارِ فِي جِزْلِ الغَضِي

عدد ابياتها ٢٢٩ بيتا وفيها كثير من آداب العرب واخبارهم
وحكمهم وامثالهم وعارضه بها جماعة من الشعراء وشرحها كثيرون،
وله قصائد اخرى . وُعدَّ بين علماء اللغة لان اكثر كتبه فيها حتى
قالوا انه قام مقام الخليل بن احمد وأورد في اللغة اشياء لم توجد في
كتب المتقدمين . وذكر له صاحب الفهرست ١٩ مؤلفا منها كتاب
الجمهرة المتقدم ذكره ومنها كتاب الاشتقاق في اسما القبائل والعيان
وافخاذها وبطونها وساداتها وشعرائها وفرسانها على شكل المعاجم .

٤- الصولي

المتوفى سنة ٣٣٥ هـ

هو ابو بكر محمد بن يحيى الصولي الشطرنجي من الادباء الظرفاء
الجماعين للكتب . كان جده صول تكين اميرا تر كيا يجران قهره
يزيد بن المهلب فاسلم على يده ثم خرج معه على بني امية وقتل معه .
كان ابو بكر هذا عالما بفنون الادب حسن المروءة حسن المعرفة
بآداب الملوك حاذقا بتصنيف الكتب . وكان العبّ اهل زمانه
بالشطرنج . وكان ينادم بعض الخلفاء . كالمكتفي والمقتدر . وكان
المقتدر يحبه ويعظمه ويلعب معه الشطرنج ومن ثم سُمي الشطرنجي .

وكان يؤدب الراضي الذي ولي الخلافة بعد ذلك ويؤدب أخاه هارون فأدناه الراضي حين ولي الخلافة . ولما توفي الراضي سنة ٣٢٩ هـ وولي بعده المتقي ابعده حاشية الراضي لعدم رغبته في الجلوس . والندما فسافر الصولي الى بحكم التركي حاكم واسط فأكرمه وقربه . ولما مات المتقي سنة ٣٣٣ هـ عاد الصولي الى بغداد وصار يتظاهر بحب العلويين بدون موارد فطرده الخليفة مرة اخرى من بغداد واختفى بالبصرة الى ان توفي بها سنة ٣٣٥ هـ .

الف في اخبار الخلفاء والشعراء كتابا سماه الاوراق في اخبار آل العباس و اشعارهم . قال ابن النديم انه لم يتسمه . وذكر^(١) . ان في المكتبة الخديوية كتابا باسم الصولي هو من قبل اخبار الشعراء رتب اسما . هم على احرف المهجا . واكثره في اخبار ابان اللاحقي شاعر البرامكة و ابنائه كحمد بن ابان و ابان بن حمدان . و اخبار اشجع السلمى مرتبة في ابواب . و احمد بن يوسف وزير المأمون و ابن صبيح كاتب دولة بني العباس . وجاء في آخر الكتاب انه شرع بترجمة اسحاق بن ابراهيم الموصللي وتوفى قبل ان يتمها .

وصنف ابو بكر من اشعار المحدثين على حروف المعجم شعرا بن الرومي و ابي تمام و البحري و ابي نواس و العباس بن الاحنف و علي بن الجهم و ابن طباطبا و ابراهيم بن العباس بن عيينه بن شراعة الصولي .

(١) تاريخ اداب اللغة العربية للاستاذ جرجي زيدان ، الجزء الثاني من ١٧٥ .

ابو الفرج الاصبهاني

٢٨٤ - ٣٥٦ هـ

هو ابو الفرج علي بن الحسين عربي الاصل اموي النسب
اصبهاني المولد ببغداد في النشأة ، و كان من اعيان ادبائها وافراد
مصنفيها ، وقد روى عن كثير وطالع كثيرا من الكتب ، و كان
قوى الحافظة واعيا في ذاكرته الوفا من الاشعار والاغاني والاخبار
والاحاديث والانساب باسانيدها واسماء رواتها وقائلها فضلا عن
توسعه في اللغة والنحو والسير والمغازي والعلوم .

ولم يقتصر من العلم على الحفظ والاختزان لكنه تدبر تلك المعارف
واخرج منها كتبا نافعة اشهرها الاغاني وبه اشتهر وقد وقع الاتفاق
على انه لم يعمل مثله في بابيه ويقال انه اشتغل في جمعه وتأليفه نحو
خمسين سنة وبلغ خبره الى الحكم بن الناصر صاحب قرطبة وهو
اموي مثله فسأله ان يرسل الكتاب اليه قبل اخراجه لبني العباس .
ولما تم تأليفه حمله الى سيف الدولة فاعطاه الف دينار واعتذر اليه .
ولم يبق احد من الامراء الا اقتناه ليستغني به عن سواه . حتى قالوا
ان صاحب بن عباد كان اذا سافر حمل كتبه على عشرات من
الجمال فلما اقتنى كتاب الاغاني استغني به عنها وقالوا لولا كتاب
الاغاني لضاع كثير من اخبار الجاهلية والاسلام .

وهو اجزاء كثيرة وصل اليها منها (٢١) جزءا ، واسم الكتاب

(١) تاريخ آداب اللغة العربية لجرمي زيدان ج ٢ ص ٢٨١ . وتاريخ ادب اللغة
العربية لاحمد حسن الزيات ص ٢٩٠ .

يدل على المراد بوضعه في الاصل الاغاني فصدر بمائة صوت . كان
 الرشيد امر ابراهيم الموصلي مغنيه وغيره ان يختاروها له . واهمية
 هذا الكتاب قائمة بما فيها من الاخبار والاشعار ، لان المؤلف اذا
 ذكر ابياتا على لحن وعين نغمها ومن غناها استطرد الى ذكر ناظمها
 وترجمته والاحوال التي قيلت فيها من حرب او حب في الجاهلية او
 الاسلام ، فاحتوى الكتاب على اخبار مئات من الشعراء والادباء
 والمغنين والعشاق والخلفاء والامراء والقوادوا اكثر ايام العرب واخبار
 قبائلهم وأنسابهم وفيه خيرة اشعار الجاهلية والاسلام وآداب العرب
 في طعامهم وشرابهم واجتماعهم وحروبهم وزواجهم وطلاقهم وسائر
 احوالهم . ولد سنة ٢٨٤ وتوفي سنة ٥٣٥٦ .

ابو علي القالي

٢٨٨ - ٣٥٦

هو اسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن
 سليمان وكان جده سليمان مولى لعبد الملك بن مروان الاموي .
 ولد ابو علي بمنازجرد من ديار بكر سنة ٥٢٨٨ فنشأ بها ورحل
 منها الى العراق لطلب العلم والتحصيل . وسبب تسميته بالقالي يشرحها
 هو نفسه حيث قال :

« لما انحدرنا الى بغداد كنا في رفقة كان فيها اهل قالي قلا وهي
 قرية من قرى منازجرد وكانوا يكرمون لمكانهم من الشجر فلما دخلنا
 بغداد نسبت اليهم لكوني معهم وثبت ذلك عليّ » ، واما تسميته
 بالبغدادي فلطول مكثه ودراسته في بغداد مدة خمسة وعشرين سنة

درس فيها علم الحديث واللغة والادب على كبار علمائها وجهابذة اللغة
والرواية فيها . وعده المؤرخون اماما في علم اللغة ، متقدما فيها ، متقنا
لها ، فاستفاد الناس منه وعولوا عليه واتخذوه حجة فيما نقله . وكانت
كتبه في غاية التقيد والضبط والاتقان ، وقد ألف في علمه الذي
اختص به تأليف مشهورة تدل على سعة علمه وروايته .

ولما ذاع صيته وعمت شهرته استدعاه الخليفة عبد الرحمن الناصر
الذي رفع شأن العلوم والفنون في الاندلس فكتب اليه يرغبه في
الوفود عليه للاستفادة من معارفه وعلومه . فلبى دعوته وعند قدومه
الى الاندلس أستقبل استقبالاً عظيماً حتى كان ولي عهد الحكم
ووزراء والده ووجوه رعيته في مقدمة المستقبليين والمحتفين به ، وحين
وصل انزله الخليفة الناصر قرطبة معززا مكرما واختصه بتعليم ولي
عهده الحكم فأورث أهل الاندلس علمه وافاد الحكم باحسن ما عنده .

وقضى ابو علي القالي بالاندلس عمره ، وهناك املى كتبه عن ظهر
قلب ، وتوفي بقرطبة في شهر ربيع الآخر وقيل جمادي الاولى سنة ٣٥٦ هـ
ليلة السبت لست خلون من الشهر المذكور وصلى عليه عبد الله الحيري
ودفن بمقبرة متعة ظاهر قرطبة رحمه الله .

الفصل الثالث عشر

ابو الطيب المتنبى

٣٠٣ - ٣٥٤ هـ

ثقافته ، نفسيته ، ذكاؤه ، هجرته من الشام الى مصر ، هربه من مصر الى فارس ، عودته الى العراق ومقتله ، اتهامه بالنبوة .
الحكمة في شعره ، سر العبقرية فيه .

هو احمد بن الحسين بن عبد الصمد المعروف بالمتنبى . ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلثمائة في محلة كندة ودرس علوم العربية فيها . ثم سافر به ابوه الى البادية ليتخرج في آدابها وظل يتنقل به في احياء العرب حتى بلغ الشام فعكف على الدرس وحذق كثيرا من مفردات اللغة ورسائلها كما حفظ كثيرا من اشعار العرب وارجيزهم .

وقيل عنه انه في هذه الفترة طمع الى الحكم ودعا الناس الى بيعته بالخلافة اذ وجد نفسه أحق بها من هؤلاء الحكام الصعاليك ، وقيل انه فتن بعض لداته من الفتيان فادعى بينهم النبوة وتبعه منهم خلق كثير فخرج اليه لؤلؤ امير حمص نائب الاخشدية فاسره وحبسه ثم استتاب وأطلقه .

ثقافة المتنبى

كل ما عرف عن ثقافة المتنبى في صغره ان اباه ارسله الى كتاب في الكوفة فتعلم فيه دروس العربية شعرا ولغة واعرابا^(١) ، وبعد ان

(١) خزانة الادب ج ٢ ص ٣٠٣ .

نال درجة من العلم والادب خرج به ابوه الى البادية ليأخذ عن اهلها
البيان مشافهة ولبث فيها سنين حتى نضج عقله واستقام لسانه ونشأ
في نفسه ولع شديد بالمطالعة وحب البحث وصار لا يفارق اسواق
الوراقين .

رَوَى ابو الحسن العلوي ان وراقا كان يجلس اليه المتني . قال
الوراق له يوما ما رأيت احفظ من هذا الفتى ابن عيدان . فقلت له
وكيف ؟ قال كان اليوم عندي وقد احضر رجل كتابا من كتب
الاصمعي فيه نحو ثلاثين ورقة لبيعه . قال فأخذه هذا الفتى وصار
ينظر فيه طويلا فقال له صاحب الكتاب يا هذا اريد بيعه وقد قطعني
عن ذلك . فان كنت تريد حفظه في هذه المدة فبيعه . فقال له المتني
ان كنت حفظته فالي عليك ؟ قال صاحب الكتاب اهبه لك . قال :
فاخذت الدفتر من يده فاقبل يتلوه علي الى آخره ثم استلبه فجعله في
كمه . فقام وعلق به صاحبه وطالبه بالثمن فقال ما الى ذلك سبيل
قد وهبته لي . قال فمنعنا صاحبه منه . وقلنا له انت شرطت علي نفسك ،
هذا للغلام فتركه عليه .

ولقد حدث عنه البغدادي فقال : كان المتني في صغره قد وقع
الى واحد من فلاسفة الكوفة يُكَنَّى ابا الفضل فأخذ عنه ما عنده .
ثم قال البغدادي ، نقلا عن ابي الحسن المعروف بالناشي . الاصفهاني
قال : كنت بالكوفة سنة ٣٢٥ وانا اُملي شعري في المسجد الجامع بها
والناس يكتبون عني وكان المتني اذ ذلك يحضر معهم وهو بعد
لم يُعرَف ولم يلقَّب بالمتني .

وحدث عنه وكيلى داره بحلب قال : كان المتنبى يقبل على دفاتره
كل ليلة للدرس وقد لا يأوى الى فراشه الا بعد منتصف الليل^(١) .
وقال عنه صاحب اليتيمة انه نادرة الفلك وواسطة العقد فى صناعة
الشعر ثم هو شاعر سيف الدولة المنسوب اليه المشهور به حتى سار
ذكره مسير الشمس والقمر وسافر كلامه فى البدو والحضر وكادت
الليالى تنشده والايام تحفظه فهو كما قال عن نفسه :

وما الدهر الا من رواة قصائدي

اذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا

فسار به من لا يسير مشمرا

وغنى به من لا يغنى مفردا

وكان المتنبى محيطا بغريب اللغة احاطة تامة .

ذكر ابن خلكان ان ابا علي الفارسي قال له يوما كم لنا من الجموع
على وزن فعلى فأجابه حجلى و ضربى . قال ابو علي طالعت كتب اللغة
ثلاث ليال على ان اجد لهذين الجمعين ثالثا فلم اعثر على شي . من هذه
النصوص الثابتة .

نستدل على ان ثقافة المتنبى تكونت من شغفه بالقراءة ومجالسة
العلماء والادباء . وقرض الشعر وما فى ذاتيته من استعداد .

نفسه المتنبى وزلاؤه

كان ابو الطيب منذ صباه قد بدت عليه مخايل الذكاء . والنجابة
وكان صاحب نفس طموحة وآمال واسعة وهمة عالية وكان جبار

(١) وفيان الاعيان ج ١ ص ٦١٥ ومعجم البلدان ج ٥ ص ٢٨ .

العقل ثبت الجنان قوي الحافظة سريع الادراك كثير الاعتداد بنفسه
يرى مستواه فوق مستوى اهل زمانه .

ان اكن 'معجباً' فعجب عجب
لم يجد فوق نفسه من مزيد
انا ترب الندى ورب القوافي
وسمام العدى وغيظ الحسود
انا في امة تداركها لله
غريب كصالح في ثمود

لذلك رام أبعد ما يرومه اقرانه ، وظلت هذه الروح العالمة ملازمة
له طول حياته حتى عرضته الى مخاطر وأهوال منذ نشأته الى يوم
مقتله . والذي دعاه الى ذلك ذكاؤه وعبقريته الادبية التي تميز بها عن
جمهرة كبيرة من الشعراء ، ثم ان الزمن الذي عاشه المتنبي كان زمن
انحلال الدولة العربية حتى صار كل والٍ من ولايتها يرى انه أحق من
غيره بالملك مع ان اغلبهم من الموالي .

شاهد المتنبي جميع هذه الاحداث تمر امام عينيه وتتمثل على
مسرح امته فعزّ عليه ان لا يكون أحد هؤلاء الحكام الذين هم في
نظره ليسوا باعلى منه همة ونسباً وذكاء . فدعته نفسه ان يعمل كل
ما وسعه لاشباع تلك الرغبة وتحقيق هذا الهدف فأخذ يجوب
الامصار والبوادي وينشد :

ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها
ففترق جاران دارها العمير

ولا تحسبنّ المجد زقا وقينة
فالمجد الاّ السيف والفتكة البكر
وتضريب اعناق الملوك وان ترى
لك الهبوات السود والعسكر المجر
وتركك في الدنيا دويأ كأنا
تداولُ سمعَ المرء أتملّه العشر

اسباب هجرة المتنبى من الشام

جاء في كثير من الكتب التي تناولت حياة المتنبى ان مناقشة
حادثة جرت في مسائل لغوية بين ابي الطيب وأبي عبد الله بن خالويه
النحوي بحضرة سيف الدولة . فقال المتنبى لمناظره اسكت ويحك
فانت اعجمي فالك وللعربية فأخرج ابن خالويه من كفه مفتاحا وضرب
به وجه المتنبى فسال الدم على وجهه وثيابه ولم ينتصر له سيف الدولة
فغضب المتنبى وفارقه وسار الى دمشق سنة ٣٤١ هـ .

ولما علم كافور الاخشيدي حاكم مصر و كانت دمشق حينذاك
تحت حكمه استدعاه الى مصر فرحل اليه فاكرمه كافور ووضع
في صف الشرفاء والنبلاء . وطالبه بمدحه كما كان يمدح سيف الدولة
فمدحه لرعايته له ولطمعه في امارة احدى ولاياته من جهة ولا غاظة
اعدائه من جهة اخرى قال فيه :

ولكن بالفسطاط بحرا أزرته
حياتي ونصحي والهوى والقوافيا

وجردا مددنا بين آذانها القنا
 فبِئْسَ خِيفًا فَايْتَبَعْنَ الْعَوَالِيَا
 قِوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكُ غَيْرِهِ
 وَمَنْ قَصِدَ الْبَحْرَ اسْتَقِلَّ السَّوَابِيَا
 فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانٌ عَيْنُ زَمَانِهِ
 وَخَلَّتْ بِيَاضًا خَلْفَهَا وَمَآقِيَا
 فَتَى مَا سَرِينَا فِي ظَهْوَرِ جَدُودِنَا
 إِلَى عَصْرِهِ الْآءِ نَرْجِي التَّلَاقِيَا
 أَبَا الْمَسْكَ ذَا الْوَجْهِ الَّذِي كُنْتُ تَائِقَا
 إِلَيْهِ وَذَا الْوَقْتِ الَّذِي كُنْتُ رَاجِيَا
 إِذَا كَسَبَ النَّاسَ الْمَعَالِي بِالنُّسْدِي
 فَانْكَ تَعْطَى فِي نَدَاكِ الْمَعَالِيَا
 وَغَيْرِ كَثِيرٍ أَنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ
 فَيَرْجِعَ مَلِكًا لِلْعِرَاقِينَ وَالْيَا
 أَبَا كُلِّ طَيْبٍ لَا أَبَا الْمَسْكَ وَحَدَهُ
 وَكُلِّ سَحَابٍ لَا أَخْصَ الْغَوَادِيَا
 يُدِيلُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ كُلِّ فَاخِرٍ
 وَقَدْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ فِيكَ الْمَعَانِيَا
 وَأَنْتَ الَّذِي تَغْشَى الْأَسْنَةَ أَوْلَا
 وَتَأْنِفُ أَنْ تَغْشَى الْأَسْنَةَ ثَانِيَا

ولما طلب المتنبي منه ان يوليه على صيدا من بلاد الشام امتنع
 كافور عن اجابته مخافة ان يستقل بها ويخرج عليه فوَقعت بينها الوحشة.

رهيل المتنبى عن مصر وزهايه الى فارس

وامبراً مقلده في دبر العاقول

وهكذا ظل المتنبى يداهن كافور وكافور يمسكه ويبيث حوله
العيون ، وبدت القطيعة تأخذ مجراها الى قلبيهما وبدا المتنبى يقول في
كافور شعرا له معنيان ظاهر وباطن :

اغالب فيك الشوق والشوق اغلب

واعجب من ذا المهجر والوصل اعجب

اذا ترك الانسان اهـلا وراه

ويمم كافورا فما يتغرب

ابا المسك هل في الكأس فضل اناله

فاني اغني منذ حين وتشرب

فانه في الشطر الاخير يحتمل ان جعله حيوانا لا يشرب الماء حتى
يغنى له بالصغير . وكذلك قوله :

وما طربي لما رأيتك بدعة

لقد كنت ارجو ان اراك فاطرب

فقد قالوا عنه انه ما زاد الا ان جعله قردا يضحك الناس عليه
حين يرونه .

وكقوله :

عدوك مدموم بكل لسان

ولو كان من اعدائك القمران

ولله سر في علاك وانما

كلام العدا ضرب من الهديان

قال ابن جني^(١) هذا المدح ينعكس هجاء فان معناه انت رذل
ساقط والساقط لا يضاھيه الامثله . واذا كان معاديك مثلك فهو
مذموم بكل لسان كما انك كذلك ولو عاداك القمران وهما الشمس
والقمر . وما قيمة الانسان الذي يذمه القمران اللذان عم نفعهما
وارتفعت منزلتهما على الكائنات .

اما البيت الثاني فقد قال عنه الواحدي وهذا الى الهجاء اقرب .
لانه نسب علوه على الناس الى قدّر جرى به من غير استحقاق .
والقدّر قد يوافق بعض الناس فيعلو ويرتفع على الاقران وان كان
ساقطا باتفاق من القضا .

* * *

ولما سنحت الفرصة لرحيل المتنبي عن مصر فرّ في ليلة عيد الى
الكوفة ومن هناك الى شيراز في فارس . وكان الناس مشغولين
بمراسيم العيد فلم يتنبهوا الى فراره الاّ ثاني يوم العيد .

اما كافور فقد ارتاع لمهربه ولم يترك وسيلة تخطر بباله الاّ التمسها
واستعان بها على رده فلم يفلح حتى قال الناس من فرط الحيرة والدهش
لقد سلك طريقا تحت الارض .

ووقعت للمتنبي في هذه الرحلة حوادث تحدث عنها في شعره
وذكرها صاحب يتيمة الدهر وصاحب كتاب الصبح المتنبي عن
حيثية المتنبي .

(١) الجزء الثاني من شرح ديوان المتنبي للبرقوقي ص ٤٧٤ .

وبعد ان بلغ الكوفة سافر منها قاصدا عضد الدولة ولما وصل اليه اكرمه واغدق عليه العطاء . ولكنه مع ذلك فقد كان يحن الى سيف الدولة والى عطاياه . وقد ظهر ذلك عليه حين ارسل اليه عضد الدولة من يسأله اين عطاء . عضد الدولة من عطاء . سيف الدولة فقال له عطاء . عضد الدولة اجزل الا انه متكلف . وسيف الدولة كان يعطي طبعا ، فغضب عليه عضد الدولة وجفاه مما حمل المتنبي للقفول الى العراق . ولما بلغ ضيعة قريبة من دير العاقول في واسط طلع عليه رجل من بني أسد يقال له فاتك بن ابي جهل ومعه جماعة من قومه فقتلوا المتنبي وابنه وغلماناه في يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ٣٥٤ هـ .

* * *

اتهام ابي الطيب بالنبوة

لم اجد اتهاماً اشنع من اتهام ابي الطيب بادعائه النبوة ، بل ولا اسخف منه . ولكن ، هكذا درج ذوو الطبائع المغرضة على خلق التلفيقات ولصقها باصحاب النفوس العالية ، والمواهب النادرة ، لاطفاء جذوة الحقد والحسد المتقدة في قلوبهم ، متوهمين ان مثل هذه الاتهامات تشفى ما في صدورهم من غل ، وما في طبائعهم من اعوجاج .

ان كل ما قيل في امر ادعاء المتنبي النبوة مبني على خبر آحاد لا يصح ان يكون مرجع حكم شرعي . نقله رجل يدعى (معاذ بن اسماعيل اللاذقي ويكنى بابي عبد الله قال ^(١) :

(١) الصيغ المبني عن حبشية المتنبي ص ٣٣ .

قدم ابو الطيب المتنبى ، في سنة نيف وعشرين وثلثمائة ، وهو لا
عذار له ، وله وفرةٌ الى شحمتى اذنيه فاكرمته وعظمته ، لما رأيت
من فصاحته ، وحسن سمته . فلما تمكن الانس بينى وبينه ، وخلوت
معه في المنزل اغتناماً لمشاهدته ، واقتباساً من ادبه . قلت : والله انك
لشاب خطير تصلح لمنادمة ملك كبير .

فقال ويحك ، اتدري ما تقول : انا نبي مرسل ، فظننت انه
يهزل ، ثم تذكرت اني لم اسمع منه كلمة هزل منذ عرفته ، فقلت له :
ما تقول ؟ فقال : انا نبي مرسل . فقلت له الى من مرسل ؟ . فقال :
الى هذه الامة الضالة . فقلت : تفعل ماذا ؟ قال املاً الدنيا عدلاً كما
ملئت جوراً ، قلت : بماذا ؟ قال بادرار الارزاق ، والشواب العاجل لمن
اطاع وأتى . وبضرب الرقاب لمن عصى وأبى . فقلت له : ان هذا
امر عظيم اخاف عليك منه ، وعدلته على ذلك . فقال بديهية :

ابا عبدالاله معاذ أنى

خفى عنك في الهيجا مقامى

ذكرت جسيمٌ مطلبى وانى

اخاطرُ فيه بالمهيج الجسام

أمثلى تأخذ النكباتُ منه

ويجزع من ملاقات الجمام

ولو برز الزمان الى شخصاً

لخضب شعر مفرقه حسامى

وما بلغت مشيئتها الليالى

ولا سارت وفي يدها زمامى

إذا امتلأت عيون الخيل منى

فويل في التيقظ والمنام

فقلت : ذكرت انك نبي مرسل الى هذه الامة . أفيوحي اليك ؟
قال : نعم . قلت : فاتل على شيئاً مما أوحى اليك . فأثنى بكلام
ما مر بمسمعي احسن منه . فقلت : وكم أوحى اليك من هذا ؟ فقال :
مائة عبرة واربع عشرة عبرة . قلت : وكم العبرة ؟ فأثنى بمقدار اكبر
من الآيات في كتاب الله تعالى ، قلت في كم مدة أوحى اليك ؟ قال :
جملة واحدة قلت : اسمع في هذه العبرات ان لك طاعة في السماء فما
هي ؟ قال : احبس المدرار لقطع ارزاق العصاة والفجار . قلت :
اتحبس في السماء مطرها ؟ قال : اي والذي فطرها . أما هي معجزة ؟
قلت بلى والله . قال : فان حبست المطر عن مكان تنظر اليه ولا تشك
فيه ، هل تؤمن بي وتصدقني على ما أوتيت من ربي ؟ قلت : اي والله
قال : سأفعل ، ولا تسألني عن شيء . بعدها ، حتى آتيك بهذه المعجزة ،
ولا تظهر شيئاً من هذا الامر حتى يظهر ، وانتظر ما وعدته من غير
ان تسأله . ثم قال لي بعد ايام : اتحب ان تنظر المعجزة التي جرى
ذكرها ؟ قلت اي والله . فقال لي : اذا ارسلت لك هذا العبد فاركب
معه ولا تتأخر ، ولا تخرج معك احداً . فقلت : نعم . فلما كان بعد
ايام تغيمت السماء في يوم من ايام الشتاء . واذا عبده قد اقبل فقال :
يقول لك سيدي . اركب للموعد . فبادرت الى الركوب معه .
وقلت : اين ركب مولاك ؟ قال الى الصحراء ، واشتد وقع المطر .
فقال بادر بنا حتى نستتر من هذا المطر مع مولاي ، فانه ينتظرنا
باعلى تل لا يصيبه فيه المطر . قلت : وكيف عمل ؟ قال اقبل الى السماء .

اول ما بدأ السحاب الاسود وهو يتكلم بما لا افهم والمطر في اشد ما يكون ، ونظرت الى نحو مئتي ذراع في مثلها من ذلك التل ما فيه قطرة فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت ابسط يدك اشهد انك رسول الله ، فبسط يده فبايعته بيعة الاقرار بنبوته . ثم قال .

أىّ محل ارتقى أىّ عظيم اتقى
وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق
محتقر في همتي كشعرة في مفرقي

واخذتُ بيعته لاهلي ، ثم صح بعد ذلك ان البيعة عمت كل مدينة في الشام ، وذلك باصغر حيلة تعلمها من بعض العرب ، وهي صدحة المطر يصرفه بها عن اي مكان احب بعد ان يحوي بعضا ، وينفث في الصدحة التي لهم .

قال الراوي ابو عبد الله . وقد رأيت كثيراً منهم بالسكون وحضر موت والسكاسك من اليمن يفعلون هذا ولا يتعاضونوه ، حتى ان احدهم يصدح عن غنمه وإبله وعن القرية فلا يصيبها شي . من المطر ، وهو ضرب من السحر^(١) . وسألت المتنبّي بعد ذلك : هل دخلت السكون ؟ قال نعم ، اما سمعت قولي :

مُلك^(٢) القطر اعطشها ربوعا والافاسقها السم النقيعا
امنسى السكون وحضر موتا ووالدتي وكندة والسبيعا
فقلت : من ثم استفاد ما جوزه على طعام اهل الشام .

* * *

كان بودي ان اهمل ذكر هذه القصة ، لانها قصة جاء بها رجل

(١) هذه خرافة لا تصدق ، (٢) الملك : الدائم المقيم .

اعترف بانه آمن به ، وبايعه على اعتباره نبيا مرسلا ، كما انه اخذ
البيعة له من اهل بيته ، فهو بهذا الايمان والمبايعة ، قد حكم على
نفسه بالكفر والفسوق والردة ، واذا كان راوي القصة هذا شأنه ،
فكيف نأخذ بروايته وكيف نصدق اتهام ابي الطيب بادعائه النبوة؟
ثم ان خبر هذا الرجل خبر آحاد فلا يصح ان يكون مرجع حكم
شرعي ولا يجوز مطلقا ان نكفر به رجلا مسلما آمان بالله وبرسالة محمد
بن عبدالله . في كل قصيدة من قصائده .

واذا صح ما نقله هذا الراوي فهو احد رجلين ، اما انه مغفل
كان موضع تنذر ابي الطيب يسخر منه ويستهزئ به . واما انه ذكي
يحقد على ابي الطيب فحمله حقه الى اختلاق هذه الفرية ، حتى ادخل
نفسه في الكفر فلم يعد يعلم موقع خبره عند العقلاء .

انا لا نلوم ناقل هذا الخبر ، ولكن اللوم كل اللوم على الذين
يصدقونه ، ويننون احكامهم على الكذب . حتى اخذ بعض النقاد
يفسر بعض ابيات ابي الطيب على هذا الاعتبار تفسيراً خاطئاً فيستنج
منه صحة ادعاء ابي الطيب النبوة كقوله :

ما مقامي بارض نحلة الا كقام المسيح بين اليهود
انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود
ومما يؤيد صحة ما ذهبنا اليه من ان ابا الطيب ما ادعى النبوة ،
ولم يكن من السذاجة الى الحد الذي يقبل على نفسه هذا الادعاء . ما
ذكره الدكتور طه حسين في كتابه مع المتنبي^(١) حيث يقول :

(١) كتاب مع المتنبي ص ٩٩ . نحلة - بالحاء - راجع فمعجم البلدان لياقوت .

(وانا لا اتردد في رفض ما يروى من أن ابا الطيب ادعى النبوة ،
وأحدث المعجزات ، او زعم إحداثها ، و ضلل فريقاً من خاصة الناس
وعامتهم فبايعوه واتبعوه ، كما لا اتردد في رفض هذا السخف الذي
ينبئنا بان المتنبى زعم ان له قرآناً أنزل عليه ، وبان بعض الناس قد
حفظ هذا القرآن ، فقد قيل عن ابي العلاء ، وروى بعض قرآنه
الموهوم ، وما ينبغي ان نجعل ان الرأي العام في اوساط الشام وفي
حمص خاصة كان خصماً لابي الطيب حين سُجن ، وان ابا الطيب بعد
خروجه من السجن كان لا يكاد يستقر في مكان ، حتى يثير حول
نفسه الحسد والبغض والوان الخصومات) .

اما المرحوم عباس محمود العقاد فقد ذكر قصة هذا الافتراء ذكراً
مجملاً ، فصدر كلامه فيها بقوله : قيل انه ربما آنس من نفسه قدرة
يطمح بها الى دعوة النبوة ، وهو في نحو العشرين ... ولا يبعد ان
يكون الرجل قد فعلها في دفعة من دفعات الصبا والغرور . لانه نشأ
في عصر المغامرات في طلب الرياسة ديناً ، ودنيا . وشهد بعينه من
الفتن الدينية على عهد القرامطة مايوسوس للطامع على غراره بتجربة
حظه في احدى مغامراتها ، واختلطت في زمانه دعوة الباطنية بدعوة
القرامطة ، وكان يزعم الزاعمون ان هؤلاء يدينون - بالمانوية - اى
بالاصليين النور والظلمة . وهي النحلة القديمة التي ذكرها المتنبى في
شعره بقوله :

وكم لظلام الليل عندك من يد
تخبر ان المانوية تكذب

ولعله لقي اناساً من اتباعها من المجوس في الكوفة ، لقربها من
 البلاد الفارسية . وسمع من اسرار الفلسفة ما - هوسه - واضله كما
 قال بعض مؤرخيه ، ثم ذهبت صدمة التجارب بغواية هذه الهوسة
 الصببانية ، وتركت بعدها - هوسته التي لم تفارقه بطلب الرياسة من
 طريق الولاية ... ولنذكر كذلك : ان افتراء هذه القصة غير بعيد
 على خصومه . وان العلامة ابن جنى ربما كان قد ذكر الصواب حين
 قال : انه لُقِبَ بالمتنبي بقوله :

انا في امّة تداركها اللدُّ به غريب كصالح في ثمود
 ما مقامي بارض نخلة الا كمقام المسيح بين اليهود^(١)

الحكمة في شعر المتنبي

الحكمة وضع الاشياء في مواضعها . او هي معرفة افضل الاشياء
 بافضل العلوم ، او هي الكلام الذي يقل لفظه ويحل معناه . او هي
 اتقان العمل وفق ما يقتضيه العلم . ثم ان الحكمة هبة من الله يؤتيها
 من يشاء . ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا
 اولو الالباب .

ونحن اذا تصفحنا الكتب التي ألقت في المتنبي وجدناها تكاد
 تجمع على ان شعر هذا الشاعر العظيم حافل بالحكمة زاخر بجلالات
 الافكار معبر عن اهم تجارب الحياة موسوم بالعلم والاتقان . لذلك
 سار شعره مسير الشمس في رابعة النهار .

لقد رأى المتنبي بقوة بصيرته وكثرة تجاربه ان حياة الناس مليئة

(١) كتاب تراث الانسانية المجلد الاول ص ١٠ ،

بالمتناقضات . وان ملابساتها قد تضطر بعض الخيرين ان يتصرفوا
خلاف ما تتطلبه الضائـر الحرة الأبية وراهم في حالة حرجة يقدمون
فيها رجلا ويؤخرون عنها اخرى فجاء المتنبي وقال قوله المشهورة :

ومن نكد الدنيا على الحران يرى

عدوا له ما من صداقته بد

وبهذا وجد كرماء النفوس في شعر المتنبي متنفسا عن هذا العسر
الذي ضاقت به صدورهم وتألمت منه ضائـرهم . ذلك لان المتنبي
يرى ان الاحرار قد لا يجدون مندوحة في بعض الاحوال عن مصانعة
اعدائهم ومداراتهم ليأمنوا شرهم ويدفعوا غائلتهم .

ثم نظر المتنبي الى طبيعة هذه الحياة فوجدها مجموعة من المفارقات
ايضا اذ رأى ذوى الفضل العميم والذكا، المفرط في مضطرب من
الهموم بينما رأى البلاداء في دعة وغفلة منها فهاله الامر وأخذ يتحرى
الاسباب فوجد ان توعد الذهن يورث صاحبه الهم والقلق بينما رأى
خلو الفطنة سبباً لفقدان الهم والالم . فقال لاصحاب الفضل والذكا،
لا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم حقا من ذوى الفطنة
والفضل وممن يتفكرون في عواقب الامور . هذه هي سنة الحياة ،
الذكا، شقاء الاذكياء ، والبلادة سعادة المغفلين .

افاضل الناس اغراض لذا الزمن

يخلو من الهم اخلاهم من الفطن

وهكذا ترى الحكمة مبثوثة في قصائده منظومة في قلائده .

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله
واخو الجهالة في الشقاوة ينعم
لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى
حتى يراق على جوانبه الدم
والظلم من شيم النفوس فان تجد
ذا عفة فلعلة لا يظلم
ومن البلية عدل من لا يرعوى
عن جهله وخطاب من لا يفهم
والذل يظهر في الذليل مودة
وأود منه لمن يود الارقم
ومن العداوة ما ينالك نفعه
ومن الصداقة ما يضر ويؤلم

وكقوله :

وحيد من الخلان في كل بلدة
اذا عظم المطلوب قل المساعد
بذا قضت الايام ما بين اهلهما
مصائب قوم عند قوم فوائد

وكقوله :

واذا ما خلا الجبان بأرض
طلب الطعن عندها والتزالا

من اطاق التماس شي. غلابا
واغتصابا لم يلتمسه سؤالا
كل غاد لحاجة يتمنى
ان يكون الغضنفر الرئبالا
وكقوله :

اذا الجود لم يرزق خلاصاً من الاذى
فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا
وللنفس اخلاق تدل على الفتى
اكان سخاء ما اتى أم تساخيا

سر العبقرية في المتنبي

العبقرية قوة خفية يتفوق بها بعض الناس في فن من فنون الحياة
ويأتي بالعجائب التي تدهش العقول وتلمب بالعواطف والالباب .
وسر العبقرية في المتنبي هي انك تقرأ شعره فيتملكك العجب
مما يأتيك به من جوامع الكلم واوابد الافكار مصورة باعذب
الانغام والالخان . ثم انك تجد جميع معلوماتك ومشاعرك واحلامك
وامانيك مرسومة فيه بأوضح مما هي في نفسك . وانه قد سبقك
اليها بمدى واسع بعيد .

من هنا يأخذك العجب وتتمنى لو تعلم السر الذي لقنه هذا العلم
وأمدته بهذه المعرفة الشاملة بطبائع الناس وخلجات النفوس وأوحى
اليه بهذه المعاني الرقيقة والالفاظ الفخمة فجعلك تقف مبهوتا مدهوشا

مما انت فيه من شدة الحيرة في تحليل هذا النوع . وتزداد عندك
هذه الحيرة حين تعلم ان المتنبي ليس ممن اسعفهم الحظ واتيح له ان
يدرس دراسات فنية عميقة واختبارات علمية واسعة . من هنا جاز
لنا ان نقول انه ليس للباحث في اسرار هذه العبقرية الا ان يؤمن
بان من الناس ناساً يُلهمون التفوق فيما اختصوا به الهاما ويكونون
اوتارا للطبيعة تضرب عليها اغانيها الشجية والجانها الساحرة . وان
المتنبي بدون شك كان اصدق هذه الاوتار .

لقد عاصر المتنبي شعراء كثيرين عاشوا معه في بيئة واحدة
ومارسوا معه تجارب واحدة ولكنهم لم يبلغوا شأوه ولم يلحقوا بعباره ،
وما ذلك الا للتفاوت البعيد بينه وبينهم في الموهبة والعبقرية .

وانما نحن في جيل سواسية

شر على الحر من سقم على بدن

حولي بكل مكان منهم خَلَق

تخرِطى إذا جئت في استفهامها بمن

الفصل الرابع عشر

المتنبي وطابعه الشعري

ينفرد المتنبي من بين شعراء العربية بطابع يميزه عن غيره ، بحيث يستطيع كل مشتغل بالشؤون الادبية ان يعرف طابعه الشعري بالبديهة ، دون ان يلاقي اي عناء .

ذلك لان المتنبي شاعر فذ ، اصيل الفكر ، مرهف الحس ، راجح العقل ، شجاع القلب ، ذرب اللسان ، في شعره غطرسة وانفة ، وفيه موعظة وحكمة ، وفيه سهولة ممتنعة ، وفيه طموح ومغامرة ، وفيه ابداع في الوصف والرتاء ، وفيه مبالغة في المدح والهجاء .

وعلى العموم ان المتنبي شاعر منقطع النظير ، لذلك صار مطمح انظار ، وموضع اكبار ، ممن يعرفون قيمة الادب ، واقدار الشعراء ، فاقبل الناس منذ زمانه حتى زماننا هذا على دراسة شعره اقبالا شديداً ، فاخذوا يحفظونه بلهفة ، ويتمثلون به في كل ندوة ، ويقتبسون من الفاظه ومعانيه بكثرة .

ومما يدل على شيوع شعره ، وتعلق الناس به قصة ابن العميد التي قصها لبعض اصحابه .

ومجملها ان ابن العميد ، وهو اديب كبير له نفوذ وسلطان ، وله ولاية مرموقة في دولة بني بويه اضطلع باعباء الوزارة وقصده العلماء والادباء من كل مكان .

كان هذا الوزير ينقم على المتنبي بسبب ذبوع صيته ، وانتشار

شعره ، وكان يشكو ضعف حيلته في اخماد ذكر المتنبي والغض
من قدره .

قال صاحب ابن العميد : دخلت عليه يوماً فوجدته واجماً ، وكانت
قد ماتت اخته عن قريب . فقلت له : لا يُحزن الله الوزير . ما الخبر ؟
قال : انه ليغيطني امر هذا المتنبي ، واجتهادي في ان اخمل ذكره ،
وقد ورد على نيف وستون كتاباً في التعزية ، ما منها الا وقد صدر
بقول المتنبي في رثاء اخت سيف الدولة :

طوى الجزيرة حتى جاءني نبأ
فزعت فيه بآمالى الى الكذب
حتى اذا لم يدع لي صدقه املاً
شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

فكيف السبيل الى اخمال ذكره ؟ .. قلت : ايها الوزير ، القدر
لا يغالب ، والرجل ذو حظ عظيم من اشاعة الذكر ، واشتهار الاسم ،
فالاولى الا تشغل فكرك بهذا الامر .

وجاء في كتاب الصبح المنبى عن حيشية المتنبي^(١) (ان شعره
امتاز على شعر معظم الشعراء ، لانه عرف الحياة ، وسبر روح الجماعات .
فصورها احسن تصوير ، وعبر عن مرامي النفوس واهوائها ادق
تعبير ، فامتلاً لذلك شعره بالحكم والامثال ، وغدت اقواله مرآة
المجتمع والاحوال) .

من هنا نعلم لماذا عكف على دراسة شعره ، وشرح ديوانه جبهة

(١) مقدمة الكتاب المذكور للاستاذ عز الدين التنوخي .

كبيرة من الادبا، والعلماء، حتى بلغ عددهم نيفاً وخمسين عالماً واديباً.
ويرى المرحوم عباس محمود العقاد^(١)، ان سببا واحداً كان له
نصيب في شهرة ابي الطيب، لم يكن لسبب آخر، ذلك هو الطبع
العربي الذي اعانه على تمثيل ابنا. قومه، فانه عبر عن ذلك الطبع
العربي اصدق تعبير، في زمن التنبيه والحساسية القومية، وجاء تعبيره
عن عالمه حيث يشيع التعبير وتتجاوب اصداؤه في النفوس والخواطر
قبل الالسننة والاقلام. لانه كان يعبر عن العبقرية العربية في معترك
الحياة العملية، وهو جانب من حياة الامة اقرب الى الحس، وادعى
الى السيرورة بين ابنائها من كل جانب تنطوي عليه عبقريتها.. وقد
أعينت السليقة في المتنبي بمدد واف من التعلم والصناعة، فكان
اوسع الشعراء في زمانه معرفة باللغة وآدابها، وبالثقافة الاجنبية
التي انتقلت اليها.

وقيل انه كان يحفظ ديواني ابي تمام والبحثري، وانه جمع شعر
بن الرومي كله، و اضاف الى علمه باللغة علماً بالفلسفة واقتوال المتكلمين
كما يظهر من معانيها المتفرقة في قصائده الكثيرة. ثم يعود العقاد
فيقول: ونذر من الشعراء من يحتفظ بطابعه في مفرداته ومتفرقاته،
كما يحتفظ بها في مطولاته، او جملة الابيات من مقطوعاته. و ابو
الطيب من اوائل هؤلاء النوادير الذين يُعرفون بالبيت الواحد من
اشعارهم. بل بالشرطة المنفردة من البيت. لانه قد عرف بابياته
التي سارت مسير الامثال بين جبهة من رواة الشعر لم تعرفه بغير
تلك الابيات.

(١) كتاب تراث الانسانية المجد الاول ص (٦ - ١٦).

فشاعرية المتنبي تفرقت فيها الاراء ، وتنوعت فيها الحيثيات ،
ورزقت من الدراسات ما لم ترزق شاعرية احد من الشعراء ، ومع
ذلك فقد يُخيل الى ان شعر المتنبي لم يعط حقه من البحث والوصف
بقدر ما كان يستحق من الثناء ، وما ذلك الا لعظم هذه الشخصية
الفذة في عالم الشعر والادب .

وعندي ان المتنبي شاعر فريد ، اوتى من سلامة الفطرة وصدق
العبقرية حظاً رفيعاً بحيث لم ينله احد من الشعراء الذين اتوا بعده
او سبقوه في الزمن . فهو شاعر مبتدع غير مقلد ، ينزع في شعره الى
الحكمة والفلسفة . وتكثر فيه الامثال السائرة والتعابير الساحرة
ويتجلى فيه الطموح والاعتداد بالنفس الى مدى بعيد ، انه بحق
نسيج وحده ، وفريد دهره . صحيح انه واحد من الناس ، ولكن
الناس مختلفون في هممهم وغاياتهم ، فمنهم من يرضى باليسير من العيش .
اما هو فله قلب كبير لا تقف غايته عند حد .

وفي الناس من يرضى بميسور عيشه

ومر كوبه رجلاه والثوب جلداه

ولكن قلباً بين جنبى ماله

مدى ينتهى بي في مراد أحده

* * *

وقال :

يقولون لي : ما أنت في كل بلدة

وما تبتغي ما ابتغي جل ان يُسمى

واني لمن قوم كأن نفوسهم
بها أنف ان تسكن اللحم والعظما
وما الجمع بين الماء والنار في يدي
باصعب من ان اجمع الجذ والفهما
فلا عبرت بي ساعة لا تعزني
ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

وقال :

اطاعن خيلا من فوارسها الدهر
وحيداً وما قولي كذا ومعني الصبر
واشجع مني كل يوم سلامتي
وما ثبتت الا وفي نفسها أمر
تمست بالافات حتى تركتها
تقول امات الموت أم ذعر الذعر
واقدمت إقدام الاتي كأن لي
سوى مهجتي أو كان لي عندها وتر

ذكر الشارح الاخير لديوان المتنبى فقال^(١): وشأن المتنبى كالشأن
في نوابغ الدنيا فالشاعر النابغة لا يهجر بارادته ولا ينبغ بان يخلق في
نفسه مادة ليست فيها وانما هو يولد مهياً بقوى لا تكون الا فيه وفي
امثاله وهو زائد على غيره ممن لم يرزق النبوغ كما يزيد الجوهر على
الحجر ، او الفولاذ على الحديد أو الذهب على النحاس ثم تتفاوت

(١) مقدمة شارح الديوان المرحوم عبدالرحمن البرفوقي .

هذه القوى فى النواىغ فتتنوع وتتابىن وتعمل فىها احوالهم وازمانهم
وحوادثهم ومن ثم يجمع لكل منهم شخصية ويستقل بطريفة
ومذهب .

فاذا تناول معنى من المعانى تناوله على طريفته الخاصة . فكثيرا
ما يقرأ الناىغة كلاما لغيره أو يتأمل خاطرا أو يشهد أمرا . فاذا كل
ذلك قد اوحى اليه وانعكس على مرآة ذهنه بمان مبتكرة طريفة
لا تشبه ما كان بسبيله وجها من الشبه لا قريبا ولا بعيدا وليس فيها
الا انها جاءت من ذلك الطريق . وهو بعد لم يتعمد لها ولم يتكلف
ولم يصنع شيئا وانما هو تلقى من ذهنه وتلقى ذهنه من قوة لا يدري
ما هي ولا اين هي . وكما يختار النبى يختار الناىغة وليس كل الناس
انبياء . ولا كلهم نواىغ ولا يصنع النبى اكثر من ان يتلقى عن الوحى
وكذلك يتلقى الناىغة عن البصيرة وهى تكون فيه هو وحده بمقام
الملك من الملائكة أو الشيطان من الشياطين على حين تكون فى
سواه بمقام الانسان من الناس . فالرجل الذكى اشبه بانسانين احدهما
هو والاخر بصيرته وهو بذلك اقوى من غيره ولكن الناىغة وبصيرته
اشبه بانسان وملك ، أو انسان وشيطان فهو دائما اقوى من القوه وهو
دائما متصل بشىء فوق الانسانية .

وهكذا يخلد كل شعر انساني خلود الدهر ويكتب له النصر فى
كل عصر . وكأنه رحمه الله كان يستشف الغيب حين قال :

وما الدهر الا من رواة قصائدى

اذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا

فسار به من لا يسير مشمراً
وغنى به من لا يغنى مفرداً

* * *

ذكرت ان في شعرة غطرسة وانفة. مصداق ذلك انه كان يخاطب
بشعره الملوك والرؤساء. كما يخاطب الندندة. استمع الى قصيدته التي
يوجهها الى سيف الدولة :

يا عدل الناس الا في معاملتي
فيك الخصام وانت الخصم والحكم
اعينها نظراتٍ منك صادقة
ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع اخي الدنيا بناظره
اذا استوت عنده الانوار والظلم
انا الذي نظر الاعمى الى ادبي
واسمعت كلاماتي من به صمم
اذا رأيت نيوب الليث بارزة
فلا تظنن ان الليث يبتسم
ما كان اخلقنا منكم بتكرمة
لو ان امركم من امرنا أمم
وبيئنا لورعتم ذاك معرفة
ان المعارف في اهل النهى ذمم
يقول شراح الديوان : ان المتنبي في هذه القصيدة كان يعاتب

سيف الدولة. وانا اسأل: اذا كانت هذه القصيدة في العتاب، فكيف
يكون التعريض واللوم والتأنيب؟ .. اليس في قوله:

اعيدها نظرات منك صادقة

ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وما انتفاع اخي الدنيا بناظره

اذا استوت عنده الانوار والظلم

انا الذي نظرت الاعمى الى ادبي

واسمعت كلماتي من به صمم

اليس في هذا دليل على فساد حواس الامير (سمعه وبصره) ؟ .
وانه يقول له ايها الامير انك لم تميز بين الصحة والسقام ، والنور
والظلام .

* * *

ان هذا الغرور قد لازم المتنبي في اغلب شعره ، حتى في المواضيع
التي ينبغي له ان يرق فيها ويلين كمواضع الغزل مثلا . استمع الى
غزله في تلك المرأة ذات الجمال والدلال ، ذات العيون الساحرة والشايات
المعسولة . انظر اليه كيف اساء اليها؟ وكيف كان موقفه معها ، انه
موقف لا يقفه اهل العشق ولا يرضاه ذوو الصباية .

لعينيك ما يلقي الفؤاد وما لقي

وللحب ما لم يبق منى وما بقى

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه

ولكن من يبصر عيونك يعشق

وبين الرضا والسخط والقرب والنوى
بجـالٍ لدمع المقلة المترقـرق
واحلى الهوى ماشك في الوصل ربه
وفي الهجر فهو الدهر يـرجو ويتقى
وغضبي من الادلال سكري من الصبا
شفعت اليها من شبابي يـريق
واشـنب معسول الثنيات واضح
سترت فمى عنه فقبل مفرقى

لا لا ، ايها الشاعر العظيم . لا يقال لصاحبة هذا الجمال والجلال
والدلال مثل ما قلت . ولا يبيح ذوو الصبا لـانفسهم ان يذلوا هذه
الحسنا . المعشوقة مثل هذا الاذلال . ولا يرضون لها ان تقبل رؤوسهم
لان في ذلك اهانة للحسن وتوهيناً للجمال . وانت اعرف الناس
بمواضع القبل . ولكن الغرور اعاذنا الله منه هو الذي دفعك الى هذا
الموقف .

وحاشا المتنبي ان يجهل ذلك ، ويقع في مثل هذا الخطأ المخالف
لمقتضى الحال . غير ان لكل جواد كبوة ، ولكل عظيم هفوة .

* * *

قلت : ان للمتنبي طابعاً شعرياً خاصاً به . وقد يظهر هذا الطابع في
جميع ما تناوله من الاغراض الشعرية . الا وهو الدقة والمتانة والمبالغة
والتجسيد وتوليد الصور العجيبة استمع اليه يصف اسداً .

ورد اذا ورد البحيرة شارباً

ورد الفـرات زئيره والنيـلا

متخضب بدم الفوارس لابس
في غيله من لبدتيه غيلا
ما قوبلت عيناه الا ظنتا
تحت الدجى نار الفريق حلولا
في وحدة الرهبان الا انه
لا يعرف التحريم والتحليلا
يطأ الثرى مترفقاً من تيهه
فكانه آس يجس عليلا
ويرد عفرتيه الى يا فوخة
حتى تصير لرأسه اكيلا

* * *

وفال في وصف شجاعة سيف الدولة :
تفيت الليالي كل شي، اخذته
وهن لما يأخذن منك غوارم
اذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً
مضى قبل ان تلقى عليه الجوازم
وقفت وما في الموت شك لواقف
كانك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة
ووجهك وضاح وثغرك باسم
تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى
الى قول قوم انت بالغيب عالم

وقال واصفاً شعبَ بؤان

مغاني الشعب طيباً في المغاني

بمنزلة الربيع من الزمان

ولكن الفتى العربيّ فيها

غريبُ الوجه واليد واللسان

ملاعبِ جنة لو سار فيها

سليمانُ لسار بترجمان

طبّتُ فرساننا والحيلُ حتى

خشيتُ وانُكرُ من من الحران

غدونا تنفض الاغصان فيها

على اعرافها مثل الجُمان

فسرت وقد حجبت الشمسَ عنى

وجنن من الضياء بما كفاني

والقى الشرقُ منها في ثيابي

دنانيراً تفر من البنان

ولقد تبلغ مبالغات المتنبي حد الافراط ، بل قد تخرج فيه الى

المستحيل . وذلك كقوله في جمال الحصر وحسنه :

وخصر تثبت الابصار فيه

كان عليه من حدق نطاقا

وقال في وصف خائف هارب :

وضاقت الارض حتى صار هاربهم

اذا رأى غير شيء ظنه رجلا

وقال واصفاً نجافة جسمه
ولو قلمٌ أُلقيتُ في شق رأسه
من السُّقم ما غيرتُ من خط كاتب

وقال في الرثاء.

ما كنت احسب قبل دفنك في الثرى
ان الكواكب في التراب تغور
خرجوا به ولكل باك خلفه
صعقات موسى يوم دكَّ الطور

وقال في الهجاء

ما يقبض الموت نفساً من نفوسهم
الا وفي يده من نتنها عود

وقال في المدح

بمن اضرب الامثال ام من اقيسه
اليك واهل الدهر دونك والدهر

وقال فيه :

واعجب منك كيف قدرت تنشأ
وقد أُعطيتَ في المهد الكمالا
واقسم لو صلحت يمين شي.
لما صلح العبادُ له مثالا

وقال في الغزل

كتمتُ حُبكِ حتى منك تَكْرِيمه
ثم استوى فيه اسراري واعلاني

كانه زاد حتى فاض من جسدي
فصار سُقْمِي به في جسم كتمان
وقال فيه ايضاً

وفتانة العينين قتالة الهوى
اذا نفحت شيخاً روائحها شبيهاً

* * *

الافتخار والحماسة

في شعر المتنبي

اذا صح ما ذكرناه من ان روح المبالغة طاغية في شعر المتنبي
بوجه عام ، فينبغي ان نعلم ان المبالغة في شعره الحماسي بالضرورة تزيد
على سائر شعره زيادة ملحوظة .

وقبل الاستدلال على صحة ذلك يجمل بنا ان نعرف رأي نقاد
الادب عن معنى المبالغة والغلو حتى نتأكد من صحة مبالغات المتنبي
وغلوه في الفخر والحماسة .

عرف نقاد المبالغة في الكلام فقالوا: هي ان تبلغ بالمعنى اقصى
غايته ، وابتعد نهاياته^(١) كقوله تعالى :

(يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات
حمل حملها ، وترى الناس سكارى ، وما هم بسكارى ، ولكن عذاب
الله شديد) .

ولو قال : تذهل كل امرأة عن ولدها لكان بياناً حسناً وبلاغة
كاملة ، وانما خص المرضعة للمبالغة ، لان المرضعة اشفق على ولدها

(١) كتاب الصناعتين ص ٢٨٧

لمعرفتها بجأجته اليها ، واشغف به منها .

و كقول عمير بن الاهتم التغلبي :

وُنكرم جارنا ما دام فينا وُنتبعه الكرامة حيث مالا
فاكرامهم للجار ما دام فيهم مكرمة ، واتباعهم اياه الكرامة
حيث مالا من المبالغة .

* * *

واما الغلو فقد قالوا عنه : انه تجاوز حد المعنى ، والارتفاع به
الى غاية لا يكاد يبلغها^(١) كقوله تعالى (واذ زانت الابصار وبلغت
القلوب الحناجر) و كقوله جل شأنه : (وان كان مكرهم لتزول
منه الجبال) .

وقالت امرأة كانت لا تظهر اذا طلعت الشمس ، فقيل لها :
لماذا لا تظهرين اذا طلعت الشمس ؟ فقالت أخاف ان تكسفني ،
وذم اعرابي رجلا فقال : (يكاد يعدى لؤمه من تسمى به)
وقال الطرماح يهجو تميما :

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا
ولو سلكت سبل المكارم ضلت
ولو ان برغوئا على ظهر نملة
يكرُّ على صفى تميم لولت

واما مبالغات المتنبي بافتخاره بنفسه فانها تبلغ به حد الافراط
مما جعل النقاد يثيرون حوله ضجة صاخبة من الاستنكار بحيث

(١) كتاب الصناعتين ص ٢٨٠

جعلتهم يعيبونه وينقدونه بالحق وبالباطل ، حتى ذهبت تلك الضجة
بكثير من محاسن ادبه وجميل شعره .

فؤاد ما تسليه الأدماء وعمر مثل ما تهب اللثام
ودهر ناسه ناس صغار وان كانت لهم جثث ضخام
وما انا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام
يقول : لست من هؤلاء الذين ذكرتهم وان عشت بينهم ،
ومثلهم في ذلك مثل الذهب الابريز الخالص الذي يكون بين التراب .
ولم يقف نقد النقاد له عند شعره ، بل اخذ الحاقدون عليه
يشهرون به وبنسبه ، ويستشهدون على وضاعة بيته بفراره من
ذكر ابائه في شعره كقوله :

انا ابن من بعضه يفوق ابا ل ... باحث والنجل بعض من نجله
وانما يذكر الجدود لهم من نفروه وانفذوا حيله
فخرأ لعضب ارواح مشتمله وسمه ري ارواح معتقله
انا الذي بين الاله به ال ... بأقدار والمرء حيثما جعله
جوهرة يفرح الكرام بها وغصة لا تسيغها السيفله
ان الكذاب الذي أكاد به اهون عندي من الذي نقله
فلا مبال ولا مداج ولا وان ولا عاجز ولا تكلمه

يقول : انا ابن الذي بعض ولده يفوق ابا الباحث عن نسبي ،
ذلك ان الانسان الذي يحتاج الى الفخر بجدوده هو الذي لا فضيلة
له في نفسه ، اما انا فسيبي ورمحي يفتخران بي لا افتخر انا بهما ،
لماذا افتخر بغيري وقد ميزني الله ، وبين اقدار الناس لاقتداري

على وصف كل واحد بما فيه، انا زينة الحياة بين الاشراف، وجوهرة
يفرحون بها، كما اني غصة في حلوق اللئام لا يقدرّون على اساءتي
وهضمي لانني اذلمهم واكشف نقائصهم. ثم ان الكذب عندي اهون
من روايته ونقله. فلا اكرث له، ولا لمن رواه، ولا انا مبال باعدائي
ولا مداح لهم، ولا عاجز عن مجازاة المسيء لي، ولا ضعيف اتكل
في امري على غيري .

ارأيت كيف يفعل الغرور بالنفس ؟ ارأيت كيف يجعلها تفرط
في الافتخار بذاتها، ويغري الناس للتألب عليها ؟

* * *

ومن شعره في الفخر ايضا قوله :

لا بقومي شرفُفت، بل شرفُفوا بي

وبجدي سموت لا بجدودي

وبهم فخر كل من نطق الضا

د وعود الجاني وغوث الطريد

يقول في البيت الاول : انا شريف بنفسي، وقومي هم الذين
شرفوا بي، وبسعي وقدرى علوت في الحياة لا بابائي . مع العلم ان
قومي اشرف من تكلم العربية وبهم فخر العرب جميعا، فهم حماة
المستغيثين، وحصن المطاردين .

قال الواحد : لو اقتصر المتنبي على البيت الاول من البيتين
المذكورين لكان الائم الناس نسبا . لكنه قال بعده البيت التالي،
فانقذ نفسه من لوثة اللؤم .

(١) في هامش الجزء الاول من شرح البرقوقي ص ٢٠٨ ديوان المتنبي .

المدح في شعر المتنبي

المدح اثر من اثار الاعجاب والاكبار بمزايا الممدوح . سواء كانت تلك المزايا معنوية او مادية ، والصفات المعنوية المحموده مثل العقل والحلم والشجاعة والكرم والعفة والعدل والنجدة والاستقامة وما الى ذلك من الصفات الروحية التي يهبها الله لمن يشاء . من عباده ، واما الصفات المادية المحبوبة مثل مفاتن الجمال في الاشكال . وهي في الانسان تظهر في سلامة بدنه ، وتناسب اعضائه كطلاقه الوجه ، وامتشاق القامة ولون البشرة ، ورحابة الصدر وضمور الخصر وحوار العينين ، وما الى ذلك من الصفات البدنية التي تتعشقها النفوس ، وتنجذب اليها الابصار لاول وهلة .

والمدح في الشعر العربي القديم كان يستهدف انبل الغايات واشرفها فكان الشاعر منهم تعجبه الشمائل الشخصية والفضائل الاجتماعية ، تنفعل نفسه بها فيصوغها قصيدة او خطبة او رسالة تكون وصفا جميلا لتلك الفضائل وتعبيراً ادبياً عما احس به تجاه الذين اتصفوا بها افراداً وجماعات .

جاء في كتاب (الفنون الادبية عند العرب^(١)) ان المديح في شعر العرب انما نشأ اعجاباً بالفضيلة وثناءً أعلى صاحبها ، وان الغاية منه لم تكن في البدن ، سوى غاية خلقية تتمثل في توق الانسان الى الحياة الفضلى ، وبلوغ ما ارتسمه من مثل اعلى له . واكبر الظن ان المادحين الاولين كانوا يرون امتداح العظماء نوعاً من الواجب الادبي

(١) ص ٣٦ .

نحوهم ، و اعترافاً بفضلهم نظرأما قدموه من خدمات بين ايدي قبائلهم ،
 و اذا لم يكن الامر كذلك ، فلا بد اذاً وليد شعور داخلي من لدن
 الشاعر بضرورة الاقتراب من الاعمال العظيمة التي يحققها الممدوح .
 وذلك من اجل اقامة اتصال بين الشاعر وبينها لانها تنقصه ، ولانه
 يشعر بحاجة الى سد هذا النقص ، فنطقه النفساني يحمله على الاشادة
 بالفضائل وباصحابها ، ليظهر امام الناس بانه هو متصف بها ايضاً ، او
 على الاقل ، هو يسعى اليها ويرجو ان يكون له مثلها في يوم من
 الايام ، فالرغبة في التشبه بالعظماء قد تكون باعثاً على المديح .

* * *

و المتنبى في مدحه من الشعراء الذين يمدحون لتحقيق اهدافهم
 العامة . و حسبنا دليلاً مدحه لملك بنى حمدان ، لانه كان مدحاً حقيقياً
 صادراً عن حب و ولاء ، ولانه وجد في شخص سيف الدولة ملكاً
 عربياً شهماً يذود عن قومه و عروبته و دينه كما يذود الاسد عن
 عربيه . لذلك القى المتنبى بجوارحه عصاه ، و ظل في صحبته يخوض معه
 المعارك و يشاركه في سرائرها و ضرائها . حتى وقعت بينهما القطيعة ،
 فرحل عنه الى مصر ، لا كرهاً حقيقياً لسيف الدولة ، ولكنه رحيل
 العاتب الزارى ، ليثير نخوته ، ويكبت اعداءه ، ويريه انه ليس ممن
 ينام على ضمير ، ويرضى بالهين من العيش ، ويتحمل جرأة ابن خالويه
 عليه ، فيقول له :

(ازل حسد الحساد عني بكبتهم)

فانت الذي صيرتهم لي حسداً)

ثم يقول :

(افى كل يوم تحت ضبنى شويعر

ضعيف يقاوينى ، قصير يطاول)

فرق كبير بين شاعر يمدح لمجرد الارتزاق ، والمغانم الشخصية وتوفير اسباب العيش وشاعر يمدح لاغراء الممدوحين على الفضائل او لنيل منزلة اجتماعية يقضى بها ما عليه من حقوق . فالاول شاعر متكسب يجتدى المعروف والاحسان ، ويرضى باقل العطايا ، والثاني شاعر مصلح يجاهد في توجيه ذوي الشأن من الامراء والحكام نحو اهداف عالية وخصال شريفة محمودة .

لقد ثبت تاريخيا ان المتنبي كان يشترط على سيف الدولة ، انه اذا انشده مديحه ، لا ينشده الا وهو قاعد ، وانه لا يكلف تقبيل الارض بين يديه . ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط . وتطلع الى ما يرد منه^(١) ، اما مدائح المتنبي بوجه خاص فقد احسن وصفها استاذنا الكبير الدكتور محمد مهدي البصير فقال :

اما مدائحه لسيف الدولة فانها تتألف من ٢٨ قصيدة و ٣١ مقطوعة تتضمن ١٥١٢ بيت لم تتفتق عن مثلها قريحة شاعر في الجاهلية والاسلام . وانك لتستعرض هذه المجموعة فلا تدري ، ادهش لخطورة مالها من الاهمية التاريخية ، ام لعظم مالها من القيمة الفنية ، وبعد كلام خارج عن غرضنا في تبيان اراء كبار الادباء . في مدائح المتنبي نسوق اليك قطعا من تلك المدائح لتعلم بنفسك المدى الذى بلغه المتنبي في هذا المضمار . قال من قصيدة يعاتب بها سيف الدولة :

(١) كتاب الصبح المبني عن حبشية المتنبي ص ٣٥ .

واحر قلباه ممن قلبه شبح ومن يجسمى وحالى عنده سقم
فوت العدو الذي يمتته ظفر
في طيه اسف في طيه نعم
قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت
لك المهابة ما لا تصنع البهيم
الزمت نفسك شيئاً ليس يلزمها
ان لا يواريهن ارض ولا علم
اكلما رمت جيشا فانثنى هربا
تصرفت بك في آثاره الهمم
عليك هزمهم في كل معترك
وما عليك بهم عار اذا انهزموا
اما ترى ظفراً حـلواً سوى ظفر
تصافحت فيه بيض الهند واللمم

* * *

وقال في مدح سيف الدولة ايضاً من قصيدة مطلعها :
اجاب دمعى وما الداعى سوى طلل
دعا قلباه قبل الركب والابل
وقال فيها

ضاق الزمان ووجه الارض عن ملك
ملء الزمان وملء السهل والجبل

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به
في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل
تمسى الامانيُّ صرعى دون مبلغه
فما يقول لشيء ليت ذلك لي
يا ايها المحسن المشكور من جهتي
والشكر من قبل الاحسان لا قبلي
لان حلك حالمٌ لا تكلفه
ليس التكمل في العينين كالكحل

الهجاء في شعر ابى الطيب

الهجاء فن من فنون الشعر ، وهو الجانب السلبي لشعر المديح ،
مارسه الشعراء في جميع العصور الادبية ، قالوه اما انتقاما لانفسهم
من المهجوين ، او تشنيها بما اعوج من اخلاقهم .

وقد يتفنن الشعراء بالهجاء حتى ليبلغ بهم الحال الى هجاء انفسهم
واهلهم كما فعل الحطيئة وغيره من الشعراء . والمتنبى في الهجاء ليس
بدعا عنهم . غير انه كان يأنف من مخاصمة العزّل الضعفاء . ويرتاح الى
مخاصمة الاقوياء من ذوى النفوذ والسلطان . وقد تجده في كثير من
الاحيان يهجو الزمن الذى عاش فيه ، ويهجو المجتمع الذى خالط
افراده ، واطلع على مساوئهم .

وانما نحن في جيل سواسية
شرُّ على الحر من سُقم على بدن

حولي بكل مكانٍ منهم خالقٌ

تخيطى اذا جئتَ باستفهامها بمن

هكذا يرى المتنبي الجليل الذي عاش، ان اقراره قد تساوى في الشر دون الخير فليس فيهم من يُرَكَن اليه ويعوّل عليه ، فحوله اناس كالبهائم ، اذا اردت الاستفهام عنهم فقل - ما انتم - ولا نقل من انتم ؟ والا عدوت الصواب .

وقال يهجو كافور وينقم على نفسه ، وعلى الظروف التي دفعته الى هذه الحال الوخيمة في مقامه عنده .

اريك الرضالوا خفت النفس خافيا

وما انا عن نفسي ولا عنك راضيا

أميّنا وإخلافا وغدراً وخسّةً

وجبنا ، اشخصاً لحت لي ام مخازيا

تظنّ ابّتساماتي رجاءً وغبطةً

وما انا الا ضاحكٌ من رجائيا

وتعجبني رجلاك في النعل أني

رأيتك ذا نعلٍ اذا كنت حافيا

وانك لا تدري الونك اسود

من الجهل ام قد صار ابيض صافيا

ويدكرني تخييطُ كعبك شقه

ومشيك في ثوب من الزيت عاريا

ولولا فضول الناس جئتك مادحا

بما كنت في سرّي به لك هاجيا

فاصبحتُ مسروراً بما انا منشدُ
وان كان بالانشاد هجوك غالباً
وان كنتُ لا خيراً اfdتُ فاني
اfdتُ بلحظي مشفرّيك الملاهيا
ومثلك يُؤتى من بلاد بعيدة
ليضحك ربّات الحداد البواكيا

نستطيع ان نتبين من هذه القطعة مقدار العنف في هجاء ابي
الطيب ، ومبلغ الاقذاع فيه .

الاترى كيف اعرب عن امتلا. نفسه بكره كافور بحيث
صار لا يقوى على اخفاء بغضه له ، ولو استطاع لفعل . بل صار المتنبي
يمقت نفسه لانها سولت له الذهاب الى كافور ، الى انسان اجتمعت
فيه شتى المساوى. كالكذب وإخلاف الوعد ، والغدر ، والحسة ،
والجن ، فهو شخصية موبوءة بالمخازي . ثم يعود المتنبي يضحك من
نفسه لانها وضعت رجاءها في غير اهله ، وضعت في انسان فاسد الرأي ،
غليظ الجلد ، متشقق الكعب يرى لونه الاسود بياضاً ، ثم هو لا
يفرق بين المدح والهجاء ، وكان الاولى بالمتنبي ان يهجوهم ولكن
قدره لا يساوى الهجاء ، فالهجاء كثير عليه . واخيراً يقول له : ان
كنت لم تفدني خيراً فقد اfdتني التلهى بك والضحك عليك . كيف
لا ومنظرك المضحك ينسى الثاكلات ثكلهن بحيث اذا رأينه غلبهن
الضحك فلهون بذلك عن الحزن والاسى .

غزل المتنبي

المتنبي شاعر الحب والفتنة والجمال على رغم اوائك النقاد الذين ارادوا الشهرة على حساب نقد المتنبي وعن طريق خالف تعرف .
المتنبي شاعر الحب والفتنة والجمال لانه شاعر عظيم بكل ما تتضمنه كلمة عظيم . نعم انه شاعر والشاعر انسان رقيق الحس سليم الوجدان متوقد الذهن مرهف الشعور متدفق العاطفة يتعشق الفعل الجميل والمنظر الجميل والكلام الجميل لذلك لا يصح ان نقول بعد ان ثبتت شاعرية المتنبي طوال القرون : انه لا يعرف الحب وليس في شعره غزل . ونحن نعلم ان الغزل صفة ملازمة للشعراء . ثم هل لدى الشعراء من بضاعة غير وصف الحب والغزل اكثر من باقي الاغراض ؟

الغلطة التي انخدع بها بعض النقاد الذين نفوا عن المتنبي حبه الحقيقي انهم لا يفسرون الحب الا بالعلاقة الجنسية القائمة بين الذكر والانثى . تلك العلاقة الواهية التي ينتهي اثرها بانتهاء فعلها . وفعلها هذا يزول بلحظات خاطفة كالحظات رمشات العيون . اما العلاقات الاخرى القائمة على حب الشائيل الكريمة والعواطف النبيلة كحب الوفاء وحب الكرم وحب الصدق وحب التضحية فلا يدخلونها في حسابهم حين ينقدون وحين يحكمون ، وليس لها قيمة عندهم في دنيا الحب . وتلك الخدعة هي التي جعلتهم يصدرون على الشعر والشعراء احكاما فاسدة لا تعبر عن حقيقة انتاجهم الشعري ولا تعطيهم حقهم من السمو والعبقرية . واذا كان الغزل عند هؤلاء النقاد هو مجرد

وصف الاحوال الخاصة بالقبل والعناق ووصف تعطيل لغة الكلام،
فالمتنبي ضعيف الغزل . اما اذا اريد بالغزل وصف المعاني الراقية في
شمائل المحبوب فالمتنبي غزل من الطراز الاول .

يزعم بعض النقاد ان غزل المتنبي كان غزلا صناعيا وانه اصطنعه
جريا على عادة شعراء العرب الذين كانوا يستهلون قصائدهم بالغزل
حتى لا يقال عنه انه خالف سنن من قبله من شعراء قومه ولثلا
يتقولوا عنه انه لم يرع عمود الشعر العربي الذي التزمه فحول الشعراء .
وهذا مجرد ادعاء ، لان صدق الغزل وكذبه لا يعرفان من اطار
القصائد وانما يعرفان من طريق آخر هو طريق حرارة الالفاظ والمعاني
وما يحتملانه من لوعة القلب المشتاق .

عزيز اسأ من داؤه الخدق النجل
عياء به مات المحبون من قبل
فمن شاء فلينظر اليّ فم نظري
نذير الى من ظنّ ان الهوى سهل
وما هي الا لحظة بعد لحظة
اذا نزلت في قلبه رحل العقل
جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي
فاصبح لي عن كل شغل بها شغل
سبتني بدل ذات حسن يزينها
تكحل عينيها وليس بها كحل
كان لحاظ العين في فتكه بنا
رقيب تعدى او عدو له ذحل

ومن جسدي لم يترك السقم شعرة
فما فوقها الا وفيها له فعل
كان رقيباً منك سد سامعي
عن العذل حتى ليس يدخلها العذل
كان سهاد الليل يعشق مقلتي
فبينهما في كل هجر لنا وصل
احب التي في البدر منها مشابه
واشكو الى من لا يصاب له شكل
و كقوله :

كتمت حبك حتى منك تكرمه
ثم استوى فيك اسراري واعلاني
كأنه زاد حتى فاض من جسدي
فصار سقمي به في جسم كتاني
و كقوله :

يا نظرة نفت الرقاد وغادرت
في حد قلبي ما حبيت فلولا
أجد الجفاء على سواك مروءة
والصبر الا في نواك جميلا
وأرى تدلك الكثير محبباً
وأرى قليل تدال مملولا
و كقوله :

واما انا الا عاشق كل عاشق
اعق خليله الصفيين لائمه
وقد يتزيا بالهوى غير اهله
ويستصحب الانسان من لا يشاكله
و كقوله :

كئيبا توقاني العواذل في الهوى
كما يتوقى ريض الخيل حازمه
قني تغرم الاولى من اللحظ مهجتي
بثانية والملف الشي. غارمه
و كقوله :

أرقُ على أرق ومثلى يأرق
وجووى يزيد وعبرة تترقرق
جهد الصبابة ان تكون كما ارى
عينٌ مسهدة وقلب يخفق
ما لاح برق أو ترنم طائر
الا انشيت ولي فؤاد شيق
جربت من نار الهوى ما تنطفي
نار الغضى وتكلُّ عما تحرق
وعذلت اهل العشق حتى ذقته
فعبجت كيف يموت من لا يعشق

الوصف في شعر المتنبي

الوصف غرض من اهم اغراض الادب العربي . ثم هو فن دقيق لا يبلغ مداه الا الادباء الذين يمتازون بالحس المرهف والشعور الرقيق والتعبير البليغ مضافا الى ذلك معرفة شاملة بطبائع الاشياء ومقاييس الجمال واصول الاجتماع ... ذلك لأن ميدان الوصف ميدان واسع قد يتناول جميع الكائنات ارضها وسماواتها شمسها واقمارها انهارها وبحارها جبالها وسهولها جذبها وخصبها اشجارها وانهارها. وقد يتناول الامم والشعوب عقولها وغرائزها حربها وسلمها شقاؤها وسعادتها رقيها وانحطاطها .

وكما كانت ثقافة الاديب عميقة واسعة وملكته الادبية قوية نامية كان وصفه للاشياء دقيقا وتصويره لها حسنا . ولقد رزق المتنبي ملكة فائقة رفعته في عالم الشعر ، ومارس تجارب هامة صهرته في بوتقة المعرفة حتى اخلصت سبكه فجاء آية في عصره ومرآة صقيلة في زمانه .

برتني السرى برى المدى فرددني
اخف على المراكوب من نفسى جرمي
وابصر من زرقاء جوى لاني
متى نظرت عيناى ساواها علمي
وكقوله :

أهم بشي، والليالي كأنها
تطادرنى عن كونه واطارد

و كقوله :

انا صخرة الوادي اذا ما زوجت
واذا نطقت فأنني الجوزاء.

و كقوله :

ابدا اقطع البلاد ونجمي
في نحوس وهمتي في سعود

و كقوله :

رمانى الدهر بالارزاء حتى
فؤادي في غشاء من نبال
فصرت اذا اصابتنى سهام
تكسرت النصال على النصال
وهان فما ابالي بالزايا
لأني ما انتفعت بأن ابالي

لم يقف وصف المتنبي عند حدود المرثيات وانما كان ينفذ الى
بواطنها ويكشف عن اسرارها فذكاؤه الوقاد وتبصره في عواقب
الامور ينبئان عن دخائل النفس البشرية كما تنبئ اشعة رونتكن عن
خفايا الجسد.

وما الخوف الا ما تخوفه الفتى

ولا الامن الا ما رآه الفتى أمنا

فالخوف في نظر المتنبي ليس ناشئا من هذه المظاهر المرئية التي
يخافها الناس عادة وانما هو أمر ناشئ من معنى خفي كامن في نفس

الانسان . فالظلام الدامس في ارض موحشة مثلاً ليس مصدر الخوف بل المصدر الحقيقي للخوف هو تلك الهواجس التي تستولي على قلب الجبان فتجعله يحسب الظلام حشوداً من العفاريت فيظل يرتعد منها دون ان يكون في ذلك الظلام ما يوجب هذا الخوف .

و كذلك الامن والطمأنينة فان مصدرهما ايضاً امر معنوي لا يتصل بتلك المرثيات المادية ... الا ترى ان بعض الناس قد يكونون وسط اشياء تنخلع من هولها القلوب ومع ذلك فلا يرون فيها ما يدعو الى الرهبة والقلق .

قلت ان وصف المتنبي كثيراً ما يتناول المعاني الكامنة وراء المرثيات ، ذلك لان المرثيات ظاهرة للعيان يدرك وصفها اوساط الشعراء . اما المعاني الخفية لا يغوص اليها ولا يستطيع ابرازها الا اذ الشعراء ممن أوتوا موهبة طبيعية وقدرة بالغة على تصوير الامر المعقول بصورة المحسوس . وفي طليعة هؤلاء الافذاذ المتنبي .

رأيتك محض الحلم في محض قدرة

ولو شئت كان الحلم منك المهندا

وما قتل الاحرار كالعفو عنهم

ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا

اذا انت اكرمت الكريم ملكته

وان انت اكرمت اللئيم تمردا

ووضع الندي في موضع السيف بالاعلا

مضر كوضع السيف في موضع النداء

ولكن تفوق الناس رأيا وحكمة
كما فقتهم حالا ونفسا ومحتدا
يدق على الافكار ما انت فاعل
فيترك ما يخفى ويؤخذ ما بدا

الاترى كيف صور الحلم وجعل قدرته تفعل في التأديب
والارهاب كما يفعل السيف المهند . و اقام العفو عن الكرام المذنبين
مقام العقوبة لهم ثم استدرك فقال ومن يتكفل لك بوجود الكريم
الذي يقدر نعمة العفو ويستجيب الى دواعى الكرم . ولذلك جاء .
بالبيت مؤكدا ومبيننا ان الكريم اذا اكرمه و صفحت عنه صار
كأنه مملوك لك بعكس اللئيم فانك اذا اكرمه زاد عتوا وجرأة
عليك . لذلك ينبغي ان يعامل كل انسان حسبا يستحق فن استحق
العطاء . لم يستعمل معه السيف ومن استحق القتل لم يُكرم بالعطاء .
ثم يقول لسيف الدولة أنت اعرف بمواقع الاساءة والاحسان لما وهبك
الله من تفوق في الرأي و سمو في النفس وشرف في الاصل . لذلك
كان ما تبتدعه من المكارم يدق على افكار الشعراء . فيأخذون ما ظهر
من اوامرك ونواهيك ويتركون ما خفي عنهم .

الفصل الخامس عشر

الامثال في شعر المتنبي

الامثال في شعره كثيرة جداً ، يضيق عنها صدر هذا البحث .
بحيث لا تخلو قصيدة في ديوانه من تلك الامثال ، سواء اكانت
تلك القصيدة من قصائده الطوال ام القصار .

والعجيب من امثاله انها من النوع المبتكر البليغ الذي يحمل
في طياته الحكم والبرهان .

والاعجب من ذلك ان امثاله زاخرة بروح فلسفية عميقة ، ترى
فيها من تجارب الحياة ودقة التصور وصدق الحكم ما يجعلها موضع
اهتمامك وحفظك .

وهذه طائفة من امثاله اذكر منها على سبيل التمثيل لا الاحصاء .
قال في علو الهمة .

على قدر اهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائم
وقال في كثرة جريان الامور على خلاف رغبات الناس .
ما كل ما يتمنى المرء يدركه
تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وقال في كون العقل يشقى صاحبه بينما الجهلُ يسعده .

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله

واخو الجهالة في الشقاوة ينعمُ

وقال في كون الانسان يعين الزمان ويمدّه بوسائل الهلاك

كلما انبت الزمان قنائة

ركب المرء في القنائة سنانا

وقال فيمن لا يبصر النهار الا بدليل فلا يستطيع احد افهامه

بحقائق الاشياء .

وليس يصح في الافهام شيء .

اذا احتاج النهار الى دليل

وقال في كون الانسان مجبولاً على الظلم : ومن لم يظلم منهم

فلسبب في دخيلة نفسه

والظلم من شيم النفوس فان تجد

ذا عفة فلعلّة لا يظلم

وقال في كون الشريف يضحى بجسمة ولا يضحى بعرضه وعقله .

يهون علينا ان تُصاب جسومنا

وتسلم اعراضُ لنا وعقول

وقال في كون الخلائق تتفاضل بعقولها ، ولولا ذلك لكانت

الضياغم افضل من الناس

لولا العقول لكان ادنى ضيغم

ادنى الى شرف من الانسان

وقال في كون المرء اذا كَوُؤم طبعه وساءت افعاله توهم السوء
في كل ما يراه او يسمعه .

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه

وصدق ما يعتاده من توهم

وقال في كون المعالي لا تُنال بدون تعب ، كالشهد لا يجنيه
مشتاره الا بعد ان يلاقي وخزات ابر النحل .

تريدن لقيان المعالي رخيصة

ولا بد دون الشهد من ابر النحل

وقال فيما اذا عظمت الهمم و كبرت النفوس تعبت الاجسام في
تحصيل مرادها .

واذا كانت النفوس كباراً

تعبت في مرادها الاجسام

وقال في كون الانسان الذي يعيش بلا امل أشدَّ حزناً ممن
يعيش على امل

ليست صبايةُ مشتاقٍ على امل

من اللقا، كـمشتاق بلا امل

وقال في حداثة السن لا تحول دون الحلم . فقد يكون المرء
حليماً وهو شاب كما يكون حليماً في المشيب .

فما الحدائـة عن حلم بمانعة

قد يوجد الحلم في الشبان والشيب

وقال في كون صانع الجميل والاحسان محبوب ، كما ان المكان

الذي يجد الانسان فيه عزه طيب^١.

وكل امرئ، يولي الجميل^٢ محبب

وكل مكان^٣ ينبت العز^٤ طيب

وقال في الخض على عدم الرضا باليسير، مبرهنأ على ان طعم
الموت واحد في طلب عظام الامور وصغارها.

اذا غمرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في امر حقير كطعم الموت في امر عظيم
وقال فيمن يعيبون ما لا عيب فيه، ان علة ذلك ناشئة من
سقم فهمهم للامور.

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الاسماع^٥ منه على قدر القرائح والفهوم
ولقد تفنن النقاد وتنوعوا في دراسة امثال المتنبى، وذهبوا بها
كل مذهب، فلم يكتبوا باستخراج المقطوعات، والابيات التي يضرب
بها المثل. بل حققوا الامثال واستنبطوها من انصاف ابياته.
وها نحن نذكر بعضها، ونحيل طالب المزيد منها الى كتاب
(يتيمة الدهر) للشعالبي^(١)، قال:

مصائب قوم عند قوم فوائد

* * *

ومن قصد البحر استقل السواقيا

* * *

(١) الجزء الاول ص ١٦٩.

وخيرُ جليسٍ في الزمان كتاب

* * *

ان المعارف في اهل النهى ذمم

* * *

وربما صحت الاجسامُ بالعلل

* * *

ويستصحب الانسانُ من لا يلائمه

* * *

اذا عظم المطلوب قلّ المساءد

* * *

وفي عنق الحسناء يُستحسن العقد

* * *

انا الغريقُ فما خوفي من البلل

* * *

وليس كل ذوات الخلب السبع

* * *

ليس التكحل في العينين كالكحل

* * *

ان النفيس غريب حيثما كانا

* * *

ولا رأيَ في الحب للعاقل

* * *

ولكن طبع النفس للنفس قائد

* * *

ومـن فرح النفس ما يقتل

* * *

فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

* * *

ومن تفنن النقاد ايضا استنباطهم المثليين فى مصراعى البيت
الواحد من ابيات المتنبي كقوله :

وكل امرىء يولى الجميل محبب

وكل مكان ينبت العز طيب

و كقوله :

ذل من يغبط الذليل بعيش

رب عيشٍ اخف منه الحمام

و كقوله :

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت ايلام

و كقوله :

كفى بك داءاً ان ترى الموت شافيا

وحسب المنايا ان يكن امانيا

و كقوله :

افاضلُ الناس اغراضُ لذا الزمن

يخلو من الهم اخلاهم من الفطن

و كقوله :

واتعبُ من ناداك من لا تجيبه
واغيضُ من عاداك من لا تشا كل

و كقوله :

لا تشتري العبد الا والعصا معه
ان العبيد لا نجاس مناكيد

و كقوله :

اذا انت اكرمت الكريم ملكته
وان انت اكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندي في موضع السيف بالاعلا
مضر كوضع السيف في موضع الندا
وما قتل الاحرار كالعفو عنهم
ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا
وقيدت نفس في ذراك محبة
ومن وجد الاحسان قيذاً تقيدا

الفصل السادس عشر

مآخذ النقاد على المتنبي

العصمة لله وحده . لذلك ما كان بدعاً ان يقع اعظم الشعراء في بعض الهفوات ، ولا سيما الكثيرين منهم ، وحسب الشاعر العبقري مفخرة ان تكون حسناته الشعرية اكثر بكثير من سقطاته .

ومن ذا الذي تُرضي سجاياه كلها

كفى المرء نبلاً ان تُعدّ معايبه

والمتنبي الذي سحر شعره الالباب ، ودخل القلوب من كل باب ، فلا دنيا الادب حكمة وإباء وجمالاً ، كان من الطبيعي ان يصبح هدفاً للنقد بسبب طغيان شعره على شعر غيره ، ممن تقدمه من الشعراء او عاصره او جاء بعده ، او ممن حقد عليه من الحكام والامراء الذين تكبر عليهم وترفع عنهم ، وأنف من مجاملتهم .

من هذا المنطلق صار المتنبي حديث الحاضر والبادي . فمنهم من يرفع شعره الى الارجح ، ومنهم من يحط من قدره .

اما الذين رفعوه فانهم يقدمونه على كثير من الشعراء ، واما الذين نقدوه فمنهم من يلحقه بابي تمام والبحري ، ومنهم من يجعله دونهما .

اما نقد الناقد له فانه منصب على ابيات جاءت في مطالع قصائده او مبثوثة في ثنايا تلك القصائد .

اجل ، لقد تعلق بعض النقاد بنقد بعض مطالعه فحسبها قبيحة ، مما يجها السمع ويصدف عنها القلب ويتعثر بها اللسان .

قال في مطلع قصيدة يمدح بها محمد بن زريق الطرطوسي :

(هذى برزت لنا فهجت رسيسا

ثم انثنت وما شفيت نسيسا)

ان هذا المطلع لم يعجب النقاد ، لانهم يريدون ان يكون المطلع مستهلاً جميلاً للقصيدة ، وعنواناً لمضمونها ، وتعبيراً رائعاً لمن يقرأها ، او يسمعها ، وقالوا حسناً يستبشر منه الممدوح ، فتهتز له نفسه ، وتنتشي اريحته ، فيقبل على الشاعر اقبالاً كبيراً .

لذلك قالوا : ان مثل هذا المطلع ليس من غرر المطالع ، ولا من احرار الكلام ، (لا يرفع السمع له حجاب ، ولا يفتح القلب له باب) ، هذا فضلاً عما فيه من تكرار السينات وغيثاتها ، وانعدام الفائدة منها ، كما انهم لم يرضهم حذف علامة النداء من (هذى) لعدم جواز حذفه عند النحويين .

* * *

و كذلك عابوا عليه مطلع قصيدته التي مدح بها الاستاذ كافور عند اول لقائه به . كقوله :

(كفى بك داء ان ترى الموت شافيا

وحسب المنايا ان يكن امانيا

عابوه فقالوا لا يصح ان يستفتح مدحته للذي اكرم مشواه ، فاخلى له داراً ، وخلع عليه خلعا ، وحمل اليه الافاً من الدراهم ويقول وهو بين يدي الممدوح (كفاك ايها النفس ان تكون المنية امنية لك) .

اليس معنى ذلك ان المتني غير راضٍ عن حاله ، وان مثل هذا

اللقاء بالنسبة اليه اقربُ ما يكون الى الموت . واذا صح ذلك فهل
يصح ان يذكر الشاعر الداء والموت والمنايا ؟ اليس في ذكر هذه
الالفاظ ما يربب النفوس ويوجب التشاؤم ؟

* * *

وهكذا كان الناس يتطيرون من مثل هذه الابتداءات . وقديما
لام النقاد كبار الشعراء .

ذكروا ان ابا نواس لما انشد الفضل بن يحيى البرمكي قصيدته التي
مدحها بها ، ومطلعها :

أرْبَعُ الْبَيْلَى انْ خَشِوعَ لِبَادِي

عليك واني لم اخنك ودادي

تطير الفضل من هذا الابتداء فلما انتهى الى قوله :

سلام على الدنيا اذا ما فُقدتم

بني برمك من رائحين وغادي

استحکم تطيره ، ولم يمض اسبوع حتى نزلت بهم النازلة .

* * *

وكذلك لام النقاد اسحاق بن ابراهيم الموصللي حين انشد المعتصم
شعراً حسناً الا انه افتتحه بذكر الديار وعفائها فقال :

[يا دارُ غيركِ البَيْلَى ومحاك]

يا ليت شعري ما الذي ابكاك]

قال ذلك في حفلة كبرى اقامها المعتصم لما فرغ من بناء قصره
بالميدان ، فدعا اليها علية القوم فحضروا بكامل زينتهم . ولم ير الناس

احسن من ذلك اليوم .

ولما سمع المعتصم هذا المُستهل تطيّر ، واخذ الناس يتغامزون
على اسحاق ، فقالوا كيف ذهب عليه مثل ذلك مع معرفته وعلمه
وطول خدمته للملوك ، ثم اقاموا يومهم وانصرفوا فما عاد منهم اثنان^(١) .

* * *

وكذلك عاب النقاد شيئاً من شعر المتنبي ، فقالوا ان في معانيه
تكراراً كقوله من قصيدة يشكو فيها من الحُمى التي اصابته بمصر^(٢)
جرحت مجرّحاً لم يبقَ منه مكانٌ للسيوف وللسهام

وقال في مرثية والدة سيف الدولة :

رمانى الدهرُ بالارزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال
فصرتُ اذا اصابتنى سهامُ تكسّرت النصالُ على النصال

* * *

وقال من قصيدة في مدح سيف الدولة :

وما الحسن في وجه الفتى شرف له
اذا لم يكن في فعله والخلائق

وقال في وصف الخيل :

اذا لم تشاهد غير حسن شياتها
واعضائها فالحسن عنك مغيب

* * *

(١) كتاب الصحيح للنبي عن حيشة للتنبي . ص ١٨٢ .

(٢) بقية الدهر لثعالبى الجزء الاول ص ١١٨ .

وقال :

بعثوا الرعب في قلوب الاعادي
فكان القتال قبل التلاقي

وقال :

قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت
لك المهابة ما لا تصنع البهيم

* * *

وقال في معنى تصرفت فيه الشعراء .

ذلّ من يغبط الذليل بعيش
رب عيش اخف منه الحمام

وقال في صباه :

عش عزيزاً او مت وانت كريم
بين طعن القنا وخفق البنود

* * *

ولاحظ النقاد عليه انه يتبع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء ذكروا
من ذلك قوله من قصيدة يمدح بها سيف الدولة على بن عبد الله
الحمداني :

لياليّ بعد الظاعنين شكول
طوال وليل العاشقين طويل

يُنَّ لِي الْبَدْرَ الَّذِي لَا أُرِيدُهُ
وَيُخْفِينُ بَدْرًا مَا إِلَيْهِ وَصُولُ
وَمَا عَشْتُ مِنْ بَعْدِ الْإِحْبَابِ سَلْوَةٌ
وَلَكِنِّي لِلنَّائِبَاتِ حَمُولُ
وَمَا شَرَقِي فِي الْمَاءِ إِلَّا تَذْكَرًا
لِمَاءِ بِهِ أَهْلُ الْخَلِيطِ نَزُولُ
يَحْرَمُهُ لِمَعَ الْأَسْنَةِ فَوْقَهُ
فَلَيْسَ لَظْمَانَ إِلَيْهِ سَبِيلُ

وله من قصيدة اخترع أكثر معانيها ، وتسهب في الفاظها فجاءت
مصنوعة ثم اعترضته تلك العادة المذمومة فقال :

اغركم طولُ الجيوشِ وعرضها
على شروب للجيوشِ اكول
إذا لم يكن لليث إلا فريسة
غذاءه ولم ينفعك انك فيل
ثم أتى بما هو أطم منه فقال :

إذا كان بعض الناس سيفاً لدولة
ففي الناس بوقات لها وطبول
فإن تكن الدولات قسماً فإنها
لمن ورد الموت الزؤام تدول

قال صاحب قوله الدولات وتدول من الالفاظ التي لورزق فضل
السكوت عنها لكان سعيداً .

* * *

فنحن تكتفي بذكر هذا المقدم من العيوب التي لم تنهض
دليلاً على ضعف شعر المتنبي ولا على فساد ذوقه فهو شاعر من فحول
الشعراء ولو انصفناه لقلنا انه في طبيعتهم . ولكن نقول قاتل الله
الاغراض ونتأسى بالقول المأثور كفى المرء عبقريه ان تعد
معايبه .



الفصل السادس عشر

المقارنة الادبية

المقارنة الادبية باب من ابواب النقد الادبي ، يراد به الجمع بين بعض القطع الادبية شعرية كانت ام نثرية ، واجراء موازنة بينها ، وبيان الصفات التي ميزت بعضها على بعض ، واخيراً اصدار الحكم عليها بحسب قوتها أو ضعفها وبحسب اسلوبها الذي اتبعه الاديب في نسجها و ابرازها من عالم الخفاء والتصميم الى عالم البيان والظهور .

* * *

ان تاريخ هذا النوع من النقد الادبي قديم قدم الانسان الذي حاول تدوين ما دار بخلده من الافكار والخواطر . فقد اجري اهل الادب هذه المقارنات منذ العصر الجاهلي حتى زماننا هذا .

فقد اجرتها ام جندب زوجة امرئ القيس بين زوجها وخصمه .
علقمة الفحل حين احتكما اليها في ايها اشعر .

* * *

واجراها النابغة الذبياني مع اعشى قيس والخنساء ، وحسان بن ثابت الانصاري .

* * *

وكذلك فاضل عمرو بن الحارث الاعرج بين حسان والنابغة وعلقمة الفحل ففضل حساناً عليهما وكانا حاضرين معه واثنى على لامية حسان التي يقول فيها :

لله درُّ عصابة نادمتهم
 يوما يجلسق في الزمان الاول
 يمشون في الحلال المضاعف نسجها
 مشي الجمال الى الجمال البزل
 والخالطون فقيرهم بغنيتهم
 والمشفقون على الضعيف المرمل
 بيض الوجوه كريمة احسابهم
 شم الانوف من الطراز الاول

* * *

وقارن شبة بن عقال وخالد بن صفوان بن الاهتم بين جرير
 والفرزدق والاخلط ، اذ روي أن هشام بن عبد الملك وهو يومئذ
 امير ، قال لشبة : الا تخبرني عن هؤلاء الذين مزقوا اعراضهم ،
 وهتكوا استارهم ، واغروا بين عشائريهم في غير خير ، ولا بر ،
 ولا نفع ، ايهم اشعر^(١) ..؟

فقال شبة : اما جرير فيغرف من بحر ، واما الفرزدق فينحت
 من صخر ، واما الاخلط فيجيد المدح والفخر . فقال هشام : ما فسرت
 لنا شيئاً نحصله . فقال : ما عندي غير ما قلت . فقال لخالد بن صفوان :
 صفهم لي يا ابن الاهتم ، فقال :

اما اعظمهم فخراً ، وابعدهم ذكراً ، واحسنهم عذراً ، واشدهم
 ميلاً ، واقلمهم غزلاً ، واحلاهم عملاً ، الطامي اذا زخر ، والحامي
 اذا زار ، والسامي اذا خطر ، الذي ان هدر قال ، وان خطر صال ،

(١) الادب العربي وتاريخه للاستاذ محمود مصطفى ج ١ ص ٣٢٢ .

الفصيح اللسان ، الطويل العنان ، فالفرزدق .

واما احسنهم نعتاً ، و امدحهم بيتاً ، و اقلهم فوتاً . الذي ان هجا
وضع و ان مدح رفع ، فالاخلط .

واما اغزروهم بحراً ، و ارقهم شعراً ، و اهتكمهم لعدوه سترأ ،
الاغر الابلق ، الذي ان طلب لم يسبق ، و ان طلب لم يلاحق ، فجرير :
وكلهم ذكي الفؤاد ، رفيع العماد ، و اري الزناد .

* * *

من هنا نعلم ان اختلاف النقاد في الموازنة بين هؤلاء الشعراء .
الثلاثة اختلاف شديد ، عني به كثير من النقاد ، و كان لكل ناقد
منهم وجهة نظر . فمن كان هواه في رقة النسيب ، و جودة الغزل ،
و التشبيب ، و جمال اللفظ ، و لين الاسلوب ، و التصرف في اغراض
شتى ، فضل جريراً ، و من مال الى اجادة الفخر ، و فخامة اللفظ ، و دقة
المسلك ، و صلابة الشعر ، و قوة اسره ، فضل الفرزدق ، و من نظر
بعد بلاغة اللفظ ، و حسن الصوغ الى اجادة المدح ، و الامعان في
الهجاء ، و استهواه و وصف الحمر ، و اجتماع الندمان ، حكم للاخلط .
على ان طائفة من اهل النقد المعتد بنقدهم يرون ان جريراً اشعر
الثلاثة ، لانه طرق جميع ابواب الشعر ، و لم يقصر في باب .

* * *

وقد وازن الاصمعي بين بشار بن برد و مروان بن ابى حفصة حين
سأله ابو حاتم السجستاني عن ايهما اشعر .
فقال الاصمعي : بشار اشعرهما . فقال ابو حاتم : و كيف ذلك ؟

قال : لان مروان سلك طريقاً كثر سلا كه فلم يلحق بمن تقدمه . وان
بشاراً سلك طريقاً لم يسلكه احدٌ فانفرد به ، واحسن فيه ، وهو
اكثر فنون شعر ، واقوى على التصرف واغزر واكثر بديعاً ، ومروان
آخذ بمسالك الاوائل .

* * *

وقد وازن ابو نواس بين الشماخ بن ضرار والفرزدق فقال مامعناه :
ما اسوأ قول الشماخ حين خاطب ناقته :

اذا بلغتني وحملت رحلي عرابة فاشركي بدم الوتين
وما احسن قول الفرزدق في مخاطبته لناقتة :

علام تلفتين وانت تحتي

وخير الناس كلهم امامي

متى تأتي الرصافة تستريحي

من الانساع^(١) والدبر^(٢) الدوامي

ثم اردف قائلاً : فلما سمعت قوليهما عبت الشماخ وتبعتم الفرزدق
فقلت :

فاذا المطى بنا بلغن محمداً فظهورهن على الرجال حرام

قربنا من خير من وطى الحصى فلها علينا حرمة وذمام

وقلت ايضاً

اقول لناقتي إذ قربتني لقد اصبحت عندي باليمين

(١) الانساع الذهاب اي السفر .

(٢) جم دبرة . وهي فرجة الدابة .

فلم اجعلك للغربان نحلا ولا قلت : اشركي بدم الوتين
حرمت على الازمة والولايا واعلاق الرحالة والوضين^(١)

* * *

ووازن الناقد الكبير ابو القاسم الحسن بن بشر الآمدى بين ابي
تمام الطائي ، و ابي عبادة البحرى في كتابه (الموازنة) .
وكان يرى ان احسن ماتكون الموازنة بين القطعتين اذا اتفقتا
في الوزن والقافية والاعراب ، غير انه يعتقد ان مثل هذا الاتفاق
لا يكاد يحصل مع اتفاق المعاني التي تقتضيها الموازنة ، وهى المرعى
والهدف .

ومما هو جدير بالملاحظة ان الامدى كان يستعين بالله ان يجعله
قادراً على مجاهدة النفس ، ومخالفة الهوى ، وترك التحامل ، حتى
يكون عمله بالغاً غاية الكمال .

* * *

وقد وازن السيد قسطاكي الحمصي بين اربع قصائد لاربعة شعراء .
في موضوع العتاب . وهم معن بن اوس ، و ابو عبادة البحرى ، و ابو
الطيب احمد بن الحسين المتنبى ، و ابو فراس الحمداني . وها انا اطعمك
على مطالع هذه القصائد ولك مراجعتها ان شئت .
قال معن^(٢) بن اوس من شعراء الحماسة لابي تمام .

(١) النعل العطاء ، والوتين : عرق في القلب يجري منه الدم الى العروق
والولايا : البرازع . والاعلاق : ما علق على الرحل من المهون وغيره . والوضين :
حزام الرحل .

(٢) معن بن اوس شاعر مجيد متين الكلام حسن الديباجة فخم المعاني من مخضرمي
الجاهلية والاسلام .

لعمرك ما ادري واني لأوجلُ

على ايننا تعدو المنية اول

وقال ابو عبادة الوليد بن عبيدالله الطائي يعاتب ابراهيم بن
الحسن بن سهل .

أبراهيم دعوة مستعيد رأى منك محمود فقيد

وقال ابو الطيب يعاتب سيف الدولة امير حلب :

يا اعدل الناس الا في معاملتي

فيك الخصام وانت الخصم والحكم

وقال ابو فراس الحارث بن سعيد الحمداني يعاتب ابن عمه
سيف الدولة :

اسيف الهدى وقريع العرب إلامَ الجفا . وفيهم الغضب

* * *

كساب

(الموازنة بين الشعراء)

للدكتور زكي مبارك

وازن الدكتور زكي مبارك بين عدد من الشعراء ، وازن بين
ألحصري وشوقي ، وبين البحري وشوقي ، وبين البوصيري وشوقي ،
وبين شوقي وابن زيدون .

كما وازن بين ابي نواس وابن دارج ، وبين ابي نواس وعبدالباقي
ابراهيم ، ووازن بين صبري ومطران وبين البارودي وابي فراس .

والذي يهمننا من هذه الموازنات الادبية التي اجراها المرحوم
زكي مبارك ان نطلع على اسلوبه في النقد الادبي رجاء الافادة منه
لا الاحاطة بجميع الموازنات التي ضمها كتابه المذكور .

ولعلنا واجدون بنيتنا في موازنة واحدة من تلكم الموازنات ،
هي موازنته بين قصيدتي الحصري واحمد شوقي .

وها نحن نسجل قصيدة الحصري اولاً للدور الذي لعبته طوال
العصور الادبية ، وولع بها كثير من الشعراء كما ولع بها كثير من
النقاد . ثم نتبعها بقصيدة شوقي باعتباره عارض بها قصيدة الحصري .
ثم نأتي بعد ذلك على النقد الذي اجراه المرحوم زكي مبارك
بالشكل الذي جاء في الكتاب .

وفائدة هذه الموازنة كما يراها المرحوم زكي مبارك انها تمكن
الباحث فيها من دراسة عرائس الشعر دراسة منظمة دقيقة ، وتريه
كيف تتصاول العقول ؟ وكيف تتسابق القرائح ، اذ كانت معارضة
الشاعر للشاعر نوعاً من السباق في عالم البيان .

وكذلك يرى ان لهاتين القصيدتين اثرأ في اندية الادب ، ومجالس
الغناء .

ثم يأخذ الدكتور بتعريف الحصري فيقول : هو ابو الحسن علي
ابن عبدالغني الفهري المقرئ ، الضرير القيرواني ، وهو ابن خالة ابي
اسحاق الحصري صاحب كتاب زهر الاداب . ثم نقل ما ذكره ابن
بسام عنه في الذخيرة فقال : ان ابا الحسن الحصري كان بحر براعة ،
ورأس صناعة ، وزعيم جماعة ، وانه طرأ على الاندلس في منتصف

المائة الخامسة من الهجرة بعد خراب وطنه من القيروان .

اما تعريف الدكتور لشوقي فانه قال عنه : انه شاعر معروف في مصر والشرق ، وله كلف بمعارضة القداما ، وهو كذلك خبير بأسرار اللغة العربية وبصير بشئون الحياة . وهو كالحصري افتتح قصيدته بالنسيب ، واختتمها بالمديح . ثم قال : ساقطصر في الموازنة على صدر القصيدتين ، اذ كان النسيب هو السبب فيما يرجى لهما من الخلود ، ان كان لهذا العالم حظ من الخلود . وبعد هذا العرض يأتي بقصيدة الحصري . فيقول :

يا ليل الصب متى غدّه	اقيام الساعة موعده
رقد السهار وأرقه	اسف للبين يردده
فبكاة النجم ورق له	مما يرعاه ويرصده
كليف بغزال ذي هيف	خوف الواشين يشرده
نصبت عيناى له شركاً	في النوم فعز تصيده
وكفى عجباً أنى قنص	للرب سباني أغيده
صنم للفتنة منتصب	اهواه ولا اتعبده
صاح والخمر جنى فيه	سكران اللحظ معربده
ينضو من مقلته سيفا	وكان نعاसा يغمده
فيريق دم العشاق به	والويل لمن يتقلده
كلا لا ذنب لمن قتلت	عيناها ولم تقتل يده

* * *

يا من جحدت عيناها دمي وعلى خديها تورده

خداك قد اعترفا بدمي	فعلام جفونك تجرده
اني لا عيذك من قتلي	واظنك لا تتعمده
بالله هب المشتاق كرى	فلعل خيالك يسعده
ما ضرك لو داويت ضنى	صبأ يدنيك وتبعده
لم يُبق هواك له رمقاً	فليبك عليه عوده
وغداً يقضي او بعد غد	هل من نظري يتزوده
يا اهل الشوق لنا شرق	بالدمع يفيض مورده
يهوى المشتاق لقاء كمو	وصروف الدهر تبعده
ما احلى الوصل واعذبه	لولا الايام تنكده
بالبين وبالهجران فيا	لفؤادي كيف تجلده

قصيدة روفى

مضناك جفاه مرقده	وبكاه ورحمهم عوده
حيران القلب معذبه	مقروح الجفن مسهده
اودى حرقاً الا رمقاً	يبقيه عليك وتنفده
يستهوى الورق تأووهه	ويذيب الصخر تنهده
ويناجي النجم ويتبعه	ويقيم الليل ويقعده
ويعلم كل مطوقة	شجنا في الدوح ترددده
كم مد لطيفك من شرك	وتأدب لا يتصيده
فمساك بغمض مسعفه	ولعل خيالك مسعده
الحسن حلفت بيوسفه	والسورة أنك مفرده

حوراء الخلد وامرده	قدوّد جمالك او قبساً
يدها لو تُبعث تشهده	وتمنت كل مقطّعة
اكذلك خدك يجحده	جحدت عيناك زكيّ دمي
فأشرت لخدك أشهده	قد عز شهودي اذ رمتا
فأبى واستكبر أصيده	وهممت بجيدك أشركه
فنبأ وتمنع املاده	وهزرت قوامك أعطفه
ما بال الخصر يعقّده	سبب لرضاك امهده
لا يقدر واشٍ يُفسده	بيني في الحب ويدينك ما
باب السلوان وأوصده	ما بال العاذل يفتح لي
فاقول واوشك اعبده	ويقول يكاد تُجن به
قد ضيعها سلمت يده	مولاي وروحي في يده
وحنايا الاضلع معبده	ناقوس القلب يدق له
وأحق بعذري حسده	حسادي فيه أعذرهم
قسم الياقوت منضده	قسما بشنايا لؤلؤها
مقتول العشق ومشهده	ورضابٌ يُوعد كوثره
لو كان يقبل أسوده	وبخال كاد يحج له
نسباً والرمح يفنده	وقوام يروي الغصن له
وعوادي الهجر تبدده	وبخصر او هنّ من جلدي
سلوى بالقلب تبرده	ماخنت هوالك ولا خطرت

الموازنة

ولنذكر اولاما في القصيدتين من الاغراض . وانا لنجد الحصري
تكلم عن طول الليل ، وطيف الخيال ، وخبث الرضاب ، وسيف
المقله ، وجناية العين ، وحمرة الخد ، واستعطاف الحبيب ، وقناة المحب .
ونجد شوقي تكلم عن لوعة المضنى ، وطيف الخيال ، وجمال
المحبوب ، وجناية العين ، وحسن القد والجيد ، ودقة الخصر ، والصبر
على الوشاة ، وتفدية الحبيب ، والرفق بالحساد ، والحرص على الحب
والبراءة من السلوان ، فقصيدة شوقي اذا احفل بالاغراض .

موطن الحسن

ولنوازن بين المطالع ، وانا لنجد الحصري يقول :

يا ليل الصب متى غده	اقيام الساعة موعده
رقد السمار وارقه	اسف للبين يردده
فبكاه النجم ورق له	ما يرعاه ويرصده

ونجد شوقي يقول :

مضناك جفاه مررده	وبكاه ورحم عوده
حيران القلب معذبه	مقروح الجفن مسهده
اودى حرقاً الا رمقاً	يبقيه عليك وتنفده
يستهوى الورق تاوهه	ويذيب الصخر تنهده
ويناجي النجم ويتبعه	ويقيم الليل ويقعده
ويعلم كل مطوقة	شجنأ في الدوح تردده

والمطلع في رأي الدكتور هو اول صورة شعرية . لا اول بيت،
و مطلع شوقي اوفى واروع من مطلع الحصري، وخطاب الحبيب في
قول شوقي :

مضناك جفاه مرقدہ وبكاه ورحم عوده
ارقى من خطاب الليل في قول الحصري :

يا ليل الصب متى غده اقيام الساعة موعده
وقول شوقي في حيرة المحب وعذابه وقنائه :

حيران القلب مُعذبه مقروح الجفن مُسهدہ
اودى حرقاً الا رمقاً يبقيه عليك وتنفده
يستهوى الورق تأوّهه ويذيب الصخر تنهده

هذه الابيات اوفى وامتع من قول الحصري :

رقد السمار وارقه اسف للبين يردده
وقول شوقي :

ويناجي النجم ويتبعه ويقيم الليل ويُقعده
اقرب في صدقه الى الواقع من قول الحصري :

فبكاه النجم ورق له مما يرعاه ويرصده

وقول الحصري في تصيد الطيف :

نصبت عيناي له شر كآ في النوم فعزّ تصيده
وكفى عجباً اني قنص للسرب سباني اغيده

ابرع من قول شوقي :

كم مد لطيفك من شرك وتأدب لا يتصيده
فمساك بغمض مسعفه ولعل خيالك مسعده

لان الحصري حدثنا عن حقيقة صادقة ، وهي تمنع الطيف :
فليس في طوق المحب ان يظفر بطيف حبيبه كما مدله الاشراف .

اما قول شوقي :

كم مد لطيفك من شرك وتأدب لا يتصيده
فانه لا يعجب الدكتور مبارك ، لان التأديب هنا نوع من الضعف
ولو ذكر انه يهاب ان يتصيده لحمد له هيبة الحسن ، وان الحسن
لمهيب الجناب . كما قال الشاعر :

(حمى نفسه الحسنُ اضعاف ما

حمى نفسه الجمرُ لما التهب)

وقد يروق للدكتور قول شوقي :

مولاي وروحي في يده قد ضيعها ، سلمت يده
ناقوس القلب يدق له وحنايا الاضلع معبده
حسادي فيه اعذرهم واحق بعذري حسده

لانه يجذفها صورة للوعة المحب يشفق بمحبوبه ، ويحنو عليه ،
في ظلمه وعدوانه . ولم يعرض الحصري لمثل هذا المعنى البديع ، واخلق
بهذه الابيات ان تكون صلاةً للحسن ، ان قضى الله ان نصلي له ،

له ، كما يصلي فريق للشمس عند الشروق ، والهوى كما قيل اله
معبود^(١) .

ثم يعود فيقول : ما ارفق شوقي وما ارقه حين يقول :
قد ودَّ جالك او قبساً حوراء الخلدِ وامرده
فان الحسن لا يُعبد بارقاً من هذا الوصف . وهل العبادةُ الا
وصف المعبود بالتفرد والجلال ؟

وقد اجاد الحصري في استعطاف الحبيب اذ يقول :
لم يُبقِ هواك له رمقا فليبك عليه عوده
وغداً يقضي او بعد غدٍ هل من نظر يتزوده
ولا نجد هذه النعمة المحزنة في قصيدة شوقي ، وانها لتذكرنا بهذا
البيت الحزين .

وارى الايام لا تدنى الذي ارتجى منك وتدنى اجلي

مظاهر الضعف

وهناك مواطن ضعف في نظر الدكتور ، منها كلمة صنم ، حيث
يقول فيها : واني لاستثقل الصنم المنتصب في قول الحصري :
صنمٌ للفتنة منتصبٌ اهواه ولا اتعبده
لان كلمة (الصنم) كلمة غير شعرية^(٢) ، والعرب تستملح (الدمية

(١) كتاب للوازنة بين الشعراء ص ١١٩ .

(٢) لكثرة ماورد في ذمم الاصنام لان هذه الكلمة لا تزال تشير الى التمثال .
ولعل الدكتور يرى فيه مظهراً من مظاهر البلادة .

في وصف المرأة الجميلة ، والدمية هي الصورة المنقشة من الرخام ،
والجمع دُمى قال بعض الاعراب :

واني لا أهدي بالوانس كالدُمى

واني باطراف القنا للعوب

واني على ما كان من عنجهيتي

ولوثة اعرايتي لاديب

وكذلك يستضعف الدكتور قول الحصري :

ما احلى الوصل واعذبه لولا الايام تنكده

بالبين وبالهجران فيا لفيؤادي كيف تجلده

واضعف منه عنده قول شوقي :

بيني في الحب وبينك ما لا يقدر واش يفسده

ما بال العاذل يفتح لي باب السلوان واوصده

فيقول : ولا ادري ما قيمة التعجب في البيت الثاني من هذين

البيتين ، وهو لا يزيد شيئاً عن الصوت العامي المشهور (كيد العواذل

كايدني بس اسمع شوف)

وقول الحصري :

صاح والخمر جنى فيه سكران اللحظٍ معربده

اروع وابدع من قول شوقي :

ورضاب يوعد كثره مقتول العشق ومشهده

ثم يقول الدكتور :

واری من الظلم ان نوازن بين هذين البيتين . فان بيت الحصري
بيت فذاً نادر المثال ، وفيه وحده صورة شعرية رائعة ، وما رددته
الا فتنت به فتنة جديدة ، وظهر لي منه معنى جديد ، كالوجه
المشرق لا نهاية لحسنه . ولا حد لقدرته على تصريف القلوب .

ولذلك تتأمل كلمة (جنى) في قوله

صاح والخمرُ جنى قميه سكرانُ اللحظِ معربدهُ
وما هذه العربدة يا صاح ؟ انها الاشرار التي يقيدك بها اللحظُ ،
وانت تنهل من ورده العذب الجميل .

وقول شوقي :

جحدتُ عيناك زكيّ دمي كذلك خدك يجحدهُ
قد عزّ شهودي اذ رمتا فاشرتُ لخدك اُشهدهُ

ارق من قول الحصري

يا من جحدتُ عيناه دمي وعلى خديك تورده
خدك قد اعترفا بدمي فعلام جفونك تجحده

لان الاستفهام في قول شوقي اعطى المعنى شيئاً من الحسن ،
وزاده تمكيناً في النفس ، على ما فيه من الابتذال .

وكذلك عند الدكتور لا قيمة لقول شوقي :

وبخصرٍ او هنّ من جلدي وعوادي الهجر تبدهُ

وهي مبالغة مردودة ، لان الذي يستملح الخصر الدقيق لا يرضيه
ان يكون او هن من صبر المحب تعدو عليه عوادي الصدود .

ثم يقول : وقد ظلم شوقي نفسه حين قال :
وقوام يروى الغصنُ له نسباً والرمح يفنِّدُه
كما اساء الحصري الى شعره اذ قال :
اني لاعيدك من قتلي وأظنك لا تتعمده
فان هذا خيال فقها ، لا خيال شعراء .

روعة الخيال

ثم يقول الدكتور : وانه ليكمل بنا بعد هذا ان نوازن بين ما
للحصري وشوقي من الخيال الرائع ، وانا لنستجيد قول الحصري :
ينضو من مقلته سيفاً وكان نعاساً يغمده
فيريق دمَ العشاق به والويل لمن يتقلده
كلاً لا ذنب لمن قتلت عيناه ولم تقتل يده
وان البيت الاول لمن وثبات الخيال ، وفي البيت الثاني ضعف ،
والثالث مع ضعفه مستملح مقبول .
وكذلك هو يستجيد قول شوقي :

ناقوسُ القلبِ يدق له وحنايا الأضلعِ معبده

ويقول : وللقارى ان يلومنا في استجدادة هذا البيت وان يذكر ان
هذا ايضاً خيال فقها ، لا خيال شعراء . ولنا ان نذكر القارى بان المعابد
والنواقيس من الالفاظ التي استملحها العرب ، لكثرة ما تحدث عنها
الشعراء ، وهم يتغنون بمعالم اللهو ، وملاعب الشباب ، ولهم في
الاديرة شعر ممتع . وكذلك ظرف شوقي حين تحدث عن المعبد

والناقوس . وكان خياله قريبا في الحسن من خيال الحصري ، اذ توهم
اللحظ سيفا يكاد يغمده النعاس ، واني لمفتون بهذا الخيال .

البراعة في تناول المعاني

وانا لنرى شوقي ابرعَ من الحصري في تناول المعاني ، ومن
السهل ان نعلل هذا : فان الحصري لم يجر في قصيدته الا على الفطرة ،
وكان من ذلك ان رضي بعفو الخاطر ، اما شوقي فعارض ، من همه
ان يظفر بالسبق ، وكان من ذلك ان عني بترتيب المعاني ، واختيار
الالفاظ . وتنوع الاغراض ، على ان هذا التكلف لم يمض بلا
عيوب ، فانه لا معنى لقول شوقي :

وبخال كاد يُحجُّ له لو كان يقبلُ اسودّه

ولا رونقَ لقوله :

وتمنتُ كلُّ مُقطِعةٍ يدها لو تُبعثُ تشهدُه

الحكم

وللقارى . - ان شاء الحكم - ان يرجع الى ما اسلفنا القول عنه
من مواطن الحسن ، ومضان الضعف ، ومواقع الخيال ، ليرى اي
الشاعرين اولى بالسبق ، وايهما ارجح في الميزان .

وحسبه ان دللناه على ما في القصيدتين من المحاسن والعيوب
فاننا لا نؤمن بالاشخاص ، وانما يعيننا ان ندرس الشعر ، وان نقف
على ما فيه من القوة والضعف ، والحسن والقبح ، . وكذلك ندرس
البيان . ونحن نوازن بين الشعراء .

المراجع

لمحمد بن سلام الجمحي .	طبقات فحول الشعراء .
لعبدالله بن قتيبة	الشعر والشعراء .
لعمر بن بحر الجاحظ .	البيان والتبيين
لمحمد بن يزيد المبرد	الكامل
لعبدالمملك الشعالي	يتيمة الدهر
لابي فرج الاصبهاني .	الاغاني
لابي اسحاق الحصري .	زهر الاداب
لل امام علي بن ابي طالب (رض)	نهج البلاغة
لابي هلال العسكري .	الصناعتين
لعبدالله بن المعتز .	البديع
لعبدالقادر الجرجاني .	اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز
لعلي بن عبدالعزيز الجرجاني .	الوساطة بين المتنبي وخصومه
لابي بشر الآمدي .	الموازنة بين الطائيين
لابي علي القالي .	الامالي
لعبدالله بن قتيبة .	ادب الكاتب ، وعيون الاخبار
للحسن بن رشيق القيرواني .	العمدة
لعلي بن يوسف القفطي .	انباه الرواة على انباه النحاة
لياقوت الحموي .	معجم الادباء و معجم البلدان
لمحمد بن عمران المرزبانى	معجم الشعراء

الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء .	العقد الفريد
لشهاب الدين بن عبد ربه الاندلسي	مجمع الامثال
لاحمد بن محمد الميداني	الفهرست
لمحمد بن اسحاق النديم .	ديوان ابي الطيب شرح البرقوقي
لاحمد بن الحسين الشهير بالمتنبي	الصباح المنبي في حيشية المتنبي
ليوسف البديعي	لزوم ما لا يلزم
لاحمد بن عبد الله المعري .	البديع في نقد الشعر
لاسامة بن منقذ	نقد الشعر
لابي فرج قدامة بن جعفر	سحر البلاغة وسر البراعة
لعبد الملك الشعالي .	عيار الشعر
لمحمد بن طباطبا العلوي .	المفضليات
للمفضل الضبي .	الاصمعيات
لعبد الملك بن قُرَيْب الاصمعي	اساس البلاغة
لمحمود بن عمر الزمخشري .	امالي المرتضي
لعلي الموسوي العلوي .	الانصاف في مسائل الخلاف
لكمال الدين الانباري .	عبث الوليد
لابي العلاء المعري .	سقط الزند
للمعري .	مقامات البديع الهمداني
لاحمد بن الحسين	مقامات الحريري
للقاسم بن علي الحريري .	جهرة اشعار العرب
لمحمد القرشي .	

ديوان الحماسة	لابي تمام حبيب بن اوس الطائي .
قراضة الذهب في نقد اشعار العرب	لابن رشيق القيرواني .
الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة	لعلي بن بسام الشنتريني .
نفح الطيب من الغصن الرطيب	لاحمد المقرمي التلمساني .
مقدمة بن خلدون	لعبدالرحمن الشهير بابن خلدون .
رسالة بن القارح	الى ابي العلاء المعري .
رسالة الغفران	للمعري الى ابن القارح
سر الفصاحة	لعبدالله بن سنان الخفاجي
المثل السائر	لضياء الدين بن الاثير .
رغبة الامل من كتاب الكامل	لسيد بن علي المرصفي
عصر المأمون	لاحمد فريد الرفاعي
النثر الفني	لزكي مبارك
المواهب الفتحية	لحمزة فتح الله
النقد المنهجي	لمحمد مندور
النقد الادبي	لاحمد امين
اسس النقد الادبي عند العرب	لاحمد احمد بدوي
المعارك الادبية	لانور الجندي .
المدخل الى النقد الادبي الحديث	لمحمد غنيمي هلال
تاريخ الادب العربي	لمصطفى صادق الرافعي
تاريخ الادب العربي	لجرجي زيدان

- بلوغ الارب في معرفة احوال
العرب لشارحه وضابطه
الموازنة بين الشعراء
الياذة هو ميروس
جمهورية افلاطون
جمهرة خطب ورسائل العرب
من شعر ابي حيان الاندلسي
الحب العذري وكتاب الشعر في
بغداد
- الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث
الفن ومذاهبه في الشعر العربي
الادب ومذاهب النقد فيه
المرأة في الشعر العربي
شعر المخضرمين
نقائض جرير والفرزدق
البلاغة الفنية
قضايا الشعر المعاصر
في الادب العربي الحديث
ابو حيان التوحيدي
التمام في تفسير اشعار هذيل
- لمحمود شكري الالوسي .
محمد بهجة الاثري .
لزكي مبارك .
لسليمان البستاني .
لمترجمها عن الانكليزية حنا خباز
لاحمد زكي
جمع وتحقيق مطلوب والحديثي
لاحمد عبدالستار الجوارى
- لمصطفى السحرقي
لشوقي ضيف
لمؤلف هذا الكتاب رشيد
العبيدي .
لعلي الهاشمي .
ليحيى الجبوري .
لمحمود غناوى .
لعلي الجندي .
لنازك الملائكة .
ليوسف عز الدين .
لعبدالرزاق محي الدين .
لاحمد ناجي وخذيجة .
واحمد مطلوب

ليوسف عز الدين .	الشعر العراقي
لبروكلان .	تاريخ الادب العربي
لمحمد مندور .	في الميزان الجديد
لمحمد زكي العشماوي .	الادب وقيم الحياة المعاصرة
لعامر رشيد السامرائي .	اراء في العربية
لعبدالله الجبوري .	نقد وتعريف
لسيد قطب	النقد الادبي اصوله ومناهجه
لاحمد حسن الزيات .	دفاع عن البلاغة
لاحمد الاسكندري	تاريخ الادب العربي
لاحمد الشايب	اصول النقد الادبي
عباس محمود العقاد وصحبه	تراث الانسانية
لمخائيل نعيمة	الغربال
للاسلى آبر كرمي ترجمة محمد	قواعد النقد الادبي
عوض محمد	
لتشارلتن ترجمة زكي نجيب	فنون الادب

تصحيح أخطاء

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٢	٣	كناطع	كناطح
٢٢	١١	تساطر	تسيطر
٤٤	١٤	انده	انداه
٤٥	١٤	اصطفاده	اصفاده
٥٨	١٣	علقة	علقمة
٥٩	١٦	الصعرية	الصيعرية
٩٣	٣	الدعوة	للدعوة
١٠٣	٩	مجرف	مجلف
١٠٤	٩	يستشد	يستشهد
١١٦	٩	كاقاحسي	كاقاحي
١٢٨	١٨	الموامة	الموامة
١٧٦	٦	آمان	آمن
٢٠٣	٤	التكمل	التكحل

وهناك أخطاء أخرى بسيطة لا تحفى على القارىء الكريم ،
اغفلنا ذكرها .

الفهرس

الصفحة

٣	المقدمة
٥	الفصل الأول - النقد وناريخه
٥	النقد الادبي
٦	تاريخ النقد الادبي عند العرب
٧	النقد الذاتي والنقد الموضوعي
٨	هل العمل الادبي يحتاج الى ناقد
١٠	عناصر العمل الادبي
١١	النص
١٢	ابو حازم والمرأة الحاسر في الحج
١٣	ملكة النقد الادبي
١٣	هل يستطيع النقد ان يصنع اديباً
١٤	ابو الفتح وآلات علم البيان
١٦	دواعي دروس النقد الادبي
١٧	الادب بلا ناقد كالغريزة بلا عمل
١٧	على ادهم وشوبنهاور في امر الذوق
١٨	الادب والتجارب الادبية
١٩	التجارب الادبية

- ٢٠ مظاهر التجارب الادبية
- ٢١ احكام النقد عند العرب عامة
- ٢٢ الدكتور مندور واسباب الاحكام الذوقية
- ٢٥ **الفصل الثاني - الفن بوجه عام**
- ٢٧ ما هية الفن
- ٢٨ غاية الفن
- ٢٩ الفنون الادبية
- ٣٠ الاسس العامة لفن النقد الادبي
- ٣٣ **الفصل الثالث - القديم والحديث**
- ٣٤ في وحدة اللغة والهدف ووحدة الامة
- ٣٦ سبب الخلاف المباشر بين القديم والجديد
- ٣٨ الرافعي ينقده حسين
- ٤٠ تيارات المعارك الادبية المعاصرة
- ٤٢ **الفصل الرابع - مجمل عصور الادب اليوناني**
- ٤٤ مصادر الادب اليوناني
- ٤٥ الشاعر شلي والاسرة المقدسة
- ٤٩ العصر الفضي للانسانيه
- ٥٠ النقد الادبي عند اليونان
- ٥٢ النقد عند افلاطون
- ٥٣ الشاعر كائن اثيري مقدس

- ٥٤ محاورة افلاطون بين سقراط
٥٤ والامير مينون
٥٤ افلاطون والالهام الشعري
٥٥ نظرية المحاكاة عند افلاطون
٥٥ ارسطو ونقد الشعر
- ٥٨ **الفصل الخامس - نماذج من النقد الادبي في العصر الجاهلي**
- ٥٨ حكم النابغة بين الاعشى وحسان والخنساء
٥٩ طرفة ينقد المتلمس
٦٠ حكم ام جندب بين امرئ القيس وعلقمة
٦١ نقد الخنساء شعر حسان بن ثابت
٦٢ نقد اهل يثرب شعر النابغة الذبياني
٦٢ نقد ربيعة بن حذار الاسدي
٦٢ والشعراء الاربعة
٦٣ النقد الادبي في الجاهلية في نظر طه ابراهيم
- ٦٤ **الفصل السادس - امر القرآنة الكريم في تطوير الحياة العقلية والادبية**
- ٦٤ قول الوليد بن المغيرة في القرآن الكريم
٦٥ اسلوب السجع في القرآن الكريم
٦٦ اسلوب الترسيل في القرآن الكريم
٦٧ اسلوب القرآن احسن مثال للحسن والجمال
٦٨ انشغال العرب بآيات القرآن الكريم
٦٩ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة

- ٦٩ قالت الاعراب آمنة
- ٧٠ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا
- ٧١ **الفصل السابع - نماذج من النقد الادبي في العصر الاسلامي**
- ٧١ حكومة عمر بن الخطاب الشاعر النجاشي وبني العجلان
- ٧٢ حكم بن ابي عتيق بين شاعرين
- ٧٣ نقد عبد الملك بن مروان شعر نصيب
- ٧٤ ثم نقده كثير عزة
- ٧٥ المبالغة في نظر المرزباني
- ٧٥ نقد سيدة عربية شعر كثير عزة
- ٧٦ نقد الوليد شعر جرير
- ٧٧ نقد عزة شعر كثير
- ٧٨ نقد رؤبة شعر امرئ القيس
- ٧٩ **نقد كثير عزة ابن ربيعة والاموصي ونصيب**
- ٨١ **الفصل الثامن - بحث السرقات الشعرية**
- ٨٢ اقسام السرقات
- ٨٣ المحمود والمذموم من السرقات
- ٩٠ **الفصل التاسع - المدارس العربية والاسلامية**
- ٩١ الاسواق العربية في العصر الجاهلي
- ٩٢ مدرسة دار الارقم
- ٩٣ المدينة المنورة اعظم مركز ثقافي

- ٩٤ تعريف اجمالي بمدرسة البصرة وعلمائها
- ٩٩ محمد بن سلام و كتابه طبقات فحول الشعراء
- ١٠٠ مؤلفاته
- ١٠٥ الطبقة الاولى والثانية
- ١٠٦ الطبقة الثالثة
- ١٠٨ خصائص نقد ابن سلام
- ١١٠ ابن قتيبة و كتابه الشعر والشعراء
- ١١١ مصنفاته
- ١١٢ رأيه في المتقدمين والمحدثين
- ١١٣ اضرب الشعر عند ابن قتيبة
- ١٢٠ ابن المعتز و كتابه البديع
- ١٢٥ قدامة بن جعفر و كتابه نقد الشعر
- ١٢٨ رأيه في المعانى والصور الشعرية
- ١٣١ جودة اللفظ وجودة الوزن والقوافي
- ١٣٢ باب المعانى الدال عليها الشعر
- ١٣٤ نعت المديح
- ١٣٦ نعت الهجاء
- ١٣٧ نعت الرثاء
- ١٣٩ نعت التشبيه والوصف
- ١٤٠ نعت النسب
- ١٤٣ كتاب نقد النثر

- ١٤٤ الفصل العاشر - تعريف اصحاحي برجال مدرسة الكوفة
- ١٤٤ محمد بن ابي سارة والكسائي
- ١٤٥ ابو زكرياء الفراء
- ١٤٦ المفضل الضبي والشيباني
- ١٤٧ ابن الاعرابي
- ١٤٨ ابن السكيت
- ١٤٩ الفصل الحادي عشر - وجوه الخلاف بين مذهبي
- البصريين والكوفيين
- ١٥٠ المسألة الاولى
- ١٥١ المسألة الثانية
- ١٥٢ المسألة الثالثة
- ١٥٣ المسألة الرابعة
- ١٥٤ المسألة الخامسة
- ١٥٦ الفصل الثاني عشر - تعريف اصحاحي برجال مدرسة بغداد
- ١٥٦ ابو حنيفة الدينوري
- ١٥٧ ابو العباس المبرد
- ١٥٨ ابن دريد
- ١٥٩ الصولي
- ١٦١ ابو الفرج الاصبهاني
- ١٦٢ ابو علي القالي

- ١٦٤ الفصل الثالث عشر - ابو الطيب المتنبي ونقائه
- ١٦٦ نفسية المتنبي وذكاؤه
- ١٦٨ اسباب هجرة المتنبي من الشام الى مصر
- ١٧٠ رحيل المتنبي عن مصر وذهابه
الى فارس . ومقتله
- ١٧٢ اتهام ابي الطيب بالنبوة
- ١٧٧ اراء طه حسين والعقاد في قضية الاتهام
- ١٧٨ الحكمة في شعر المتنبي
- ١٨١ سر العبقرية في المتنبي
- ١٨٣ الفصل الرابع عشر - المتنبي وطابع السعري
- ١٩٥ الافتخار والحماسة في شعر المتنبي
- ١٩٩ المدح في شعر المتنبي
- ٢٠٣ الهجاء في شعر المتنبي
- ٢٠٦ غزل المتنبي
- ٢١٠ الوصف في شعر المتنبي
- الفصل الخامس عشر - الامثال في شعر المتنبي
- ٢٢١ الفصل السادس عشر - مآخذ النقاد على المتنبي
- الفصل السابع عشر - المقارنة الادبية
- ٢٢٨ بين امرئ القيس وعلقمة
- ٢٢٩ بين جرير والفرزدق والاخلط

- ٢٣٠ بين بشار و مروان بن ابي حفصة
- ٢٣١ بين الشماخ بن ضرار والفرزدق
- ٢٣٢ بين ابي تمام والبحري
- ٢٣٢ بين معن والبحري و ابي فراس والمتنبي
- ٢٣٣ كتاب الموازنة بين الشعراء لزي مبارك
- ٢٣٤ المقارنة بين الحصري وشوقي
- ٢٣٥ قصيدة الحصري (يا ليل الصب متى غده)
- ٢٣٦ قصيدة شوقي (مضناك جفاه مرقداه)
- ٢٣٨ مواطن الحسن بين مطلقى القصيدتين
- ٢٤١ مظان الضعف
- ٢٤٤ روعة الخيال
- ٢٤٥ البراعة في تناول المعاني
- ٢٤٥ الحكم
- ٢٤٦ المراجع
- ٢٥١ تصحيح اخطا.
- ٢٦٠ كتب المؤلف المطبوعة والتي تحت الطبع
- ثم طبع الجزء الاول من هذا الكتاب في اليوم الاول من غرة
شهر ربيع الاول سنة ١٣٨٩ هـ الموافق ١٧ ايار سنة ١٩٦٩ بمشيئة الله،
ويليه الجزء الثاني ان شاء الله .

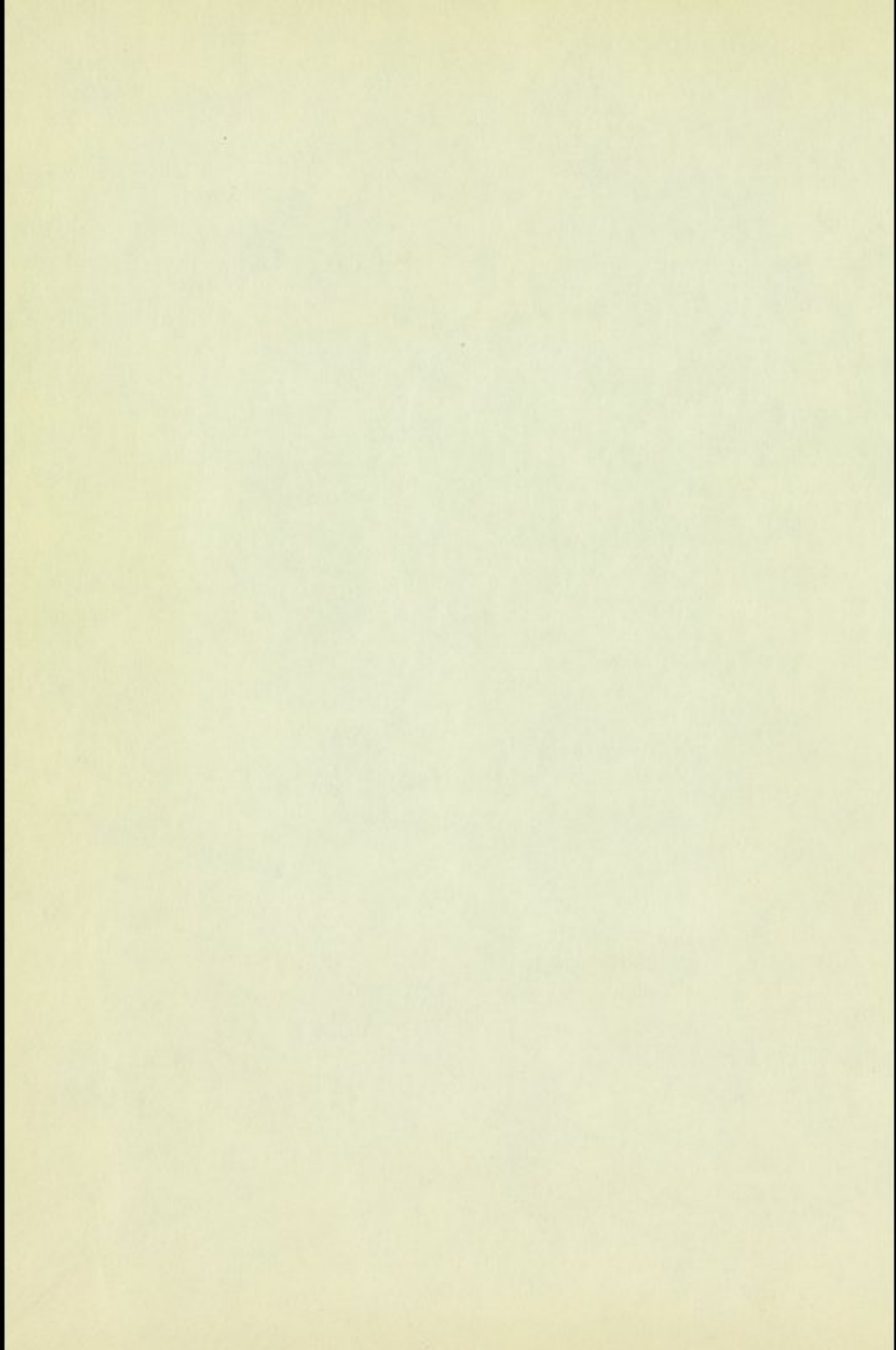
مطبعة المعارف

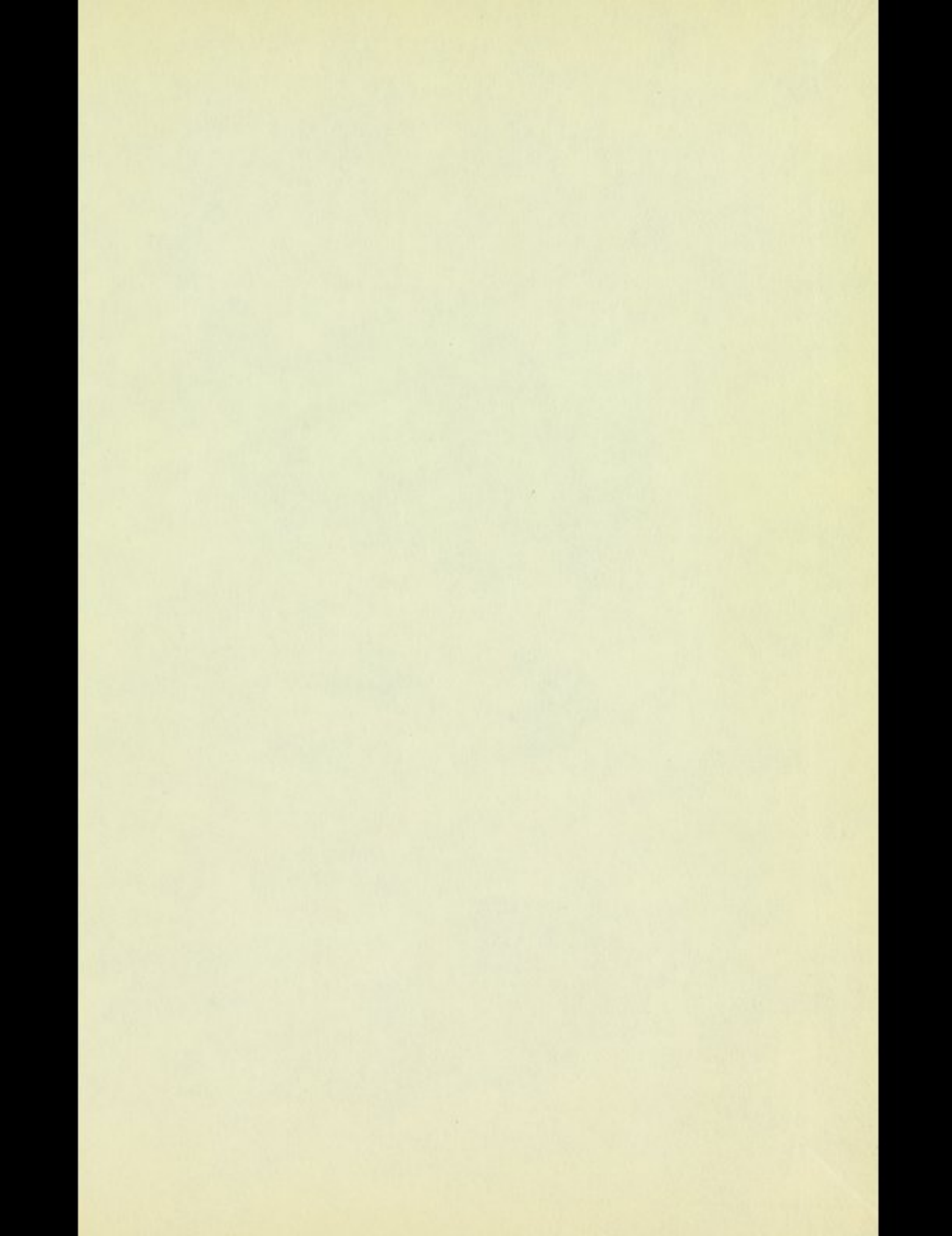
كتب مطبوعة للمؤلف

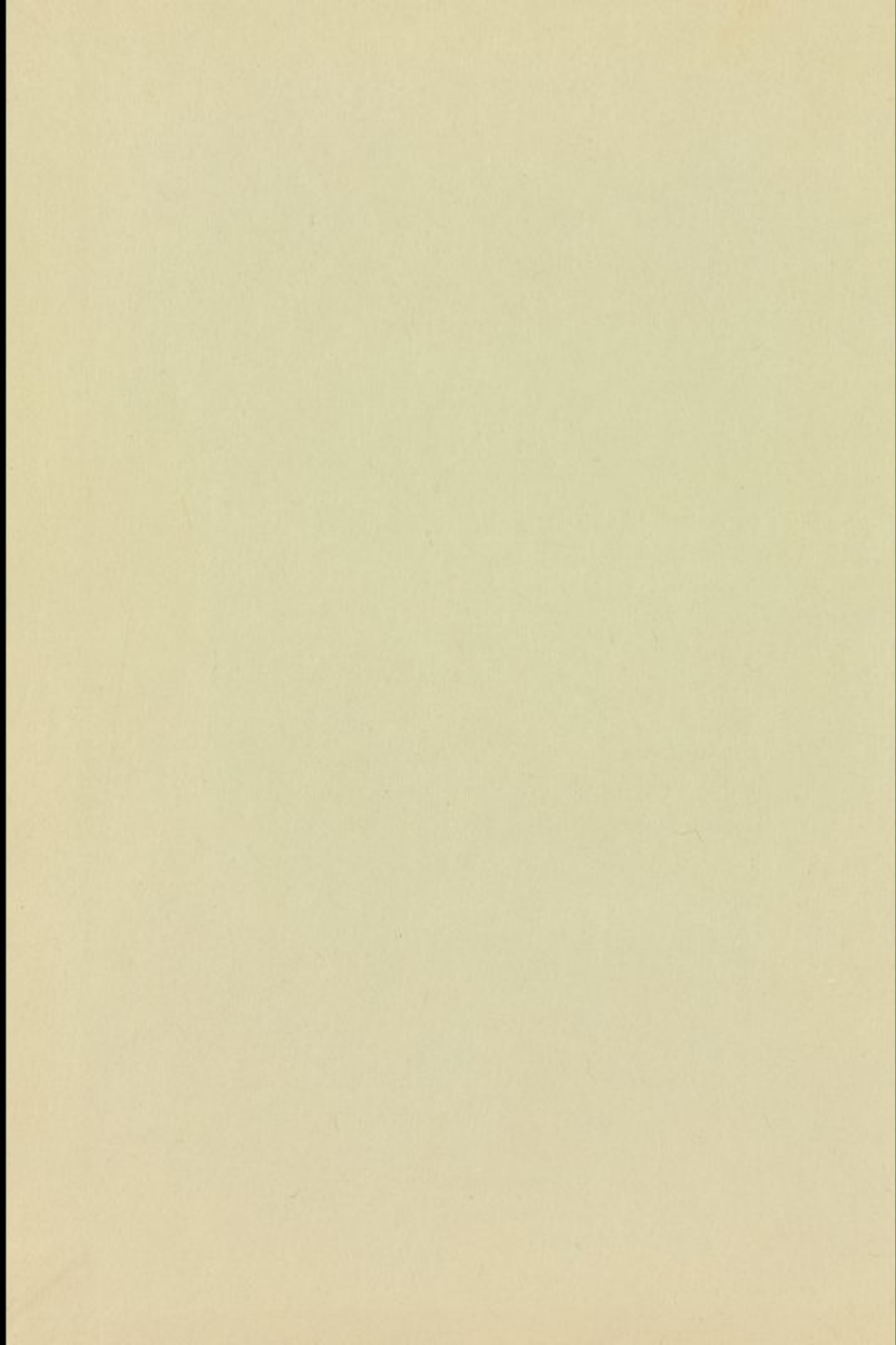
- ١ - الادب ومذاهب النقد فيه .
- ٢ - دراسات في النقد الادبي في جزئين .
- ٣ - تحقيق ديوان العرجى بالاشتراك مع زميل .
- ٤ - دليل النحو الواضح بالاشتراك مع زميل .
- ٥ - شرح و اعراب شواهد نحوية .
- ٦ - سلسلة كتب في القراءة للاميين بالاشتراك مع لجنة .

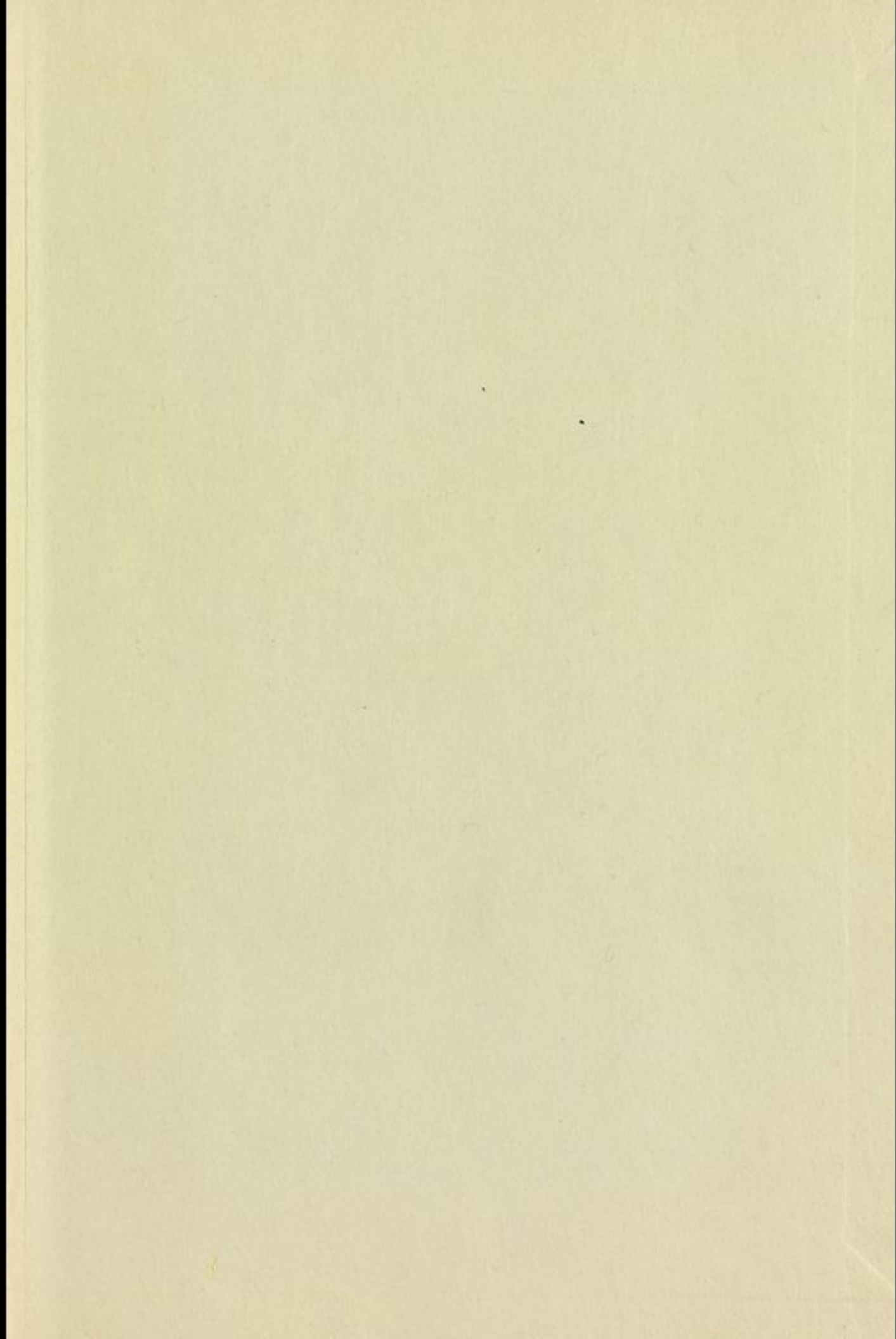
تحت الطبع

- ٧ - معالم الطريق الى حياة افضل .
- ٨ - المذاهب الادبية الحديثة .
- ٩ - قالت لي نفسي وقلت لها .
- ١٠ - رسالة في فلسفة الجمال .
- ١١ - المقارنات الادبية في القديم والحديث .









COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0036760684

PJ
7507
.U2
vol.1

MAY 6 1974

